

السَّاقِ عَلَى السَّاقِ فِي مَا هُوَ الْفَارِاقُ
أَيَّامٌ وَشُهُورٌ وَأَعْوَامٌ فِي عَجْمِ الْعَرَبِ وَالْأَعْجَامِ

آئینہ

أحمد فارس السديقي

صاحب الخراب

المجموعة الأولى

فتی بلعبدہ مصطفیٰ محمد صاحب مالکۃ تجارتیہ بادل شائع محمد علی

« عصر القاهره »

فهرست الكتاب

صفحة

١ تنبيه من المؤلف

٤ فائحة الكتاب

الكتاب الاول

٩	الفصل الاول	في اشارة رياح وفيه مولد الفاريق
٢١	الفصل الثاني	في انتكاسة حاقيه وعمامة واقية
٢٤	الفصل الثالث	في نوادر مختلفة
٣١	الفصل الرابع	في شرور وطمبود
٣٥	الفصل الخامس	في قسيس وكيس وتحليس وتلحيس
٤٣	الفصل السادس	في طعام والتهم
٤٦	الفصل السابع	في حمار نهاق وسفر واخفاق
٤٩	الفصل الثامن	في خان واخوان وخوان
٥٣	الفصل التاسع	في محاورات خانية ومناقشات حانية
٦٠	الفصل العاشر	في اغصاف شوافن وانشاب بران
٦٦	الفصل الحادي عشر	في الطويل العريض
٧٢	الفصل الثاني عشر	في ايلة واكال
٨٠	الفصل الثالث عشر	في مقامة
٨٦	الفصل الرابع عشر	في سر
٩١	الفصل الخامس عشر	في قصة المميس
٩٦	الفصل السادس عشر	في تمام قصص المميس
١٠٦	الفصل السابع عشر	في الناح
١١١	الفصل الثامن عشر	في الناح
١٢٥	الفصل التاسع عشر	في الحس والحركة وفيه براح الفاريق وشكواه وفيه أبعما غرض كاتب الحروف

صفحة	
١٤١	الفصل المشرون في الفرق بين السوقيين والخرجيين
	الكتاب الثاني
١٤٥	الفصل الاول في دحرجة جاسود
١٦٠	الفصل الثاني في سلام وكلام
١٧١	الفصل الثالث في اتقلاع القاريق من الاسكندرية
١٨٢	الفصل الرابع في منصة دونها غصبة
١٩٢	الفصل الخامس في وصف مصر
١٩٧	الفصل السادس في لا شيء
١٩٧	الفصل السابع في وصف مصر
٢٠٠	الفصل الثامن في اشعاره انتهى وصف مصر
٢٠٥	الفصل التاسع فيما اشترت اليه
٢٠٨	الفصل العاشر في طيب
٢١٢	الفصل الحادى عشر في انجاز ما وعدنا به
٢١٦	الفصل الثانى عشر في ابيات سرية
٢٢٢	الفصل الثالث عشر في مقامة مقعدة
٢٢٧	الفصل الرابع عشر في تفسير ما غمض المقامة ومما فيها
٢٧٣	الفصل الخامس عشر في ذلك الموضع ()
٢٧٤	الفصل السادس عشر في ذلك الموضوع بعينه
٣٠٧	الفصل السابع عشر في رثاء حمار
٣١٢	الفصل الثامن عشر في الوان مختلفة من المرض
٣١٥	الفصل التاسع عشر في دائرة هذا الكون ومركز هذا الكتاب
٣١٩	الفصل المشرون في معجزات وكرامات

تنبيه من المؤلف

الحمد لله الموفق الى السداد والملمهم الى الرشاد ، (وبعد) فان جميع ما أودعته في هذا الكتاب فانما هو مبنى على أمرين : أحدهما ابراز غرائب اللغة ونوايرها فيندرج تحت جنس الغريب نوع المترادف والمتجانس وقد سميت منهما هنا أشهر ما تلزم معرفته وأهم ما تمس الحاجة اليه على نمط بديع ولو ذكر على أسلوب كتب اللغة مقتضباً عن العلائق لجاء مملاً ، وقد راعيت في سرده مرة على ترتيب حروف المعجم ومرة نسقته بفقر مسجمة وعبارات مرصعة ، ومن ذلك القلب والابدال كما في التورور والنورور والتونور والترتور وتمطى وتمتى وتمطط وتمدد ومنه إيراد ألفاظ كثيرة متقاربة اللفظ والمعنى من حرف واحد من حروف المعجم نحو : الغطش والغمش والبهز والسبز والبفز والنفز تنبيهها على أن كل حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره وهو من أسرار اللغة العربية التي قل من تنبه لها ، وقد وضعت لهذا كتاباً مخصوصاً سميت « منتهى العجب في حـ ائس لغة العرب » فمن خصائص حرف الحاء السعة والانسياط نحو الابحاح والبداح والبراح والابطح والابلنداح والجح والرحرح والمرتدح والروح والترجح والتسطيح والمسفوح والمسمح في قولهم ان فيه لمسمحا أى مسمعا والساحة والاسياح والشدحة والشرح والصفيحة واصلاح والاصانطاح والمصلفح والطح والمهرطح و لمشح والمطح والمطحة الى آخر الداب . ويالحق به ألفاظ كثيرة خفية الاصل لا يدرك الا بامعان النظر بحر الاسجايح وانسرج والمماحة والسحج

ومن خصائص حرف الدال اللينة والنعومة والفضاضة نحو البرخداقة
والتيبدو والتأدو والشعدو والمثمدو والمثمدو والثوهدو والتهمدو والخبندة والظود
والرادة والرخودة والرهادة والمبرد والقرهدو والاملودو والفلهودو والقرهد
والقشدة والمأد والمرد والمغد والملد الى آخر الباب . ويلحق به من
الامور المعنوية الرغد والسرهدة والمجد وغير ذلك . وربما عا دلوا في
بعض الحروف أى راعوا فيها الاكثر من النقيض . فان حرف الدال
يشتمل أيضا على ألفاظ كثيرة تدل على الصلابة والقوة والشدة . وذلك
نحو التأدد والتأكيد والتأييد والجلعدو والجلعدو والجلعدو والحديد والسجد
والسجدو والسجد والتشدد والصفد والصلد والصلخد والصفند
والعجرو والعجلو والعردو والعريضة والعرقدة والعصلدو والعطو والعطر
والعلد الى آخره

ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو أرم
وأزم وزم وثلم وجذم وخرم وحزم وحلم وحذم وحذلم وحسم وحطم
وحلثم وحذم وخرم وحزم وحضم الى آخر الباب . ويلحق به من الامور
المعنوية حم الامر أى قضى وخرم وحتم وحزم فان معنى القطع ملحوظ
فيها ، ويكثر في هذا الحرف أيضاً معنى الظلام والسواد .

ومن خصائص حرف الهاء الحق والنفقة والرت أى قلة النفقة :
أله وأمه واه والموهه ونفه والنوه الدله والسبه وشده لغة ؛
أو مقلوب منه وعنته وعله وغمه ونمه ووره وقس على ذلك سائر الحروف
ومن هذا الغريب أيضاً كون بعض الصيغ يختص بمعنى من المعاني
نحو اجرهه واسمهر وكل ذلك مشار اليه في هذا الكتاب فينبغي التفطن له
وقد طالعت كتاب المزهري في اللغة للامام السيوطي رحمه الله مما
ذكر فيه خصائص اللغة نقلا عن الامام اللقوي ابن فارس فلم أجده
تعرض لهذا النوع بل ربما أورد من الخصائص أحيانا ما لا ينبغي ايراده

كجعله مثلاً اطلاق لفظة الحمار على البليد منها . ومن ذلك الغريب
النوادر من الألفاظ وذلك نحو قولى اكهى فى صفة الرجل المتقرف
من البرد قال فى القاموس اكهى سخن أطراف أصابعه بنفس . ونحو
المنقاش الذى يطوف فى القرى يبيع الاشياء . والضوطار وهو من
يدخل السوق بلا رأس مال فيحتال للكسب . والذئابة أى بقية الدين
وثرمل يقال ثرمل الطعام لم يحسن أكله فانتثر على لحيته وفمه ويتكظكظ
وهو أن ينتصب للإنسان عند الأكل قاعداً كلما امتلأ بطنه . ونحو
الجلهزة والتلحز والوذم والارغال وغير ذلك مما فسر بعضه وترك
"باقى فراراً من تكبير جرم الكتاب

والامر الثانى ذكر محامد النساء ومذاهن فمن هذه المحامد ترقى
المرأة فى الدراية والمعارف بحسب اختلاف الاحوال عليها كما يظهر مما
أثرت عن الفارياقية . فانها بعد ان كانت لا تفرق بين الامرء والمخلوق اللحية
وبين البحر والملح وبحر النيل تدرجت فى المعارف بحيث صارت تجادل
أهل النظر والخبرة وتنقد الامور السياسية والاحوال المعاشية والمعادية
فى البلاد التى رأتها أحسن انتقاد . فان قيل انه قد نقل عنها ألفاظ غريبة
غير مشهورة لا فى التخاطب ولا فى الكتب فلا يمكن أن تكون قد
نظمت بها . قلت ان النقل لا يلزم هنا أن يكون محرووه وانما المدار
على المعنى . ومن تلك المحامد أيضاً حركات النساء السائقة وضروب
محاسنهن المسوغة التى لم يصور منها شئ الا وذكرت فى هذا الكتاب
لا لى قد أودعته أبصاً معظم حواطرهن راء كاردن ومن ما احتسرنهن

الحمد لله تعالى

فانحة الكتاب

هذا كتابي للطريف ظريفا طلق اللسان وللسخيف سخيفا
أودعته كلما وألفاظا حلت وحشوته قطعا زهت وحروفا
وبداهة وفكاهة ونزاهة وخلاعة وقناعة وعزوفا
كالجسم فيه غير عضو تمشق المستور منه وتحمد المكشوف
فصلته لكن على عقلي فما مقياس عقلك كان لي معروفا
قمرته بمحافر الافكار كي يسع الكلام وسمنه تجويفا
لثقتة وحصفته بيدي فقل نعم الكتاب ملفقا مخصوفا
أفرغت فيه كل حبر راقه وله برت من اليراع الوفا
وكانما بيدي قد نثقتة حتى أني مستحكما مرصوفا
ألقته والليل اسود حاله فلذاك جاء مسخما مسجوبا
تباته لك دون طاهي القوم بالر بلات فهي تزيل منك خلوا
وتصح ما بك من طلاطة وم ضرس فتلقم بمد ذاك القوفا
يفنيك عن مين الطيب وسحله ما من جراه تخازم الحثوفا
قد بذنت زخراء أرض سطوره روضا وجنات تروق وريفا
فتشم منها عرف كل ربحلة دهساء يفتن حسنها الفطريفا
وترى الماحظة اشنأ بجنبها والفارض القرطاس والسرعرفا
ووراءها وامامها مرصورة وغرائق ما ان تزال أنوفا
واذا بدت لك من خلال حرره ربح وائر فأخطن رشودا
نأنا عجزت عن المنة راستغا ت وجدت في عفاهين الهيمدا
فاحتقر هذك الله ما ترى ولا نتراخ عن أن قدرتك الحرنودا

غيرى من الوصاف فى ذا صنفوا
 اذ كان ما قالوه مبتذلا ولم
 لكن كتابى أو أنا بخلاف ذا
 لا عيب فىنا غير انك لا ترى
 فهو اليتيم المستحيل أخاؤه
 الفضل لى ولصاحب القاموس اذ
 حبلت به راسى خلافا للنسا
 لكن تولد فى ٣ أشهر
 لم أدر هل رجلته أو غطته أو
 عانيت فيه من الزحير أبارك الله
 وقطعت سرتة على أهل الحجى
 ما كان من ظئر له عندى سوى
 قدما عليه توجمت تقسى ولم
 ورشحت لذات قبيل تتاجه
 أولدت لى ولدين لا لك ثم ذا
 عهدى الى ولدى أن يتحديا
 ليؤمناه من الحريق اذا احتمى
 انى برى. منهما أن يعدلا
 من كان يرغب فيه فهو موفق
 فى الليل يسمع منه غفطة يطيب
 وارب نور ساطع يقدو اذا
 وكبير بطن ضاق عنه وفاتك
 كالزئبق الفرار ينظره ولا
 يهوى هوى الريح فى الوادى اذا
 لكنهم لم يحسنوا التصنيفا
 يتقص منهم واصف موصوفا
 نكنى الحفى الحد والتعريفنا
 صنوا لنا فى فننا وحرينا
 وهو الفريد فكن عليه عطوفا
 من لجه قولى غدا مغروفا
 عاماً وكل العام كان خريفا
 وحبا على عجل وشب لطيفا
 بصقته أو ألقته ثم كنيفا
 سولى عناء لا يكال جزيفا
 وعلى اسمهم لا يبرحن موقوفنا
 فكري ومع ذا خلته مسروفا
 يك شوقها عن نحوه مسروفا
 حتى اذا باشرت عدت نشوفا
 لك ثالثاً لا لى فعله القوفا
 أسلوبه وبدفتيه يطيفا
 أحد عليه لكونه حريفا
 عنه ويتخذنا عليه حليفا
 أو لا فقد ضل السبيل وايفا
 ناعسه بدوامها وحجيفا
 قابلته يوماً به مكسوفنا
 ذى شرة عنه يخيم ضعيفا
 يستطيع يمك من ققاء صوفا
 ما هيح ثم يسمن الشنعوفا

هو خير داح للذي لم يرض من
 ان تسله يطربك حسن بغامه
 فيه ترى في البرد مشى ثم ان
 واذا تقلت من الطعام وغيره
 واذا اتخذت حديقة فاغرس بها
 تغنيك عن نصب الخيال بها فلو
 اني ضمنت لك القدور فماترى
 كلا ولا مستقلا نوما ولا
 لا تقدمن على ركوب الصعب ان
 حتى اذا تعنتت أصبح عاصما
 اني لاعلم والسداد يدلني
 فاخفه انت بكل حرف باتر
 هو حصرم في طرف من يفتابه
 وهو الحديد القاطع الماضى الذي
 ان شئت تلبسه على علاته
 ولقد أجزتك سفه أو لعقه
 لكن حذار من الزيادة فيه أو
 اذ ليس فيه من محل قابل
 لو كان يعشق جامد الجماله
 ولئن نزحت عن الانام فانه
 واذا انخاض كادبان فلهية الاشقى ينادر شعرها منتوفا
 حتى كأن الشعر من لحبيهما
 وحياة رأسك ان راسى عارف
 كلا ولا أقطا ولا حشفا ولا
 لعب الزمان ولهوه خذروفا
 او تلهه يسمعك منه عزيفا
 ثارت خجوجاة السهام مصيفا
 تلقى به من تقله تخفيفا
 منه كليات تزذك قطوفا
 أضحى شظاظا لصها لاخيفا
 من بعده عزها ولا منجوفا
 أرقا ولا تشكو صدى وعجوفا
 لم تتخذه صاحباً ورديفا
 لك أن تزل فتخطى الخر — فا
 ان الجنب يرى الايبل خيفا
 قد خط فيه يكف عنك كفيفا
 ما زال ان ذكر اسمه مطروفا
 يبرى العظام ويحسم الشرسوقا
 فاهناً به أولا قدعه نظيفا
 أو ان تحف قيثاً فخذ مدوفا
 ان ترتأى استعماله مجذوفا
 للحذف أو لزيادة تثقيفا
 لنفا الورى طراً به مشغوفا
 يمشى اليه حيث كان زحوفا
 واذا انخاض كادبان فلهية الاشقى ينادر شعرها منتوفا
 حتى كأن الشعر من لحبيهما
 وحياة رأسك ان راسى عارف
 كلا ولا أقطا ولا حشفا ولا
 خزا على وتدى ولا كرسوفا

لكن بقرنى حكمة هاجت على انى أعالج مرة تأليفا
 من كان يؤجر كى يؤلف خطبة فهو الخلق بأن يمد عسيفا
 ساراج من قولى فغذه وما تجد من زائف فآركه لى ملفوفا
 الا بد أن تجد العياف مرة بين الدرام درهما مزيوفا
 ولرب دينار يجر اليك من تهوى بلحيته وليس مشوفا
 لا يعلقن بزجاج عقلك ما ترى فيه من الصدا القديم كئيفا
 من كان فى بلد لطيفا طبعه يجد الغليظ من الحب لطيفا
 لا ترفسن مامر منه لاجل ما قد ساء بل لا توله تافيفا
 ان المصنف لا يكون مصنفا الا اذا جعل الكلام صنوفا
 او ليس ان الضرب مثل الصنف فى المعنى وقرع عصا اليه أضيفا
 حاشاك أن تقضى على تهافتنا من قبل أن تتحقق التوقيفا
 فقول قد كفر المؤلف فاحشدوا يا قوم صاحبكم أنى تجديفا
 ختميج أرباب الكنائس هيجة شؤمى فيخترطوا عليه سيوفا
 بينى وبينك من صلات مودة ما يقطع التفسيق والتسقيفا
 فلا تزيبر الى القتال ولا الى الشكوى ولاتك بيننا يذيفا
 ان كنت احسانا أتيت فدونك التحبيذ لى أولا فلا تقذيفا
 لا يشتمن أبى ولا أمى ولا عرضى ولاتك لى بذاك اليفا
 أمى على أننى يناط مددلا ما أن يعيب من العباد أوففا
 ولرب فسق اللسان مبادئ يغدو وقد فسق العفيف عقيفا
 ونزبه نفس أن يزر ذا زوجة ويكون ان ضحكت له عتريفا
 كلب الكواعب ليس يعدى غيره ودواؤه كعب يليه منوفا
 ماذا على مهد الى اخوانه شيئا ألد من المدام طريفا
 حشر الليالى محكما تفصيله وم رقود يحكون جحيفا
 ألأيت ذا كرم يرد هدية ويسوم مهديها له تعنيفا

أوليس ان الدهر أصبح مازحا	يهدى ويأتي المضحكات جنوفا
فاشتق من خرف الجنى أخرفا ومن	حصف تهي الاظفار منه حصيفا
دع عنك تعبيس الاسود وكن أخا	لابى الحصين مراوغا يهفوا
من أضحك السلطان صوت ردامه	فهو الذى فى الناس عد عريفا
تمت بهذا البيت فاتمى وقد	صيرته لبناء تسقيفا
لا تقرأن من بعده شيئا ولو	كلفت حرفا واحدا تكليفا
فتكون قد أزلت إثم تجاوزت	بك رجلك اليسرى له قاريفا
انى أرى كالريح فى أذنك عر	ف نصيحتى راحت سدى وطليفا

الكتاب الاول

الفصل الاول

في اشارة رباح

مه ، صه ، اسكت ، اصمت ، ايس ، اعقم ، اسمع ، ائذن اصغ ، اصغ ، اعلم انى شرعت فى تأليف كتيبى هذا المشتمل على أربعة كتب فى ليالى راحصة ضاعطة أحوجتنى الى الجوار قائما وقاعدا حتى لم أجد صنبور أفكارى ما يسده عن أن يتبع على ميزاب القلم وجود هذه الصحائف ، فلما رأيت القلم مطوعا لانا ملئ والدواة مطوعا للقلم قلت فى نفسى لا بأس أن أقفوا القوم الذين يبضوا وجوههم بتدويد الطروس فان كانوا قد أحسنوا فانا أعد أيضا من المحسنين ، وان كانوا قد أساءوا فلعل عدد كتبهم يحتاج الى تكملة فيكون كتابى على كل حال متصفا بالكمال ، لان ما كمل غيره كان جديرا بأن يكمل نفسه ، فمن ثم لم أتوقف فيما قصده ولم أنحاش أن أودعه من الالفاظ الشائقة الرائقة والمعاني الفائقة الآفقة كل ما خف على السمع ، ولقد للطبع ، مع علمى انه لا يكاد مؤلف يعجب الناس جميعا ، وكالى بتمتعت يقول فى نفسه أو لغيره لو كان المؤلف اجهد قريحته فى تأليف كتاب مفيد لاستحق ان يثنى عليه ، لكننى اواه قد اضاع وقته عبثا بذكر ما لا ينبغي ذكره حينا ، وحينما بذكر ما لا يجدى تقعا ، والجواب عن الاول ، ومحترس من مثله وهو حارس ، وعاد الحيس يحاس ، وخذ من جذع ما اعطاك وشحمتى فى قلعى ، واهتبل هبلك ، وعين الرضى عن كل عيب كليله

وعن الثاني ، أربع على ظلمك ، وارق على ظلمك ، وارقاً على ظلمك
وق على ظلمك ، وكاني بآخر يقول حديث خرافة يام عمرو ، وجوابه
وكم من عائب قولاً سليماً ، ثم كافي بجوقة عظيمة من الجلاذى والنهاميين
والانهمة والوفقة والوفهة والوهفة والاييلين والزرارزة والقمامسة
وامامهم الجاثليق الاكبر وامام هذا المسطوس الاعظم وهم يضجون
ويعجون ويحجرون وينمرون ويلجبون ويصخبون ويرواطون ويلغطون
ويتقرون ويتوغرون ويتوعدون ويتهددون ويتذمرون ويتنكرون
ويتنمرون ويتشذرون ويتشذرون ويتفدرون ويتفدرون وينهمون
ويلغمون ، فأقول لهم : مهلاً مهلاً ، انكم قضيتم صرركم كله فى حرفة
التأويل فما يضرركم لو أولتم ما تنكرونه فى كتابى من أول وهلة ،
وتحلمتم كما هو دأبكم لان تجعلوا منه حسناً ما يظهر قبيحاً ومستظرفاً
ما يلوح من خلال عبارته فاحشاً ، فان أبانوا قد أوجب عليكم ذلك
مذمئ من السنين بقوله :

لا تحظر العفر ان كنت امرأورعا فان حظرك بالدين ازراء
وبقوله

كن كيفما شئت ان الله ذوكرم وما عليك اذا اذنبت من بأس
الا اثنتين فلا تقربهما أبداً الشرك بالله والاضرار بالناس
فاما ان قلتم ان عبارته صريحة بحيث لا تقبل التأويل ، فأقول لكم
انكم بالامس كنتم تخطأون وتحضرمون وتهرأون وتلحنون وتلكنون
وتغلطون وتوهمون وتمفكون وتلبكون وتلتكون وتلفتون وتمصدون
وتخلطون وتخطلون وتهذون وتهذرون وتحصرون وتلخون وتلخلخون
وتعجمون وتعجمون وتقدمون وتلفون وتبلمعون وتتلبيعون
وتلغفون وتلغفون وتقلقون وتقلقون وتترزون وتترزون وتحصرون
وتتفرون وتعجمون وتعجمون وتغمغمون وتغمغمون وتعجمون وتعجمون

وتتغنون وتتمنعون وتثغنون وتبععون وتبغفون وتوتفون
وتضغضفون وتعيون وتفهون فتى جآ كم العلم حتى فهموها ، وان
قلت ان بعضها وهو السئ مفهوم وبعضها غير مفهوم ، قلت لعل مالم
تفهوه هو من الحسنات التى تذهب السيئات فلا ينبغي لكم على أية
حالة كانت أن تحرقوه ، ولعمري لو لم يكن من شافع لقبوله واجرائه
عند الادباء وعندكم أنتم أيضاً مجرى كتب الادب سوى سرد الفاظ
كثيرة من المترادف لكفى ، بل فيه من ذكر الجمال واهله أدام الله
عزهن ما يوجب اعظامه وتقريظ مؤلفه حياً ثم تأيينه بعد مفارقته
اياهن برغم أنفه ،

على انى اعرف كثيراً من الوفية الكرام المشهود لهم بالفضل
بين الانام لا يخرجون من قولهم شئ مجميع وشئ متدملك وشئ مفرم
وشئ اذيب وشئ مهدف وشئ قازح وبكبك ، ومن ذكر الكعشب
والكعشب والكشم والجلهوم والمركوك والاكثم والاخثم والخشم
والخزنبل والدعكنة والججدجد والنيزج والبوص والنامة والبلنص
والقلندم والاكبس والضراطى والعمارطى والحضر والهيدب والحلوس
والبوص والمضطرط والمضارطى والجيش والجمشأ والبداء والقشوش
والطعما والمهلوسة والمرصوفة والمستودفة والجالقة والحارقة والخبوق
والخقوق والفقوق والربوخ والمخرقة والسقلاق والشقا والمتلاحمة
والخجام والخنجوم والاقوم والشريم والهوجل والمتكا والحاقيمة
والمرفوعة والمصوص والمنفاص والميراص والمعوض والمنخار والشفيرة
والزاخة والبخاخة والجخنة والشفاح والعنبلة والجليبع ومن العلوز
والقنب والنوف والختاب والايل والبيظ والشرورين والختار والاشعر
والطبق والاسكتين والحسكتين والمنتل والقحجق والمائة والجعب
والطرث والمكبز والمعجرم والعجارم والويل والفنجليلس والفلطيلس

والخطاط والكوتمة والجوفان والملك والحوقة والكوشلة والقصة
والدلمة ومن الاقناد والتوتيد والاستعداد والتفشيخ والشمذ والنهر
والافهار والوجس والنشئة والاستخلاط والتشيط والهكاع والفخة
والسغم والاكسال والدغم والزجل والهقق والنيطل والمتر والطروح
والمجيز والفنخر والاختصار والترفع والاصفاً والعصد والحق والتفيل
والتبازخ والعروة والاسواع والساع والالهاط والمصيد والرفع والمفل
والقرنة والكين والطوطوة ومن ذكر الارزب والبزباز والفاعوسة
والخرنوف والمشرح والفضارطي والمصوص والحقاق باق والوردان
والطنبريز والعلمهم والقبقاب والهموم والحجوم والمزخة والتفنج
والخشغل والمعرتقط والمقرنقط والفوق والقوق والركوة والقحفيلز
والعفلق وغير ذلك من أدوات النصب ومن البنودة والجمي والحذافة
والمخذفة والمخذفة والخواوة والخفاقة والمزافة والمحسة والمحشة والخبفنة
والرماعة والصارى والرثم والطبيخة والجمآ والموآ والعزلا والجمعآ
والسحماً والفنقصة والفرقة والصفارة والنبور والنباعة والنباعة
والواعة والجواعة والمخواعة والصواعة والبرعث والبعثط وغير ذلك من
أدوات الجزم ومن الأذاف والبزار والجميع والجمثوم والاذلي
والحوقل والمطول والزلقطة والخدرنق والسحادل والضيز والعلل
والدوقل والقسطبينة والفنطيس والشاقول والقهبليس والعردل
والقصطير والجزاز والقرميلة والمتمتر والدوسر والسهمدر وغير ذلك
من أدوات البحر ومن ذح وذحا ودح ودحي ورصع ورطاً وشفن
وشكز وضهز وطعز وطخ وعزط وعزلب وقرفط وقنطر وقسبر
وقحطر وقطر ولطر ولمج ولمذ ومشق ومتر ومهج ومعج ونيرج
وزخزخ ودعظ ، وكنت احمق في وجوههم عند ذكرهم ذلك فلم اكن
ارى عليها حمرة الخجل ولا صفرة الوجل . بل كانت ناضرة مستبشرة

مبتهجة مسفرة . فان أبى المنكر إلا عناداً وتقاضاى جدول أسماهم قلت له
هاك أوله يبتدىء بالالف وآخره بالياء ، فاحسبوني اذاً وافهاً من هؤلاء .
ثم أن شرطى على القارئ أن لا يسطر شيئاً من الالفاظ المترادفة
فى كتابى هذا على كثرتها ، فقد يتفق أن يمر به فى طريق واحدة سرب
خمين لفظه بمعنى واحد أو بعمان متقاربة ، وإلا فلا اجيز له مطالعته
ولا أهنته به * على انى لا أذهب الى أن الالفاظ المترادفة هى بمعنى
واحد والالسموها المتساوية وانما هى مترادفة بمعنى أن بعضها قد
يقوم مقام بعض . والدليل على ذلك ان الجمل ، مثلاً ، والطول والبياض
والنعومة والقصاحة تختلف أنواعها واحوالها بحسب اختلاف المتصف
بها فخصت العرب كل نوع منها باسم ولبعد عهدى عنا تظنينها بمعنى
واحد * وقس على ذلك انواع الحلى والمأكول والمنشروب والملبوس
والمنفروش والمركوب ، لا بل عندى ولا أخشى من أن يقال اولك
عند انه اذا كان اسمان مشتقين من مادة واحدة وكما يدلان على معنى
واحد كالخجوج والخجوجاة ، نلاللريح الشديدة المرفلا بدوان يكون الاسم
الرائد فى اللفظ رائداً فى المعنى أيضاً ، فان شئت اذعنت اولاً فعائد .
هذا وانى قد الفتته وما عندى من الكتب العربية شئاً أراجعه
واعتمد عليه غير القاموس ، فان كتبى كانت قد فركتنى فاعزلتها ، غير
ان مؤلفه رحمه لم يفادر وصفاً فى النساء الا وذكره ، فكأنه كان
الهم ان سياأتى بعده من يفوس فى قاموسه على جمع هذه اللاآتى فى
مؤلف واحد منتسق لتكون اعلق بالذهن وارسخ فى الذكر ، ولولا
انى خشيت غيظ الحسان على لكت ذكرت كبيراً من مكايدهن
وحيلهن وعالهن لكنى انما قصدت بنأليفه التقرب اليهن وترضيهن
به ، وانى آسف كل الاسف على انهن غير قادرات على فهمه لجهلهن
القرأة لا لعوص العبارة ، اذ لا شئ يصعب على فهمهن مما يؤول الى

ذكر الوصال والحب والغرام . فهن يستوعبنه وبتلقينه من دون تلحن
ولا قصور ولا ترج ، وحسبى أن يبلغ مسامعن قول القائل ان فلانا
قد ألف فى النساء كتابا فضلهن به على سائر المخلوقات ، فقال أنهن
زخرف الكون ، ونعيم الدنيا وزهاها ، وغبطة الحياة ومناها ، وسرور
النفس ومشتهاها (١) وعلق القلب ، وقررة العين ، وانتعاش الفؤاد
وروح الروح ، وجلاء الخاطر ، وتملل الفكر ، وهو البال ، وجنة
الجنان ، وانس الطبع ، وصفاء الدم ، ولذة الحواس ، ونزعة الالباب
وزينة الزمان ، وبهجة المكان والباءة ، بل أقول غير متحرج عرف
الالاهة اذ لا يكاد الانسان يبصر جملة إلا ويسبح الخالق ، يذكرهن
يلهج اللسان ، وتخدمتهن تسمى القدم ، وتحمل الاعباء ، وتجتشم
المشاق ويهون الصعب ، ويتجرع الصاب ، ويقامى الضر ، ولرضائهن
يذل العزيز ، ويبذل النفيس ، ويذل المصون ، وان خلاق الرجل من
دونهن حرمان ، وفوره خيسة ، وهنآ تنغيص ، وألسه وحشة ،
وشبعه جوع ، وارثواه ظما ، ورقاده ارق ، وعافيته بلاء ، وسعادته
شقاوة ، وطوبى له كاذ قوم ، والتسليم كالفسلين ، فاذا قدر الله بلوغ
هذا الخبر المطرب سماع احدى سيداتي هؤلاء الجميلات ، وسرت
به وفرحت ، ورقصت ومرحت ، رحوت منها وأما باسط يد الضراعة
ان تبلغه أيضاً . سامع حارتها ، وأملت من هذه أيضاً أن تطالع به
صاحبها حتى لا يمضى اسرع واحد إلا ويكون خبر الكتاب قد ذاع
فى المدى كلها ، وكما فى ذلك حراء على تعبى الذى نكافته من أجلهن ،
الا وليعلم انى لو استطعت أن أكتب مدحهن بجميع أصابى
والطق به بكل . من جوارجى لما وفى ذلك بمحاسنهن ، فكم لهن على

(١) قد غلط الفيرزبادى فى اشتقاقه السرية من السر للجماع بل اشتقاقها

من السر بمعنى السرور

من الفضل حين بدون في آخر الحلل ، ومن باحسن الحلى ، ولظن
الى شافنات ، حتى أبت الى حفتى وأنا أتمتر بأفكارى وخواطرى
فما كادت يدى تصل الى القلم الا وقد تدفقت عليه المعانى وساحت على
القرطاس ، فأورثني بين الناس ذكرا وخرا ، ورفعن قدرى على قدر
ذوى البطالة والقرع ، نعم أن من بينهن من تقست على بطيفها فى
الكرى ، ولكنها معذورة فى كونها لم تكن تعلم انى اتكلف النوم
بعد ان رأت عيني من جهالها ما يهر العقل ويبلبل البال ، فاما اذا تعنت
على أحد بكون عبارتي غير بليغة ، أى غير متبلة بتوابل التجنيس
والترصيع والاستعارات والكنايات ، فأقول له انى لما تقيدت بخدمه
جنابه فى اشاء هذا المؤلف لم يكن يخطر ببالى التفتازانى والسكاكي
والامدى والواحدى والرخشى والبسنى وابن المعز وابن النبيه وابن
فباه ، وانما كانت خواطرى كلها مشغلة بوصف الجمال ، ولسانى مقيداً
بالاطراء على من انعم الله تعالى عليه بهذه النعمة الجزيلة ، وبغبطة من
خوته عز وجل عزة الحسن وبرئاء من حرمه منه ، وفى ذلك شاغل
عن غيره ، على انى أرجو أن فى مجرد وصف الجمال من الطلاوة
والرونق والزخرفة ما تغنى عن تلك المحسنات استغناء الحسناء عن الحلى
لك يقال لها غانية

وبعد فانى قد علمت بالتجربة ان هذه المحسنات البديعة التى يهور
المؤلفون كثيراً ما تشغل القارئ بظاهر اللفظ عن النظر فى باطن
المعنى ، ولعمري انه ليس فى هذا الكتاب شئ يعاب سوى وحدائك
الفارياب فيه تارة يحشر فى مرب الخواص ، وتارة يدهق داهن ههنا
آمنات فى حجالهن أو فى حديقة أو فى زاوية أو على السرير والكر لم
يكن لى بد من ذلك اذ الكتاب موضوع على قص أخباره وعلم أحواله
فقد بلغنى ان كثيراً من الناس انكروا وجود هذا المسعى فقالوا انه

من قبيل الغول والعنقاء ، وبمضهم قال انه كان قد ظهر مرة في الزمان
ثم اختفى عن العيان ، وذهب غير واحد الى أنه مسخ بعد ولادته بإيام
ولم يعلم بأى صورة تلبس والى أى شكل استحال ، وزعم قوم انه
صار من جنس النسناس ، وآخرون من النسانس ، وقال غيرهم أنه صار
من نوع الجن ، واثبت بعض انه استحال امرأة ، فانه لما رأى أن المرأة
أسعد حالا من الرجل في هذه الدنيا المسماة دنيا الذما كان لا يبيت الا
وهو جائز الى ربه بالدعاء لان يصيره أنثى ، فتقبل الله ذلك منه وهو
على كل شيء قدير ، فرأيت والحالة هذه من بعض ما يجب على أن أعرف
هؤلاء المختلفين فيه بحقيقة وجوده على ما فطر عليه ما عدا التغير الذي
عرض له عن جهد المديشة وسوء الحال ومقاساة الاسفار ومخالطة الاجانب
والاحتكاك ، وعلى الخصوص من تنقيع الشيب والمحاورة من حد الشباب
الى سن الكهولة ، فاذ قد علم ذلك ، فاقول :

كان مولد المارياتى فى طالع نحس المحوس والمقرب شائلة بذنبها
الى الجدى أو اليس والسرطان ماش على قرن الثور ، وكان والده من
ذوى لوحاهة والساهة والصلاح (مرحى مرحى) الا ان دينهما كان
أوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما (برحى برحى) وكان
لطبل ذكرهما دوى يسمع من بعيد . ولزواج شأنهما عجاج نساء يتور
فى الحال واليميد . وللكبير العفاة عليهما واعتشاء الوفود لديهما ،
وماتت سبل دخانها . وزحت بئر فضلهما فلم يبق فيها الا نزارات
باني فها الله ت المحرم سداداً من عوز ، فكأما يجودان به أيضاً من
عوز السداد (بوه) ودلات لم يمد فى طاقتهما ان ييمساه الى الكوفة
و صر ايمعلم الاربعة باراعا حلاله عند معلم كذاب القرية التى سكنا
فيها (ويح ويح) وكان لمكرر ميل سائر معلمى الصبيان فى تلك
البلاد . فى كركم لاطالع مودة مديته تنها سوى ككتاب الزبور وهو الذى

يتعلمه الاولاد هناك لا غير (اف اف) وليس قولي انهم يتعلمونه مؤذنا بانه يفهمونه ؛ معاذ الله ، فان هذا الكتاب مع تقادم السنين عليه لم يعد في طاقة بشر أن يفهمه (غط غط) وقد زاده ابهاماً وغموضاً غساد ترجمته الى اللغة العربية وركاقة عبارته حتى كاد أن يكون ضرباً من الاحاجي والمعنى (رط رط) وانما جرت عادة اهل تلك البلاد بان يدربوا فيه أولادهم على القراءة من غير أن يفهموا معناه ؛ بل فهم معانيه عندهم محذور (تف تف) وكما انهم لا يفهمون معنى وحاً وميم وقاف مثلاً ؛ فكذلك لا يفهمون عبارة الكتاب المذكور اذا قرأوها (طبخ طبخ) والظاهر ان سادتنا رؤساء الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهن المساكين أن يتفقهوا أو يتفقهوا . بل يحاولون ما أمكن أن يغادروهم متسكعين في مهامه الجهل والغباوة . (أع أع) اذ لو شأوا غير ذلك لاجتهدوا في أن ينشئوا لهم هناك مطبعة تطبع فيها الكتب المفيدة سواء كانت عربية أو معربة (سر سر) فكيف رضون ياسادتنا لاعزة لمبيدكم الاذلة أن تربي أولادهم في الجهل والعمه ، (عزوى عزوى) وأن يكون مملوهم لا يعرفون العربية ولا الخط والحساب والتاريخ والجغرافية ولا شيئاً غير ذلك مما لا بد للمعلم من معرفته (عزى عزى) فكيف لعمرى من ملكات براعة وحذق من الله تعالى ما على كبير من هؤلاء الاولاد ؛ غير انه لقد أسباب العلم وعدم ذرائع التأديب والمخبريج طغمت جذوتها فيهم على صغر ؛ بحيث لا يمكن أن يشقوا بهم تف التحصيل على كبر (أوه أوه) هذا وانكم بحمد الله من المتربين الذين لا بعزاة أن تنفموا كذا وكذا كيماً على انشاء مدارس وبيع كتب مفيدة (أيه أوه) فان لبطرك القائمة المارونية دخاله ومع عظيم وفدر جسيم بحيث يمكنه أن يحى به قلوب طائفة هذه المارة الى لاد ط في المنافسة والمباراة في نى ، بن من سبقوه الى كل عم ومض (هيس هيس)

وانما همهم ان يتعلموا بعض قواعد في نحو اللغة العربية والسريانية لمجرد العلم بها فقط من دون فائدة (آه اه) اذ لم يعلم الى الآن ان احد منهم ترجم كتابا او كراسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا ان البطريك امر بطبع كتاب لغة فيهما (تغ تغ) ولو انه اتفق نصف دخله في كل سنة على تحصيل اسباب العلم بدل هذه الولاثم والمآذب التي يهيوها لزاره أو لو كان كل من الامراء والمشايخ الكرام ينقل شيئا معلوما في كل سنة لاجل هذه المصلحة الطخيرة ؛ أو لو بحث من قبله الى البلاد الافرنجية وكلاء يجمعون من ذوى الخير والاحسان فيها مبلغا يخصصه بما نحن بصددده ؛ لاحد كل من في الشرق والغرب فعله (جنح جنح) ولكن اذا تعنى احد سادتنا هؤلاء لان يبعث الى اخوانه الافرنج حنا أو متى أو لوقا لجميع المال فانما يبعثه لبناء كنيسة أو صومعة (آح آح) مع ان الانسان مذ يولد الى أن يبلغ اثنتي عشرة سنة لا يمكنه أن يدرك شيئا على حقيقته من جهة الكنيسة والصومعة ، ويمكنه في خلال ذلك أن يتعلم ما يفيد في مدرسة أو كتاب (ثم ثم) فهل تمدونني بإسادة بإنشاء مكاتب وطبع كتب حتى لا أطيل عليكم هذا الفصل . فان بقلبي منكم لحزازات حادة وبصدرى عليكم ملامات صادة (اخ اخ) لان خليصى الفارياق في دولتكم السعيدة لم يمكنه أن يتعلم في قريته غير الزبور وهو كتاب حشوه اللحن والخطا والركاكة (اخ اخ) لان معربه لم يكن يعرف العربية وقس عليه سائر الكتب التي طبعت في بلادكم وفي رومية العظمى (مع مع) ومعلوم ان الغلط اذا تأصل في عقل الصغير شب معه ونمى فلم يعد ممكنا بعد قلعه . فهل من سبب لهذا الشين والعيب سوى اهمالككم وسوء تصرفكم في السياسة المدنية والكنائسية (أفوه أفوه) اتحسبون ان الركاكة من شعائر الدين ومعامله وفرائضه

وعزاه . وان البلاغة تقضى بكم الى الكفر والالحاد . والبدعة والفساد
(مطغ مطغ) أم حسبتم أن تلك الايات العاطلة . قد أخفت ذلك
المسلم العالم عن المجادلة والمناضلة . (يع يع) اما بعروكم دم يهيجكم
الى حب الكلام الجزل الفخم . والى البلاغة والبلة . ونق العبارة على
موجب القواعد المقررة والافصح عما يخطر ببالكم دون الحشو المخل
والاعتراض الميل . والتعقيد الممل . والاخلا المسمل . وقولكم في
جوز الجملة الخ وجعلكم الفعل الثلاثى رباعياً وبالعكس . واستعمالكم
ما يتعدى منه بالباء متعدياً بنى وبالعكس . واجرائكم المتعدى لازماً
وبالعكس . والمهموز معتلاً وبالعكس وعدم فرقكم بين اسمى الفاعل
والمفعول . فتقولون هم محسودون منى أى حاسدون لى وما أشبه ذلك
(قه قه) وليس كتابى هذا درة الثين . فى أوهام القسيسين حتى استوعب
فيه ذكر اغلاطكم وأوهامكم (ايجى ايجى) وانما المقصود من ذلك أن
أبين لكم أن ادمغتم قد سقيت الحن والزكاة من وقت ذهابكم الى
الكتاب وقراءتكم فيه كتاب الزبور الى أن تصيروا كهلاً ثم شيوخاً
(دح دح) وانه مادتم على هذه الحال فلن يرجى لكم من ابلال
(ويب ويب)

ثم أن الفاريق أقام عند معلمه ريثما ختم الكتاب المذكور وبعد
ذلك أوجس منه المعلم أن يربكه فى مسائل تصعب عليه فينفضح
بها . فأشار على والده بأن يخرج من الكتاب ويشغله بنسخ الكتب
فى البيت (به به) فلبث على هذه الحالة مدة طويلة فاستفاد منها ما أمكن
لمله أن يستفيد من تحويد الخط وحفظ بعض الاثاظ (بد بد) وكان
أهل البلاد يفعلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليد . فعده أن
من يكتب خطأ حسناً هو الذى افق بين اقرانه فى الفضل . ومع شتهار
ذلك فلم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتب لا من بنات العيين
خطه وعاف الذوق السليم كلامه (عيط عيط) معاراز الخط لا يتوقف

على الحظ . وان ادارة الاحكام لا تقتقر الى تهذيب الكلام . (تع تع)
وأن كثيراً قد نالوا المراتب السامية والمراتب السنية وهم لا يحسنون
توزيع اسمهم الشريف (حسن حسن) غير ان الفارياق لم يكن قرير العين
بهذه الحرفة ، اذ كان يعتقد ان الرزق الذي يأتي من شق كشق القلم
لا يكون الا ضيقاً (وى وى) نعم ان كثيراً من الناس قد نالوا العيش
الواسع الهني ، واخبر المتتابع الوفي ، من مورد هو بالنسبة الى شق
القلم رحب لكنه بالنسبة الى شرفهم وسرفهم ضيق (واه واه) غير ان
الفارياق وقتئذ كان غراً لا تجربة له ولا خبرة ، فكان يحكم على البعيد
بالقريب ، ولا شيء أقرب الى عين الكاتب من لسان قلمه وطارض قرطاسه
أو أدنى الى قلبه من الكلام الذي يكتبه واللييب من قنع بالحرفة
التي يتعاطاها ولم يشق عليه أمت الشق ولم يشرب الى ما ليس يحسنه
(شم شم)

الفصل الثانى

فى 'نظارة عافية وعمامة واقية'

قد كان من طبع الفاريابى كما هو دأب جميع الاحداث أيضاً أن يحاكي فى الثى والاطوار والكلام من كان متميزاً فى عصره بالفضل والدراية ، وانه رأى ذات يوم قرزاً ماعماً بعمامة كبيرة مدورة . وكان هذا القرزاً يحسب وقتئذ من خول الشعراء ، فأحب الفاريابى أن يكون له مثل هذه العمامة على صغر رأسه ، فكان اذا مشى يميل رأسه منها يمنة ويسرة كالقاضي الذى يخرج فى الاسواق بعد صلوة الجمعة ويسلم على الناس واتفق ان أباه سار مرة الى دار الحاكم واستصعبه معه وأركبه مهرة له ، وكان هو راكباً حصاناً ، فكنا هناك أياماً يعين للفاريابى يوماً من الايام أن يركض المهرة فى الميدان وكان الحصان مربوطاً فى جانب ، فأجرى المهرة نصف شوط حتى اذا قابلت مربوط أليفها انفتحت اليه كالمشيرة ان فارسها غير جدير بركوبها بين جياد الامير فما كان من الفاريابى الا ان سقط على أم رأسه ، وأقبلت المهرة تجرى الى الحصان وغادرته مجندلاً على الجدالة ، ولو كان فارساً محيداً لما تركته على تلك الحالة بل كانت تنتظره حتى يقوم ، ثم انه قام بعد ذلك يحمد الله على كبر عمامته فانها هى التى وقت رأسه عن احدى الشجرات العشر وهى القاشرة الحارصة الباضعة الدامية المتلاحمة السمحاق الموضحة الهاشمة المنقطة الآمة الدامغة ولكنه قام محقواً ويومئذ عرف ان لكبر العمامة فضلاً ومزية ، وظن ان اتخاذ العمام السكبيرة عند أهل بلاده انما هى لوقاية رؤسهم فقط لا لتحسين وجوههم ، فان العمامة الضخمة تخفى محاسن الوجه وتشوه الوجه الصغير فضلاً عن كونها توجع الرأس

وتمنع صعود الابخرة من مسامه كما نص عليه الساعور الا كبر، فان قيل اذا كان سبب اتخاذ المعائم الكبيرة انما هو لوقاية الرؤوس لا للزينة والتحسين فما بال الذين يرقدون ليلا يتعممون ، فهل يخافون أن تتدحرج رؤسهم عن مصادغهم فيسقطوا في مهواة في بيتهم ، مع ان فرشهم تكون على الارض

قلت ان منشأ هذه العادة هو ان نساء تلك البلاد يتخذن في رؤسهن هذه القرون التي يقال لها هناك طناطير ، وهي تكون من فضة أو ذهب في طول الزراع وغلظ الرسغ ، فاذا بات الرجل مع امرأته حاسر الرأس أو كان على رأسه غطاء رقيق لم يأمن أن تنطحه بقرنها على قرنيه فتزنيه بإحدى الشجاج المذكورة ، فان أبيت الا اللجاجة وقلت ما سبب هذه القرون الحسية . هل هي دليل على التذكير بالقرون الممنوعة عند مخالفة الرجل لامرأته ، أو عند تقثيره عليها ، أو اجفاره عنها ، أو هي من قبيل الزينة أو من بطن النساء وشرهن بحيث اذا شمنن رائحة الايسار من أزواجهن رأين ان كل مجس من أجسامهن قمين بالحلى والزينة . اذا كن يعتقدن ان المستور منها عن عيون الناس غير مستور عن عيونهن وعيون بعولتهن ، وان كان في المسألة خلاف عظيم ، وتحليل وتحريم ، وان في التزين بحلى غير ظاهر للذة عظيمة ، فان مجرد العلم بأحراز شيء ثمين يسر صاحبه ، كما لو أحرز انسان كنزاً في حرز محجوب فانه يفرح به من غير أن ينظر اليه

قلت أما التذكير بالقرون الممنوعة فغير مظنون في نساء تلك البلاد لكونهن من ذوات العرض والتساون ، ولا سيما نساء الجبل ، وفضلاً عن ذلك فان هراوة الزوج ومقامع أهله وأهل امرأته وعيون الجيران أيضاً تمنعها عن الاتصاف بالصفة الزوجية التامة . أما في المدن فان هذه الصفة أقوى وأفشى ، وانما كان اتخاذ هذه القرون في الاصل

مناطاً للبراقع ؛ وكانت في مبدأها صغيرة قصيرة ثم طالت وكبرت بطول الزمن وكبر الدينار . وكلما زاد ايسار الرجل وماله زاد قرن امرأته طولاً وضخامة ، وهنا فائدة لا بد من ذكرها ، وهي ان لفظة القرن من اللفاظ التي اشترك فيها جميع اللغات كالصابون والقط والمزج وغيرها ، وقد شهرت عند جميع المؤلفين بأنها كناية عن كذا وكذا من طرف الزوجة في حق زوجها ، الا عند المؤلفين من اليهود فان الصفة القرنية في كتبهم من الصفات الحميدة ؛ ولذلك فكثيرا ما تسمع في كتاب الزبور ارتفع قرني وانت رافع قرني واني أنطح بقرني وما أشبه ذلك ، وفي كلا الاستعمالين غموض وإبهام ، أما غموض استعمال القرن عند المؤلفين من غير اليهود كناية عن خيانة المرأة زوجها فلان هيئة القرن لا تدل على عضو مخصوص من أعضاء الانسان ، وحقيقته ايضا لا تدل على حيوان مخصوص . فان الثور والوعل والتيس والسكركدن في ذلك سواء ، ولقظه كذلك غير مشتق من فعل يفير الى خيانة او ضمد فماعة هذا الاستعمال ، وقد استفتيت في هذه المسألة المشكلة كثيرا من المتزوجين المجردين . فكلهم كان يخيف ألوانا عند سؤاله له ، ويحجم في كلامه ويقوم من عندي وقد خجل ووجم ، فان فتح الله الآن على أحد ممن يطالع كتابي هذا في فهم حقيقة ما يراد من هذا الحرف عرفا واصطلاحا ، وفي بيان سبب استعماله كناية عن الضمد فليتنفضل بالجواب منه واحسانا ، فأما استعماله من مؤلفي اليهود كناية عن العزة والقوة والمنعة والغلبة فانه يرد عليه ما ورد على الاول من ان كثيرا من الحيوانات قد اشترك فيه . ومنها ما هو غير ذي قوة ولا بأس . فأنظر اختلاف الناس في لفظة واحدة ومعنى واحد

أما الصمامة فان اشتقاقها فيما أرى من عم بمعنى شمل لانها تم الرأس وهي على أشكال مختلفة . فنها الحزوني والكمكي والاطاري

والمكوري والمقوري والقهقوري والقرطلي والقعيلي ، وكلها على اصنافها
أحسن من هذه الاجران التي تلبسها رؤساء المارونية في الدين فلينظروا
وجوههم في مرآة جليلة

— — — — —

الفصل الثالث

في نوادر مختلفة

كان للفارياب ارتياح غريزي من صغره لقراءة الكلام الفصيح
وامعان النظر فيه ولالتقاط الالفاظ الغريبة التي كان يجدها في الكتب
فان أباه كان قد أحرز كتباً عديدة في فنون مختلفة . وكان اي الفارياب
يتهافت منذ حداثة على النظم من قبل أن يتعلم شيئاً مما يلزم لهذه
الصنعة . فكان مرة يصيب ومرة يخطئ . مع اعتقاده ان الشعراء
أفضل الناس وان الشعر أجل ما يتعاطاه الانسان . فقرأ يوماً في بعض
الاخبار عن شاعر كان في حداثة أباه مغفلاً ثم صار امره الي ان نبغ
في نظم القصائد المطولة وأجاد . فما حكى عنه انه سكر يوماً فقعده في
نحو ناموس (١) وجعل يخطب منه خطبة ابى العبر طردطبك طلندي

(١) قد وسم المطران جرمانوس فرحات في قوله في كتابه باب
الاعراب : التامور الوطاء ، والنفس والقلب ، وصومعة الراهب ،
وقانون الرهبنة ، وعبارة أصله وصومعة الراهب ، وناموسه ، فتوهم
ان الناموس هنا بمعنى القانون أو الشرع على ما اشتهر في عرف النصارى
ومراد صاحب القاموس المعنى الاصلي وهو القنطرة ، والعامة تقول :
ناووس وما اشتهر عندهم فهو اما تجوز عن صاحب المرا وهو يوناني معرب

بك فك يك من البلوعة

وانه أراد يوماً أن يتسور حائطاً ليتناول من بعض الثمر فوقه في
فنج كان قد نصبه صاحب البستان للحيوانات
وانه قال يوماً لأمه ان عند فلانة خادمة نظيفة غسأت اليوم باب
دارها فجاء اسود يلمع .

وانه رأى يوماً صبيّاً قد قلع أحد أضراسه فسار واقترض درهماً
وقال للحجام اقلع ضرسى أنا أيضاً فانه غير قاطع فى الاكل ، ولعل
ينبت لى فى مكانه ضرس أحد منه

وقيل له يوماً قد دونت عنك حكايات من حتمك كثيرة فقال بودى
لو أن أحداً يقرأها على لاضحك

ومرض أخوه يوماً فقال أبوه لزوجته قد أضره الطعام الذى اكاه
أمس ، فقال نعم قد أضره الاكل والخادمة معاً ، فقال له أبوه ما مدخل
الخادمة ها هنا ، فقال لعلها أعطته ما لم يجب

ورأت أمه على ثيابه دماً فقالت له ما هذا الدم ، قال قد وقعت فجرى
دمى وهو أحسن ، فقد يقال من وقع وجرى منه دم صح وتقوى
وجرح يده بسكين فرمى بها وقال هذه السكين لا تساوى شيئاً ،
فقال له أبوه لو كانت كذلك لما جرحت يدك ، فقال كل انسان يجرح
بده فى الدنيا سواء كان بسكين أو غيرها

وقال مرة قد رأيت فى السوق جنباً أبيض كالزفت ، وقيل له لم لا
تفسل يدك قال أغسلها فتمود وسخة فى الحال ، ولست أقدر على تنظيفها
لكون دمي وسخاً

ورأى ذات يوم رجلاً مصلوبين فقال لأمه يا أم اذا عاشت هؤلاء
الرجال أيضاً أفيقدر الذين صلبوهم على صلبهم مرة أخرى
وكان قوم يسألون عن منزل شخص فقال أنا أعرف مقره . قيل

كيف عرفته ، قال قد رأيت الرجل يمشي في السوق على رجليه
وقال يوماً من الثمانية الى التسعة يمضي الوقت أسرع من الستة الى
السبعة ، وقيل له أتحب اللحم أكثر أم السمك قال أظن اني أحب هذا أكثر
وقال له أبوه اذا كنت تفتن عنا افتحسب أن تكتب لنا كتاباً ، قال
نعم اكتبه واجب به أوصله اليكم

وسمع أباه يثني على خز اشتراه وكان به فرحاً ، فقال قد كانت
ساعة سعيدة انكم لم تشتروه

ورأى أباه يكتب كتاباً فقال له هل تستطيع يا أبت أن تقرأ
ما تكتبه فقال له كيف لا وأنا الذي كتبت به ، قال أما أنا فلا أستطيع
ورأى أباه يتأسف على طير فقده ، فقال له بارك الله في الساعة التي طار
فيها ، فقال له يا أحمق لما نتأسف على فقده ، قال له ولم لم تبني له داراً
قال أو يبني للطائر دار قال انما اعني عودين يجعلان من هنا ومن هناك
ووصف مرة حيوانات رآها فقال ورأيت أيضاً خنزيراً اكبر مني

وشكا وجعاً في رجله فقال ليت هذي الرجل تبلى
وكان أبوه يفسر له معنى اتقذ بان قال له اذا وقع أحد في النار مثلاً
وذهبت وأخرجته منها فذلك هو الاتقاذ ، قال ولكنه قد احترق
فكيف أتقذه ، وعلى فرض اني وضعت هذا السفود في النار ثم أخرجته
منها أف يكون ذلك ايضاً اتقاذاً

وفسر له يوماً آخر معنى يلوم فقال اذا أبطأ عليك شخص في شيء
وقلت له لم أبطأت لم تكاسلت فذلك يكون لوماً ، فقال وأقول له ايضاً
لم كبرت لم صغرت لم قصرت

ولامنه أمه على نخره عند الكلام فقال لها الا لا تلوميني ولكن
لومي روحي ؛ وأراد أبوه أن يخرج في يوم ماطر ثم عدل خوفاً من

المطر ؛ فقال لأمه يا أماه من عم الله أنا لم نخرج اليوم فان الهواء كان طيباً واشترت له أمه ثوباً فلما فصلته قال لها أو يزول لون هذا الثوب قالت لا أدري ، قال أرجو أن يزول فلعله يصير أحسن وقالت له أو ان الشتاء وهو لابس قيصاً فقط البس ثوبك فوق القميص ، فقال لها لا لاني أبرد به أكثر

ولامه أبوه على قراءته بصوت صلق فقال له لم هذا الصلق في القراءة قال لا أقدر أن أصرخ أكثر

وخفي عليه يوماً معنى الزيارة فقالت له أمه اذا سرت اليوم الى السيدة فلانة لانظرها فقد زرتها ، قال قد فهمت أنك تسيرين اليها كي تحذعها وقالت له أمه أن فلانة التي كانت تحسن اليك قدمات فسكت ساعة ثم قال ، قد حزنت عليها كما حزنت على موت أمي ، الله يبعثها الى الجنة هي وزوجها حالاً

وقال يوماً لوالده أن معلنا اليوم قد اشتري قضيباً ليضرب به الاولاد ولكنهم يفضونه عمداً حتى يضربهم به فينكسر فاستريح أنا أيضاً وقال لأمه وقد مرضت اذا جئناك بالطبيب ولم يشأ الله أن يشفيك فما الحاجة الى دواء

وقال لها مرة أخرى استعملى هذا الدواء فلعلك تمرضين . وأراد يوماً أن يوقد النار فقال أردت أن أطفئها فما أنطفأت

وقالت له أمه سر الى فلانة وقل لها لاى شئ تخافين من أمي انما هي بشر من بنى آدم مثلك ، فقال أقول لها تقول لك أمي لاى شئ تنفرين منها انما هي من بنى الحيوانات مثلك

وقال مرة في شئ أعجبه تبارك الله من كل عين . وقيل له يوماً أن فلاناً يريد أن يأخذك الى مدرسته ليعلمك . فقال بعته الله الى الجنة . قال له أبوه أتريد أن تميته . قال فكيف أقول اذا . قال قل أمثال الله

عمره . قال طوله الله

وقال لامة اتمطينى اليلة من تلك الحلاء . فقالت له ان عشنا الى اليلة . قال نحن نعيش الى غد فكيف لا نعيش الى الليل - انتهى - فطالع بذلك أحد الالباء في بلاده وقال له قد ظهر لى ان هذا كلام أبله ما موه . أو مدله بوه . أو مسمه مسبوه . أو عمه مشدوه . أو نحه معتوه . فكيف صار بعد ذلك شاعراً . فقال له يحتمل أن كلامه هذا كان قد تمعده ليضحك به أبويه . أو أنه كان بليد البادرة ولكنه حديد الفاكرة . فان من الناس من يدهش للسؤال فلا يكاد يجيب الا خطأ . فاذا اعمل فكره في خلوة أحسن كل الاحسان . أو أنه قصد بذلك أن يكون نبهاً مشهوراً بين الناس ولو بحماقة ورقاعة . فان أكثر الناس يحاول الشهرة باى وجه كان . ففهم من يتعاطى الترجمة للكتب والتعليم وهو لا يدرى شيئاً . ولكنه يفرح بان يضع اسمه في أول الكتاب . وبان يحشيه بعبارات ركيكة وأقوال سخيصة من عنده . أو بان يروى عنه فيقال قال فلان كذا وكذا ويكون قوله خطأ وهذراً . ومنهم من يترقب في صدر المجلس بين اخوانه واقرانه ويطلق يحكي لهم حكايات عن بلاد بعيدة ويخلط كلامه ببعض الفاظ تعلمها من لغة المعجم فيقول لهم مثلاً صان فاصون . وپاردون موسيو . ودنكوى . وفارى ول . اشارة الى أنه أطال السياحة في بلاد فرنسا وايطاليا وانكلترا وتعلم لغاتهم وهو يجهل لغته التى نشأ عليها . ومنهم من يتخذ له عمامة كبيرة يضاهي بها بعض العلماء . فان كبر العمامة يدل على كبر الرأس . وكبر الرأس يدل على جودة العقل وصواب الرأى . ومنهم من يتكلف محاكاة لهجة ماعن عرفوا بالفصاحة فتراه يتشدق ويجمع ويستعمل الفاظاً في غير محلها

وبعد فلا ينبغي ان يكون الشاعر طافلاً او فيلسوفاً ، فان كثيراً

من المجانين كانوا شعراء ، او كثيرا من الشعراء كانوا مجانين ، وذلك كأبي
العبر وبهلول وعليان وطويس . ومزبد ، وقد قالت الفلاسفة ان اول
الهوس الشعر واحسن الشعر ما كان عن هوس وغرام ، فان شعر العلماء
المتوقرين لا يكون إلا مقرزما ، فلما سمع الفارياب ذلك زهد في الشعر
ورغب عنه الى حفظ الالفاظ الغريبة ، لكنه لم يلبث ان رجع الى خلقه
الاول ، وذلك ان اباه اخذه معه الى بعض القرى البعيدة ليجي المال
لمضروب على سكانها الى خزنة الحاكم ، فانزله اهلها منزلا كريما ، وكان
بالقرب من منزله جارية بديعة الجمال ، فحمل الفارياب على صغره ينظر
اليها نظر المحب الرافى جريا على عادة لاغرار من العشاق ، من أنهم يبتدون
العشق في جاراتهم استخفا للطلب واستشفاعا بالجارية ، كما ان عادة
الجارات تهنيذ جيرانهن وتغميرهن اشارة الى انه لا ينبغي البحث عن الطبيب
البعثد اذا امكن التداوى عند القريب ، غير ان المحنكين في الحب يبعدون
في الطلب ويرودون أنزح منتجع ، لانهم لما جعلوا ذاهبهم وديدنهم أشباع
النفس من هواها كان عندهم السعى في ذلك فرضا واجبا ، ووجدوا
في الابعاد والنصب لذة عظيمة . اذ من فتح فاه رجاء ان تتساقط الأثمار
فيه لم يعد إلا مع العاجزين ، والحاصل أن الفارياب هوى جارته لأنه
كان غرا . وانها هي استهوته واطمعت له لكونها جارة . ولان منزلته من
حيث كونه مع أبيه كانت تميل الناس اليه ، غير ان مدة اقامته هناك
لم تطل ، واضطر الى الرجوع مع أبيه وقد بقي كائنا بالجارية : فما حان
الفراق بكى وتحسر وتنفس الصعداء ونخزه الوجد لان ينضم قصيدة يعبر
بها عن غرامه ، فقال من جملة أبيات

افارقها على رغم واني اغادر عندها رائحة روحى
وهي اشبه بنفس شعراء عصره الذين يتسمون ايماناً مغالطة بأنهم
قد عافوا الطعام والشراب شوقا وغراما ، وسهروا ايام الطويلة وجد ،

وهياماً ، وانهم ناسمون وقد ماتوا وكفنوا وحنطوا ودفنوا ، وهم
عند ذلك يتلهون بأى لهوة كانت ، ثم انه لما اطلع ابوه على تلك
الايات الفارقة قال لاه عليها ونهاه عن النظم ، فكانما كان قد اغراه
به ، فان من طبع الاولاد فى الغالب الخلاف لما يريد من ابائهم ، ثم
انه فصل من تلك القرية حزينا كئيبا متبعا مفتونا .



الفصل الرابع

في سرور وطنبور

قد كان ابو الفارياق آخذاً في أمور ضيقة المصادر غير مأونة
العواقب والمصائر ، لما فيها من القاء البغضة بين الرؤس ، وشغب أهل
البلاد ما بين رئيس ومرؤوس ، فقد كان ذا ضلع مع حزب من مشايخ
الدروز مشهور بالنجدة والبسالة والكرم ، غير أنهم كانوا صغرا لا يدي
والا كياس والصندوق والصوان والهميان والبيوت ، ولا يخفى ان
الدنيا لما كان شكلها كروياً كانت لا تميل الى احد إلا استمالها بالمذور
مثلها وهو الدينار ، فلا يكاد يتم فيها امر بدونه ، فالسيف والقلم قائمان
في خدمته ؛ والعلم والحسن حاشدان الى طاعته ، ومن كان ذا بسطة في
الجسم وفضل في المناقب فلا يفيد طوله وطوله بنير الدينار شيئاً ،
وهو على صغر حجمه يغلب ما كان كبيراً ثقيلاً من الاوطار ولبانات
النفس ، فالوجوه المدورة المدنرة خاضعة له أيا ن برز ، والقذود الطويلة
منقادة اليه كيفما دار ، والجباه المريضة العلية مكبة عليه ، والصدور
الواسعة تضيق لفقده ، فأما ما يقال من ان الدروز هم من ذوى الكسل
والتواني وانهم لا ذمة لهم ولا ذمام فالحق خلاف ذلك ، أما وسمهم
بالكسل فأحرى أن يكون ذلك مدحاً لهم ؛ فانه ناشئ عن القاعة
والزاهة والزهد ، غير أن الصفات الحميدة التي يتنافس فيها الناس متى
جاوزت الحد قليلا التبت بقيصها ، فالافراط في الحلم مثلاً يلتبس
بالضعف وفي الكرم بلبس بالتبذير ، وفي الدجاعة بالهور والمضمرة
لا بل الافراط في العبادة والتدين ياتس بالهوس والخيال .
هكذا ولما كانت الدروز مفرطون في المراءاة لا ترى من بعدهم

احدا يقتحم القفار يخوض البحار في طلب الازاء (١) وفي التألق في
الملبوس والمطعم ، ولا من يسف للامور الخسيسة ويدنق فيها ، أو
من يباشر الصنائع الشاقة ، ظن فيهم الكسل والتواني ، ومعلوم انه
كلما كثر شره الانسان ونهمه ، كثر نصبه وكده وهمه ، فالتجار من
الافرنج على ثروتهم وغنائم اشقى من فلاحى بلادنا ، فترى التاجر منهم
يقوم على قدميه من الصباح الى الساعة العاشرة ليلاه واما أن الدروز
لا عهد لهم ولا ذمة فانما هو محض افتراء وبهتان ، اذ لم يعرف عنهم
انهم عاهدوا بشئ ثم نكثوا به من دون أن يحسوا من المعاهد اليه
عدرا ، أو ان أميرا منهم أو شيخا رأى امرأة جاره النصراني تفتسل
يوما فأعجبته بضاضتها وبتيلتها وبوصها ، فبعث اليها من تملق لها أو
غصبها ، وأنت خير بأن كثيرا من النصارى عاثشون فى ظلمهم ،
ومستأمنون في حماهم ، وانهم لو خيروا أن يتركوا مستأمنهم هذا
ليكرونا تحت أمن مشايخ النصارى لابوا ، وعندى ان من كان يرعى
حرمة الجار فى حرمة كان خائفا بكل خير ، ولم يكن ليخونه فى غيرها
فاما ما جرى من التحزب والتألب بين طوائف الدروز وغيرهم فانما
هي امور سياسية لاتعلق لها بالدين ، فبعض الناس يريد هذا الامير
حاكما عليهم راءهم يريد غيره ، وكان أبو القاريق ممن يحاول خلع
الامير الذى كان وقتئذ واليا سياسة الجبل ، فانحاز الى أعدائه وهم من
ذوى قرابته فحزرت بينهم مهاوش ومناوش غير مرة ، وآل الامر بعدها
الى ذل أعداء الامير ، فقرروا الى دمشق ياتمسون النجدة من وزيرها
نور الدين زنك ، وفى تلك الليلة التى فروا فيها هجمت جنود الامير
عبر ركن القاريق ، ففر مع امه الى دار حصينة بالقرب منها وهي

(١) الازاء در سبب الين أو ما سبب من رغبه .

لبعض الامراء ، فنهب الناهبون ما وجدوا في بيته من فضة وآنية ومن جملة ذلك طنبور كان يعزف به أوقات الفراغ ، فلما أن سكنت تلك الزواجر رجع الفاريابي مع امه الى البيت فوجداه قاعاً صنفصفاً ، ثم رد الطنبور عليه بعد أيام ، فان من نهبه لم يجد في حمله منفعة ولم يقدر أن يبيعه اذ العازفون بالآلات الطرب في تلك البلاد قليلون جداً ، فأعطاه لتأسيس تلك القرية كثرة صانعيها ، فردده القسيس على الفاريابي ، وكأني بمعرض هنا يقول ما فائدة هذا الخبز البارد ، قلت أن وجود الطنابير في الجبل عزيز جداً كما ذكرنا . فان صنعة الالحان والعزف بالملاهي يسم صاحبهما بالشين ، لما في ذلك من التطريب والتعصي والتشويق ، والقوم هناك يفلون في الدين ، ويحذرون من كل ما يولد الحواس ، ولذلك لا يشاءون أن يتعلموا الفناء والعزف باحدى آلات الطرب ، أو يستعملوها في معابدهم وصلواتهم كما تفعل مشايخهم الافرنج خشية ان يفضي بهم ذلك الى الالحاد ، فعندهم ان كل فن من الفنون اللطيفة كالشعر والايقاع مثلاً والتصوير مكروه ، ولكن لو انهم سمعوا ما يتغنى به في كنائس مشايخهم المذكورين من الموشحات ، أو ما يعزف به على الارغن من اللحن التي ولع الناس بها في الملاعب والمرافص ومحال القهوة استجلاباً للرجال والنساء ، لما راوا في الطنبور انما . فان الطنبور بالنسبة الى الارغن كالقص من الشجرة أو كالتخذ من الجسم اذ لا يسمع منه إلا طنطنة وفي الارغن طنطنة ودندنة وخنخنة ودمدمة وصلصلة ودربلة وجلجلة وقلقلة وزقزقة ووقوقة وبقيقة وفقفقة وطققة ودققة وقمقة وفرقة وشخشة وخشخة وجرجرة وغرغرة وخرخرة وقرقرة وبربرة وطبطبة ودبدة وكهكهة وقهقهة وبعبع وبعبة وززرمه ومهممه وححمه وغططمة وقاقاة وداداة وضاضاء ويايآء وقاقآء وصهصلق وجلنباق وغطيط وجخيف وفخج

وحفيف ونشيش ورنين وتقيق وطنين وعجيج وادبر ودوى وخريز
وازيز وهرير وصرير وشخب وصيى ومواء وفاق فاق وغقى
غقى وطاق طاق وشيب شيب ومي مي ومليخ مليخ وقيق قيق وخاز باز
وخاق باق ، فان هذا كله هداك الله من طن طن ، فان قيل ان الرغبة
عن العزف به انما هو لكونه يشبه الالية ، قيل فما بال النساء يدخلن
الكنايس وعلى رؤسهن هذه القرون الفضة وهى تشبه فنتيسة الخنزير
اجلك الله عن ذكره ، وفنتيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره تشبه كذا
وكذا ، فقد تبين لك ان اعتراضك غير وارد ، وان ذكر الطنبور كان
في محله ، فان آيتت إلا العناد وتصديت لان تخطئى وتتعقبى بزة قلم
وبغير زلة ، ورمت أن تبدى للناس براعتك فى الاتقاد على فانى امسك
عن اتمام هذا الكتاب ، ولعمري لو انك علمت سبب شروعى فيه
وهو التنفيس عن كربك وتسلية خاطرك لما فتحت فاك على بالملامة فى
شئ فقابل الاحسان اصلحك الله بالاحسان واصبر على حتى أفرغ من
غزل قصتى وبعد ذلك فان عن خاطرك أن تلقى بكتابى فى النار
أو الماء فافعل

ولنعد الآن الى الفارياق فنقول انه أقام مع والدته فى البيت يتعاطى
النساخة ، وانه لم يلبث ان ورد عليه نعى والده فى دمشق ، فتنفطر قلبه
لهذا الفجع وود لو بقى الطنبور عند فاهبه ، وكانت أمه تنفرد فى كل
صباح وتندب زوجها وتحنس عليه وتذرف المدامع لفقده ، فانها كانت
من الصالحات المتحبيات لازواجهن عن خلوص وداد وصدق وفاء ،
وكانت نظن ان ابنها لا يراها فى انفرادها حتى لا يزيد حزنها برؤيتها
اياهم ببكى لبكاها ، لكن الفارياق كان ينظرها فى خلوتها ويبكى لوحشتها
ووحدها أشد البكاء ، فاذا رجعت كفكف عبراته وتشاغل بالكتابة
أو بغيرها . ومنذ ذلك الوقت عرف انه لا ملجأ له بعد الله غير كده

فحكف على النساخة ، غير ان هذه الحرفة مذ خلق الله القلم لا تكفى
المحترف بها ولا سيما فى بلاد لوقع قرشها طنين ورنين ، ولرؤية دينارها
تكبير وتعويد الا أن ذلك جوّد من خطه ورقق من فهمه .

الفصل الخامس

فى فسيس وكبس ومحبس وتامبس

من قرأ آخر الفصل المتقدم ثم أتاه خادمه يدعوه للعشاء فترك
الكتاب وقام يستقبل الكاس والطاس والقدر والكوب مما اختلفت
أشكاله وتفاوتت مقاديره ، ثم اقبلت عليه اخوانه يسامرونه ففهم من
قال له انى ضربت اليوم جاريتى ونزلت بها الى السوق على عزم أن أبيعها
ولو بنصف ثمنها ، وذلك لانها أجابت سيدتها جواباً سخيفاً ، ومنهم
من قال له وانا أيضاً ضربت ابنى أشد الضرب لاني رأيت يلبس مع
أولاد الجيران ثم حديثه فى الكنيف وهو باق الى الآن فيه ، وبعضهم
قال وأنا أيضاً حرّجت اليوم على زوجتى بان تطلعنى على جميع ما يخطر
ببالها ويخرج صدرها من الافكار والهواجس . وبما تحله أيضاً فى الليل
من الاحلام التى تنشأ عن امتلاء الدماغ من بخار الضمام . أو من دخان
الغرام قبل النيام ، وقات لها ان لم تخبرنى باليقين اضريت بك يا
القسيس فيكفرك ويخطر عايبك ثم يستخرج منك كل ما تكتم بن
وتضمرين . ويطلع على كل ما نسترين وتخفين وتصومين . وعلى ما
تحذرين منه ونحرسن عليه . وترتاحين له وتميئين له ويكاتبين ،

وقد خرجت من داري غضبان متنعراً وحزمت بأن لا أصلحها إلا إذا كانت تقص عليّ أحلامها . وبمضهم قال ان مصيبتى فى بنى اعظم وذلك انها بعد أن تمشت اليوم وتعبت وتعبت وتطويت وتطوست وتبرقت وتزينت وتبرجت وتزينت وتضرجت وتزخفت وتزرجت وتشوفت وتسرجت وتنفشت وترقشت وتزهنت وبرقت وتحفلت وتزوقت وتقينت وتزلفت وتزبرقت وتألقت جلست بالشباك لتنظر الواردين والصادرين فنهيتها عن ذلك فانصرفتم ثم خالفتنى فرجعت الى موضعها . وأوهمتنى انها تحيط هناك بمض ملبوس لها ، فكانت كلما غرزت بالابرة غرزة تنظر نظرتين ، فقامت اليها مستشيظاً غيظاً وجبذتها بشعرها الذى مشطته وضفرتة وعقصته فطلع بيدي منه خصلة وهاهى ممي ، وهيات ان تنتهى عن غيها ولو تنفت شعرها كله ، فانها كالهمرة الجامحة بغير عنان ، لا يردّها لكم بالاكف ولا ضرب بعيدان ، نعم ان من ملأ أعصاه بالوان الطعام ، وأذنيه بمثل هذا الكلام ، فلا بد وأن يكون قد نسي ما جرى على الفاريق من الوقوع الحسى والمعنوى ومن لجمه بنعي أبيه ، ومن اقباله على نسخ الكتب واكتسابه من ذلك جودة الخط فمن ثم اضطررت الى الاعداء ، وأزيد هنا أن أقول .

انه لما شاعت براحتة فى النسخ أرسل اليه من اسمه على وزان بعير بيهر استدعيه لنسخ دفاتر كان يودعها كل ما كان يحدث فى زمانه ، وليس الغرض من ذلك افادة أحد من العالمين ، وإنما كان امساكاً للحوادث من ان تنفت من مدار الايام ، أو تنفك من سلسلة الاحوال ، فان كثيراً من الناس يرون ان احضار الماضى وجعله حالاً منظوراً من الأمور العظيمة ، ولذلك كانت الافرنج حراساً على تقييد كل ما يقع عنده . خروج عجوز من بيتها صباحاً وعودها اليه فى الساعة العاشرة وهى تفقد كلباً لها ، والريح عاصفة والمطر واكف لايفوت اقلامهم ،

ولا يمدو خواطرهم ، ففي مقدمة ديوان لامرئين أعظم شعراء
الفرنساويين الموجودين في عصرنا هذا وهو الديوان الذي سماه (التأمل
الشعري) مآرجته : وكانت العرب يدخنون التبغ في قصبات لهم طويلة
وهم ساكتون وينظرون الى الدخان متصاعداً كأعمدة زرقاء لطيفة الى
ان يضمحل في الهواء اضمحلالا يشوق الراى ، والهواء اذذاك شفاف
لطيف ، الى أن قال : ثم ان صحى من العرب جعلوا الشعر في خال من
شعر المزمى ووضعوها في أعناق الخيل وهى حول خيمتى ، وأرجلها
مربوطة في حلق من حديد وهى غير متحركة ، ورؤسها مخفوضة الى
الارض مظلة بنواصيهما الشعثة ، وشعرها أشهب براق يخرج منه دخان
تحت أشعة الشمس الحامية ، وكانت الرجال قد اجتمعت تحت ظل زيتونة
من أعظم ما يكون ، وفرشوا تحتهم على الارض حصيرا شاميا وأخذوا
في الحديث والحكايات عن البادية وهم يدخنون التبغ ، وينشدون
أشعار عتر وهو من شعراء العرب الذين اشتهروا بالحماسة والراية
(أى رعاية البهائم) والبلاغة وقد بلغت أشعاره منهم مبلغ النبالة في
الاركية . وحين كان يرد عليهم من الايات ما يؤثر في قلوبهم أكثر كانوا
يرفعون أيديهم الى اذانهم ويترقبون برؤسهم ويصرخون تارة بمد تارة
الله الله الله ، الى أن قال في وصف امرأة رآها تبكى عند قبر زوجها ،
وكان شعرها مسدلا من عند رأسها مائتفا عليها ومماسا للارض ، وكان
صدرها مكشوفاً كله على ماجرت به العادة عند نساء تلك البلاد من
بلاد العرب ، وحين كانت تتطأ للثم صورة العمامة على رجام القبر أو
تصنى اذنفا اليه كان تديها البارزان يمسان الارض ويرسمان في التراب
شكلهما كالقالب ، اه صفحة ٢٤ وسائر هذه المقدمة على هذا النمط مع
انه سماها مقدور الشعر ، أى ما قدره الله تعالى على الشعر والشعراء ؛
وفى رحلة شاطوبريان الى امريكا وهو ايضا من أعظم شعراء عصره

ماصورته : وكان منزل رئيس الدول المتحدة عبارة عن دار صغيرة مبنية على اسلوب الانكليز في البناء ؛ من دون خفرة عندها من العسكر ولا حشم داخلها ؛ فلما قرعت الباب فتحت لي جارية صغيرة فسألتها هل الجنرال في البيت ؛ فأجابت نعم . فقلت ان عندي رسالة أريد أن أبلغه اياها ؛ فسألتني عن اسمي وصعب عليها حفظه فقالت لي بصوت منخفض ادخل ياسيدي ، (واوردهذه العبارة باللغة الانكليزية وهي Walk in sir) تنبها على معرفتها) ثم مشت أمامي في ممشي طويل كالدهليز ، ثم دخلت بي الى مقصورة وأشارت اليّ ان أجلس فيها منتظرا الخ صفحة ٢٥ ، وفي موضع آخر ، انه رأى بقرة عجفاء ، لامرأة من هند اميركا ، فقال لها وهو راث لحالها ما بال هذه البقرة عجفاء ، فقالت له انها تأكل قليلا ، واورد هذه العبارة ايضا باللغة الانكليزية وهي (She eats very little) وفي موضع آخر ذكر انه كان يرى كسف السحاب بعضها في شكل حيوان وبعضها في شكل جبل أو شجرة وما أشبه ذلك ، فاذا قد عرفت هذا فاعلم ان اعتراضك على في ايراد ما هو غير مفيد لك لكنه مفيد لي لا يكون الا تمنا ، فان هذين الشاعرين كتبنا ما كتبناه ولم نخشيا لومة لائم ولم يعترض عليهما أحد من جنسهما ، وقد اشتهر فضلهما وصيتهما حتى ان مولانا السلطان أدام الله دولته أقطع لامتريين في أرض ازميز اقطاعات عظيمة ، ولم يسمع عن ملك من ملوك الافرنج انه أقطع شاعرا عربيا أو فارسيا أو تركيا مقدار جريب واحد في أرض طامرة ، ولا غامرة ، فاما كون وزان بعير ييمر قد حاكي الافرنج في تاريخه وهو عربي وأبواه ايضا عريان وعمه وعمتة كذلك عريان ، فما لم اتيقنه الى الآن ، ولعلّي أعلمه بعد انجاز هذا الكتاب فأحبر به القارئ ان شاء الله ، وانما أرجو انه أي القارئ لا يقطع قرأته لجهله سبب هذه المحاكاة وان يكن العلم به مهما ؛ ودونك مثالا بما

كان يكتبه القاريق في اساطير بعير يبعير ، في هذا اليوم وهو الحادى عشر من شهر اذار سنة ١٨١٨ قصّ فلان ابن فلانة بنت فلانة ذنب حصانه الأشهب بعد ان كان طويلا يكنس الأرض ، وفي ذلك اليوم بعينه ركب فكبابه . فان قلت ما سبب النسبة الى الام دون الاب ، قلت ان بعير يبعير كان من المتدينين المتورعين المتقين ، فنسبة الولد الى أمه أصح وأصدق من نسبته الى أبيه ، فان الام لا تكون الا واحدة بخلاف الاب ، ولكون الجنين لا يمكنه الخروج الا من مخرج واحد ؛ ومن ذلك ، اليوم نظرت سفينة في البحر ماخرة فظن أنها بارجة قد مدت من أحد مراسي فرسا لتحرير أهل البلاد ؛ لكنه عند التحقيق ظهر انها انما كانت زورقا مشحوناً بىراميل فارغة ، وكان سبب قدومه للاستقآ من عين كذا ، فان قيل ان هذا خلاف الممهود ؛ فان من شأن الكبيرة ان يبدو للعين عن بعد صغيرا لاسكه ؛ قيل ان الانسان اذا أعطى نفسه هواها رأى الشيء بخلاف ما هو عليه ؛ فمن أحب مثلاً امرأة قصيرة لم يربها قصرأ ؛ ومن خلا بمحبوبته في فترة رآها أوسع من صرح بلقيس ؛ وبعد قانا نرى النور الصغير عن بعد كبير ؛ فلاغرو ان يبدو الزورق بارجة أو شونة ؛ فان القوم هناك مازالوا يحملون بأن رؤسهم قد تبرطلت بىراطل الفرنساوية ولحموا عرضهم بمرضهم حتى يروا نسآم كما قال الشاعر

تصيد طلباً ونا الاسد الضوارى بلحظ أو بلفظ في المسالك

وغزلان الفرنج تصيد ايضاً بذن معا وبالايدى كذلك

وكان بعير يبعير ستهما جملطراً أحرقة ؛ لكنه كان حليماً يحب السلم والدعة ، وكان من التغفل على جانب عظيم فكان مقوضاً أموره المغاشية الى رجل لثيم شرس الاخلاق عيده به كبر وعنجهية وعجرفة وتهجس وغطرسة . وكان تمضى عليه الساعة والساعتان وهو لا يبدى ولا يعيد .

فيظن الغرانه معمل فكره في تدبير الدول . أو تلخيص النحل . فقد جرت العادة بأن الرجل اذا كان ذا منزلة رفيعة فان كان عيبا مفصمعا مد رزينا وقورا . وان يك مهذاراً عد فصيحاً . فاما اموره المعادية فانها كانت تعلو وتسفل وتضوى وتحزل وتفتق وترتق بتدبير قسيس ذي دعاية وفكاهة وبشاشة وهشاشة . قصير سمين . أبيض بدين . وكان هذا القسيس الصالح قد تمكن من حريمه تمكنا لا يباريه فيه النسيم . والقي عصاه عند احدى بناته وكانت ذات وجه وسيم . ومنطق رخيم . وكانت تزوجت برجل قد جن وتضبل فخلته وجنونه واعتصمت بعقوة أبيها فكان القسيس آمراً عليها مطاعاً . ناهياً وزاماً . فكانت كلما دخل فيها شيء أو خرج منها شيء تظالمه به لانها كانت ممن فقط قطري الدين والدنيا ممأ . وكانت تعترف له بجرائرها في الخلوة . وهو يسألها عن كل زلة وهفوه . فيقول لها هل تنذبذب اليك ويترجرج ثديك عند صعودك الدرج أو عند المشي . وهل يحدث فيك هذا الارتجاج من لذة . فقد ورد في بعض الاخبار ان بعض الجلامظه كان يرتاح الى أى ارتجاج كان . حتى كان كثيراً ما يتمنى ان تنزول الارض من تحته . وتمور الجبال من فوقه . وهل يمثل لك في الحلم ضجيع يكافحك . وخليع يصالحك اذ لافرق عند الله بين اليقظه والنمام . وان أعظم الحقائق انما بني على الاحلام . وهل وسوس اليك الوسواس الخناس فاشتبهت أن تكوني خنثى . أى ذكر وأُنثى . لا لأذكر ولا انثى كما تقول العامه فان هذا القول لم يرتضه المحققون من الربانيين الرايين ، وغير ذلك من المسائل التي يضيّق عن تفصيلها هذا الفصل ، وكان أبوها لا يسيء به الظن لما تقرر عنده من أن كل من لبس السواد فهو من الفاطميين اهوآهم عن اللذات ، الخاصين انفسهم عن الشهوات ، حتى انه نظر يوماً في بعض الكتب هذا البيت وهو

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أطاويق حتى ما تدر لنا نعل
فطن انه تعريض بهم وتلميح فأمر باحراقه فأحرق وذرى رماده
ورأى يوماً آخر يبتين في كتاب آخر وهما

ما بال عيني لا ترى من بين من لبس السواد من العباد نحيفا
ما كان من لحم وشئ غيره فيهن فاصلب ما يكون وقوفا
فأمر أيضاً باحراق الكتاب ، وبث جواسيس في البلد يتجسسون عن
مؤلفه ونودي في الروابي والوهاد ، ألا من دل على مؤلف كتاب كذا
فانه يجزى أحسن الجزاء ، ويرقى الى رتبة سنية ، فلما سمع المؤلف
بذلك اضطر الى الاختفاء مدة حتى نسي اسمه ، فان قلت ان هذا
الفعل خلاف ما وصفته به من الحلم ، قلت ان عادة اهل تلك البلاد ان
الحلم يكون محموداً في كل شئ إلا في أمرين حرمة العرض وحرمة الدين
فان الاخ ليسل اخاه الى الهلكة من اجلهما ، ثم ان الفاريق أقام عند
هذا الحليم مدة لم يحصل فيها على طائل ، وكانت نفسه عزيزة عليه فلم
يرد ان يسأله ، فن تم جمع ذات ليسة خطباً وتبنأ كثيراً واطلق فيهما
النار فانبعث الهميب نحو مقصورة بعير بيعر ، فطن ان النار قد سرت
في قصره ، فاستوشى القيام والقعود فاقبلوا يتسابقون الى موضع النار
فرؤا عندها الفاريق يزيدا من الخطب الجزل ، فسألوه عن ذلك فقال
ان هذه النار من بعض النيران التي تنوب عن اللسان ، وان لم يكن لها
صورة لسان ، ومن فوائدها انها تنبه الغافلين ، وتنذر الباخين . أن
وراءها لقولا شديداً . ولسانا حديداً ، فقالوا ويحك انما هي من بدمك
أو يكلم أحد بالنار ، لقد سمعنا ان الانسان يكلم غيره ببوق أو بقرع
عصا أو بإشارة أصبع أو بغمز عين أو برمز حاجب أو برفع يد من
عند الابط . فأما بالنار فبدعة وضلال . وكادوا أن يبدعوه ويكفروه
وينسيوه الى التمجس ويطرحوه النار لولا أن قلّة قل منه . رد و

الجواب على مرسلكم . ولا تفعلوا شيئاً عن تهوئك . فلما اخبروه بما رأوا وسمعوا . استرأه واستنطقه عن ذلك الاجيب . فقال اصلح الله المولى . وزاده فضلاً وطولاً . قد كان لى كيس لا ينفنى ولا أنقعه . وللا كياس ولما جاء على وزنها وروبيها مادة مخالفة لسائر العادات . وهى انها اذا خفت ثقلت . واذا ثقلت خفت . فلما خف كيسى فى جوارك السعيد أى ثقل أحرقته بهذه النار . وانما جعلتها عظيمة هكذا لاني كنت أؤممه كرضوى فى جيبى . حتى أنه كثيراً ما منعنى عن النهوض والخروج لحاجة مهمة . فلما سمع قوله ضحك من خرافته ورضخ له من كفه الجامدة شيئاً يقابل ما كتبه له الفارياق فى أسفاره فى الحساسة فاقبل يحنبش الى بينه وآلى أن لا يكتب شيئاً بعد ذلك إلا ما طاب موقعه . وجل نفعه . رجاء أن تكون الاجرة على قدر العمل . وهيهات فان أكثر الناس تقماً وشغلاً . اقلهم اجراً وجعلاً . ومن لم يحسن إلا التوقيع أحل . المحل الرفيع . ولقمت يده وقدمه كما ياقم الشدى الرضيع .



الفصل السادس

في طعام والنهائم

بينما كان الفارياب رأسه ورجلاه في البيت كان فكره يصعد في الجبال ويرتقى التلال . ويتصور الجدران . ويتسنى القصور ويهبط الاودية والغيان ويرتطم في الاوحال . ويخوض البحار . ويجوب القفار . اذ كان أقصى مراده أن يرى منزلاً غير منزله . وناساً غير أهله . وهو أول عناء الانسان في حياته . فمن له أن يزور اخاه كان كاتباً عند بعض أعيان الدروز . فسار وحقائبه الاماني . فلما اجتمع به ورأى ما كان عليه القوم من الخشوة والتكشف ومن الاحوال المغايرة لطباعه . انكر بعضها ووطن نفسه على تحمل البعض الآخر ، ولم يشأ وشك الرجوع من دون تقصي معرفتهم ، ولو كان رشيداً لصرف نفسه عن هواها من أول يوم ، اذ ليس من المحتمل أن أهل مدينة أوقرية يغيروا أخلاقهم وما ربوا عليه لاجل غريب دخل فيهم ، ولا سيما اذا كانوا شياطينة ذوى بسطة وبأس . وكان هو قبيحاً . ولكن الانسان كلما قل شغله كثر فضوله . فلا يكتفى بمجرد ما يسمع باذنه حتى يرى بعينه وكان الفارياب كلما زاد بهؤلاء القوم خبرة وتقدراً زاد اعراضاً عنهم وزهداً . لانهم كانوا غلاظ الطباع . بهم جناء واقطاع . وسخى الوساد والملبوس ملازمى الضعف والبوس . وأقذروهم كان طبابخ الامير فان قبيصه كان انثى من المسحاة . وقدميه اقلتنا من الوسخ مالا تكاد تقشطه عنه المسحاة . وكانوا اذا قعدوا للطعام سمعت لهم زمزمة وهمهمة وقعقة وطعطنة فخلتهم وحوشاً على جيفة يثرملون ويرهطون وينهسون ويتعرقون

ويتمششون ويتلمظون ويتمطقون ويلوسون ويلطمون ويتنطمون
وكل ذلك في فرشة خفيفة فكنت ترى في جبهة كل منهم مضمون
ما قيل من لطف لم يتقصف . فاذا قاموا رأيت الرز مزروعا في لحام
والوضر متقاطرا من كساحم . فكان القاريق اذا آكلهم قام جوطانا .
ومت عليه امعاؤه في الليل فبات سهرانا . فكان يقول لأخيه عجباً
لمى يعاشر هؤلاء الناس . من الاكياس . ما الفرق بينهم وبين البهائم .
سوى بالحى والمعائم لاجرم انهم عائشون في الدنيا لسد بصائرهم
وأفكارهم . ولفتح أفواههم وأدبارهم . لا يكاد أحد منهم يظن ان الله
تعالى خلق بشراً الا وكان دونه . وما يدرون ان الانسان ليس له بمجرد
النطق فضل على المجرافات ومزية على الجمادات . فان الكلام انما هو
مادة لصورة المعاني . ولا تنفع المادة وحدها اذا لم تحل فيها الصورة .
التي هي الوجود الثانى . وقد يقال أن الرقي . تغطى أفن الأفين .
وهؤلاء قد حرموا من العقل والهمة . ورضوا من الكرم كله بالنسمة .
كيف أتيت أن ته شر هؤلاء الهيج . وفضلك بين الناس قد بلج . فقال
له أخوه ان كثيراً ليحسدوننى على مكاتى عند الأمير . وانى لكيد
حسادى أصبر على الصير كما قيل

وكما أشياء يحسبها اناس لفاعلها بعيا وهي بؤس

وولا نيكيد بها حسودا لانكر ذكرها وه عبوس

ومصلا عن ذلك فان القوم ذوو نخوة ومروءة . وشهامة وفتوة .

وممن ون يكون سبيء الأذب على الطعام . فهم متادبون في القعمال

و . . . لا . . . لظفون . . . ولا يعرف بينهم لواط ولا رنا . غير ان القاريق

كان يرى لأدب . . . في مأدبة . . . وكأنه كان قد تخرج على بعض الافرنج

و من ثم اسدى بقرينته على هجوم قلبته .

و فمطم فيهم قصيدة بين فيها سوء

حالمهم . وخشونة بالهم من جلتها
 في ثغر كل منهم سكينه وسلاحه الماضي فأين المطعم
 ثم عرضها على أخيه وكان مشهوداً له بالأدب . وعلم لغة العرب .
 فاستحسنها منه على صغر سنه . وأعجب ببراعة فنه . ثم لم يلبث ان اشتهر
 أمرها . وشاع ذكرها . وذلك لأن أخاه من شدة إعجابه بها تلاها على
 كثير من معارفه فبانها بعض الحساد . الى أميرالناد . وكان هذا المبلغ
 نصراً فأن الحسد لا يكون الا عند النصارى . مع ان كثيراً ممن تليت
 عليهم من الدروز كانوا داخلين في عداد المهجوين . فلما سمع الأمير بذلك
 استاء جداً وقال لأخيه . قاله لقد جاء أخوك أمراً فرياً . كيف يهجوننا
 وهو ضيفنا وقد أنزلناه منزلاً كريماً . وسقنا اليه رزقاً عميماً . لعمري الله
 لئن لم يتدارك هجوه بقصيدة مدح لأغيظه . وكان هذا الأمير
 متصفاً بصفات العرب في الفروسة والنجدة . وفي شراء الحمد جهده .
 غير انه كان يكل الأمور الى المقدور . ولا يهتم ترتيب حاله . والنظر في
 ماله . ثم خشي من ان يكون هذا الوعيد ادعى الى زيادة الهجو اذا
 فصل عنه الفارياب وهو مغيظ . فرأى ان الاغصاء . أجلب للارضاء .
 وان التملق . أوفق للتلق . فمن ثم سارَّ صديقاً له من علماء ملته .
 وفضلاء نحلته . ان يصنع مأدبة ويدعوه اليها والفارياب وأخاه . فلما
 جمعهم المادى . وجيء بالحلوأء على أطباق كالهوادي . أقسم الأمير
 قائلاً والله لا أذوقن من هذا شيئاً أو ينظم ابو دلالة يعنى الفارياب بيتي
 مدح ارتجالاً . فابتدر وقال بديها

قد كاد طبع أبى دلالة انه يهجو لأن الهجو وفق جنانه
 لكننا هذا الخبيص نهاه اذ مزجت حلاوته بحر لسانه
 فحن الحاضرون استحساناً لهما . حتى ان الأمير لم يمالك ان صفع
 الفارياب وقبلة بين عينيه فانهقدت بذلك الموادعة ورجع كل راضياً .

وقفل صاحبنا الى بيته • وآلى ان لا يعقد فيما بعد ناصيته بذنب
أحد من كبراء الناس • وان يسد أذنيه عن صوت صيهم وان غلب
على الاجراس •



• الفصل السابع •

في صهارى نهرى وسفر وانفاق

ثم لبث الفاريق يتعاطى حرفته الاولى وملّ منها ملل العليل من
الفراس • وكان له صديق صدوق يراقب أحواله • فاجتمع به مرة
وخاضا في حديث افضى الى ذكر المعاش • والتظاهر بين الناس بأحسن
الرياش • فقرر رأى كل منهما على ان الانسان في عصرهما لا يعد انسانا
بفضله ومريته • بل يزيته ورينته • وان الناس المولودين من الخنز
والحرر والقطن والكتان المعلقين فى اوتاد حوانيت التجار أعظم قدرا
من الماس الماشين العارين عنها • وان المرء اذا كان ضيق الصدر والرأس
بحيث يكون واسع السراويل واللباس • كان هو النبه الآفق المشار
اليه بالمد • محمود على لسان • فأجمعا رأيهما على أن يستبضعا بضاعة
واقصد ترويه في بعض بلاد استطلاعا لحال أهلها وتفرجا من كرب
بألهما • فأكبرا حمارا لحمل البضاعة وهو لا يستطيع حمل جنته من الهزال
وسوى سلاعه سلاعه • ولم يكن قد نقى فيه نى شديد سوى
مرة • و... • ولما نى لمن ينحسه أو ياتى عليه
... • ويقدران

بساط الفوز على ندحة الاجال . فابلغاطيتهما الا والجار على شفا جرف هار
 من رmqه . والفاريق ايضاً زاهق الروح من تعب وقلقه . نادم
 على ترك القلم الضئيل . معما كان ينفث به من الرزق القليل . ويومئذ
 عرف عاقبة الجشع . وتبعة الرئع . وظهر له سفاه رأيه في الشراة الى
 ما يوجب نصب الابدان . وبلبال الجنان . غير ان اليب من استخرج
 من كل مضرة منفعة . ومن كل مفسدة مصلحة . حتى ان في فقد
 الصحة لنفعاً لمن رشد . وخيراً لمن قصد . لاذ الليل وهو ممدود على
 وسادة تقصر نفسه عن التماهى في فساد . وفي شهوات المنكره واهوائه
 الموبقة . فتقوى بصيرته والمرض ناهكه . ويملك سداده والالم مالهكه .
 ويرضى الله والناس بما هو سالكه . وهكذا كانت حال الفاريق . بعد
 مقاساته تلك المشاق . فانه لما أحس بضنك السفر . ولقي منه مالتى من
 الضرر تبين له ان شق القلم أوسع من حقائب البياعة وان سواد المداد
 أبهى من ألوان البضاعة . وان في ترويح السلعة لمعة دونها مرة الغدة
 والسلعة تجزم بأنه عند الاياب الى وطنه . يرضى ببلن العيش وخشنه .
 ولا يبيالي ان لم يكن ذا شارة رائئة . أو طلالة رافعة . أو معيشة واسعة .
 بحيث لا يجوب امصارا . ولا يتلو حمارا . اما وصف الجمار على أسلوبنا
 معاشر العرب فانه كان زبوناً بليدا . حروناً عنيدا . تارزاً قديدا . لا يكاد
 يخطو الا بالهراوه . واذا رأى نقطة ماء في الارض ظنها بحراً ذا طقاوه .
 فأجفل منها اجفال النعام . ووجل كما يوجل من الحمام . واما على الطريقة
 الافرنجية فانه كان حماراً ولد حمار واما اتان من جيل كلهم حمير . وكان
 لونه يضرب الى السواد . ومس شعره كس القناد . مصلم الادنين ولا
 نشاط . اعسم الرجلين باذى الامعاط . ادرم افوه . أدلم افوه . يفر كبح
 في إسه . ويرفس عند نخسه . ويكرف ويتسرغ وبشغ وببذغ . لاتيحات
 فيه العصا . ولا يعمل فيه الزجر اذا عصى . ولا سحر ك الا ا ا ا .

بالعلف وان يكن زؤانا . ولا تظهر فيه الحيوانية الا اذا رأى انا .
 فيريك ح سموها واستنانا . ونشاطا وصمينا . حتى كثيرا ما كان يقرب
 حمله . ويفسد عدله . وفيه خلة اخرى وهى انه كان دائم الاحداث على
 قلة اعمال ضرره ، موصل الففق فى النجوة والخفض زيادة على نحسه .
 فان منشأه كان فى بلاد يكثر فيها الكرنب والفجل والسلجم . واللفت
 والقرنبيط كبعض بلاد المعجم . فلهذا اعتاد على اخراج هذه الرائحة من
 صغره . وزادت فيه بازدياد عمره . فكان لا بد للملشي خلقه من سد
 اتفه . والاكثر من أفه . وفى كلا الوصفين فان رفقة هذا البهيم . لم
 تكن أقل اذى من السفر الالىم . وانه بعد جولان عدة قرى . ليس
 فيها من مأوى ولا قرى . وبعد مجادلات مع الشارين طويلة . ومحاولات
 ومساومات وبيلة . قمع الفاريق وشريكه من الغنيمة بالاياب . ورضيا
 باللفاء والعود الى المآب . ولما أن البر الفارغة لا تمتلئ . من الندى ، وان
 التعب فى تجارتها يذهب سدى ، فتسببا فى بيع البضاعة بقيمتها ؛ كيلا
 يشمت بهما من ينظرهما راجعين بماهيتهما . وباتا تلك الليلة خالي البال .
 من القيل والقال . فان من الناس من لا يعجبه شراء شئ الا بعد تقليبه .
 وبعد تحقيق بائه وتكذيبه . فلا بد للبائع من ان يكون عن مثل هؤلاء
 متصامما مافلا . متعاميا متساهلا . وتلك خلة لم تكن فى الفاريق ولا
 فى حبه فان كلا منهما كان يحاول استمالة الكون الى جانبه . ثم انهما
 رجعا بشمن لبضاعة وبأخبار وساما المال لصاحبه . فعرض عليهما سلعة
 اخرى فبدا . ونوعاذا أن يجتمعا مرة أخرى للشركة فى مصلحة أهم
 . ر أن تكون فى البيع والشراء

و- حرب عدة ين الناس بأنه اذا تماطى أحد حملا ولم ينتج
 به وبصحة . فى معاناه مرة أخرى . إذ ايس أحد يرضى

بعض عوارض وطوارئ حدثت له . فيقول في نفسه لعل هذه العوارض لا تقع هذه المرة . وعلة ذلك كله اعتماد الانسان على رشد نفسه . وثقته بسميه والركون الى حدسه . وقد تهور في ذلك كثير من الخلق . وأكثرهم جنى على نفسه في التهافت على الرزق

الفصل الثامن .

في غناه وانمواله وغواه

ثم انه بعد مذاكرة طويلة بين الفاريابي وصاحبه قرأيهما على ان يستأجرا خانا على طريق مدينة الكميكات ، حيث ترد القافلة منها الى مدينة الركاقات ، فاستبضعا ما يلزم لهما من الميرة والادوات ولبثافيه يبيعان ويشتريان بما تيسر لهما من رأس المال وذنبه ، فلم تمض عليهما برهة وجيزة حتى انتشر صيتهما عند الواردين والصادرين . وعرف رشدهما جميع المسافرين ، فكان الناس يقصدونهما للاقتصادهما ، وكبرا ما انتاب خانها أهل الفضل والبراعة ، والوجاهة والاستطاعة حتى كأنه كان حديقة يتفرج فيها المكروب ، وعادة أهل ذلك الصقع انهم لا يكادون يجمعون في محل الا ويتنازعون كأس البحث والمناظرة . ويخوضون في أمور الدنيا والآخرة . فان أثبت أحدهما شيئا نفا لا حر وان استحسنه استحسنه وزعم أنه من المنكر . فیتحزب "تقيم احزابا قسدا ، ويمتلئ المكان سخبا وإددا . ودعا انتهى انبهت الى النادر بالنسب ، والنكار بالحسب ، فيقول أحدهم متلا لقريشه . أنزد عبي وأبي نديم الامير وسميره واكيله وشريه وحليسه وأنيسه وخمسة

ونحيه ، لا يقضى ليلة من الليالى الا ويستدعي به لمسامرته ، ولا يحكم بشئ إلا بعد مشاورته ، وقد عرف أهلى من قديم الزمان بأنهم سفراء البلاد ، ونواميس الامجاد ، وما أحد من الناس ماجدهم ولا شارفهم ولا كآثرهم ولا فاخرهم ولا فاضلهم إلا وطاد بمجودا ومشروفا ومكثورا ومفخورا ومفضولا ، وربما أعلنت بعد ذلك الهراوات ، وقامت مقام البيئات ، فيتنمر منهم من لم يكن يتنمر ، ويعربد من سكر ومن لم يسكر ، فينتهى الامر الى أمير الصقع ، فيبعث عليهم مصادرين ذوى صقع ، وويل لمن يكون قد ذكر اسم الامير وقت الجدال ، فان عقوه حينئذ من المحل ، فما فى الحوادث العظيمة فان المتعدى اذا فر من انقصاص أخذ بذنبه احد أهله أو جيرانه ، أو ماشيته أو ماعونه وقطع شجره وأحرق منزله ، غير أن زمرتنا هذه لم تكن تتعدى حد الجدال الى القتل . فان الفاريق وصاحبه كانا يقومان فيهم مقام فيصل ، فن هذه الحيثية كثرت الوفود عليهما ، وكثر اما بات عندهما اصحاب العيال والرح عليهم دثرة ، والاغانى متواترة ، والوجوه ناضرة ، والعمائم متفجرة ، فكان ذلك داعياً الى خصام النساء مع بعولتهن . ومن طبع

من هؤلاء الاصناف الثلاثة يتمنون ذلك في بعض الاحوال. أما للافتخار
 باجراء العدل والانصاف في رعيتهن أو لعله أخرى
 ومن طبع هؤلاء المخلوقات المباركات سلامة النية وصفاء العقيدة
 والتقرب الى الرجال لا عن فجور . فتري المرأة منهن متزوجة كانت أو
 ثيبية تحلس الى جانب الرجل وتأخذ بيده . وتلقى يدها على كتفه وتسند
 رأسها على صدره وتبسم له وتؤانسه في الحديث . وتحفه ببعض ما تنصل
 اليه يدها . كل ذلك عن صفاء نية وخلص مودة . وأحسن ما يرى
 فيهن بلاهة والغربة فأنهما في النساء خير من النكر والدهاء . هذا اذا
 كان في غير ما يشين العرض وينتهك الحرمه . فأما في وقت الجدفلا تصح
 البلاهة . هذا ولما كان من دأبن أن يكشفن عن صدورهن ولا يرفعن
 اندآهن من صفرهن بشيء . كان أكثرهن هضلاً أي ذوات انداء طويلة .
 وأكثرهن يمتقد أن في طول رضاع الولد زيادة صحة له . فنهن من
 توضع ولدها عامين قامين . ومنهن من تزيد على ذلك . فأما محبتهن
 لاولادهن ورفقهن بهم وشوقهن اليهم فيجل عن الوصف . وأعرف
 كثيراً من البنات كن يبكين يوم زواجهن على فراق أبائهن وأمهاتهن
 واخوتهن كما يبكي غيرهن في المأتم أو أشد . فأما ما يقال من ان
 البعولة يأكلون وحدهم دون نسائهم فكلام لا أصل له . وإنما يكون
 ذلك اذا كان عند الرجل ضيف غريب حتى لو أراد حينئذ أن
 تقعد امرأته مع الضيف لتأكل معه لأبت ورأت أن ذلك يكون
 استخفافاً بها وانتهى كالحرمتهما . وفي الجملة فأنهن لا يعين بشيء إلا
 بالجهل وهن في ذلك معذورات . فأما الجاهلات من الافرنج فنهن
 يضمنن الى الجهل مكرًا وخبثًا . وناهيك بذلك من سبة . وفي ليحزني
 جداً أن أسمع أن هؤلاء المحبوبات قد مللن من هذه المضائل وتخلتن
 بأخلاق أخرى . فيجب على والحالة هذه أن أغير ما وصفتهن به من

الحماد أو ان آذن للقارئ في أن يكتب على الحاشية كذب كذب
أو هذين البيتين

ان النساء حينما كن سوى يملن من حيث أناهن الهوى
لا يفررن الفر منهن تقى ولا هدى ولا نهى ولا حيا
أو هذين

مر مضرب الارض في طول وفي عرض تر النساء يبعن المرض كالعرض
بالرجل يصفقن عند البيع لا يبد وكل قاض على تسجيله يعصى
أو هذين

واذا رأيت من اغرائد غادة تبدو وتحنى فارجون وصالها
واذا دعيتك لحاجة عنت لها لتكون قاضيا فرج مبا.....
أو ما قاله دعبل

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة والصمب يمكن بعد ما جحا

واعلم ان البلاد التي يتجر فيها بمرض النساء بغير مانع الا بمكس
عليه فليس يدفع لبيت المال لبناء معابد وغيرها دون اعتبار لقول من
فل مطعممة الا ينم الخ يقل فيها التغزل بهم . فان الرجل هناك ايان
حضر بياله ان رؤيته الوجه الصايح تنفي همه وتزيل بلباله . وتخفف
ثقله . وتهدئ عن كربه وتجلو صدا قلبه وتصفى دمه . خرج فوجد
... .. وراء الباب . فلا يحتاج عند ذلك الى شكوى وعتاب
... .. وأنى قوله * أرق على أرق ومتلى يارق . وكفى بجسمى نحولا
... .. وذات وحدا وغراما ونحو ذلك . فأما البلاد التي يخطر
... .. لا ر منجد "كلام في النساء متجاوزا به وراء الحد . ولذلك
... .. لا يبرح لاقدمير من المجنون ما تجده في كتب العرب :
... .. ابراهيم كانت وقتئذ ممنوعة . فلما كثرت قل

عندهم المجون . أما في الجبل فانك لا تجد لهم بيعة ولا جونا وحكى عن
الفاريق انه هو واحدة من أولئك اللأئى كن يترددن عليه ولم يكن
يحظى منها الا بلمم أخمصها فكان اذا أصبح يقول لصاحبه
ان المقبل رجلها ليجل عن تقبيل راحة قسه وأميره
من الفواتن للخلي فشعرة منهن خير من كنوز غروره

الفصل التاسع

في محاورات هابيزة . ومنافسات هابيزة

لا بأس في أن تذكر هنا مثالا لما كان يقع بين تلك الزمرة من
المحاورات فنقول . اجتمعت زمرةنا هذه مرة والكاس تدار عليهم
والسرور يرقص بين يديهم . فقال أفصحهم مقالا . والدم جدا . اى
الناس فيما علمتم أنعم بالا . وأحسن حالا . فقال من بيده الكاس هو
من كان على مثل هذه الحالة . وفي راحته ذى الآلة . فقال له ليس ذلك
على الاطلاق . ولم يقع عليه اتفاق . فان هذه الحالة لا يمكن كونها
دائمة . فتكون غببتها غير تامة . وانما هي بعض من كل . وحز من جل
وبقى النظر في الباقي . ولا خفا ان مداومة المداء . تورث السقام
وتقهي عن الطعام . ولذلك سميت القهوة ولا يعتادها الانسان الا حلت
به الشقوة . فقال آخرون أنعم الناس بالا أمير يجلس على أريكته . ونحذه
جماعة من حشمه وحفدته . يأتيه رزقه رغدا . ويكفيه رارقه في المعيشة
جهدا فاذا أوى الى حريمه حلا بأزهر امرأة على أوطأ فراش . فصدق
فيه قولهم . أعجب الاشياء وثر على ور هذا وان كاه المرزومة وبب

النائمة . . وأمره مطاع . وحكمه مقابل بالاتباع . فقال بعضهم ليس الامر كذلك وما الحق فيما هنالك . فان الامير لا يخلو بامرأته الا وهو مشغول الخاطر . مكدر السرائر . اذ لا يزال يفكر في كونه مخوناً بما لا مفسوشاً من عماله . يأكل رهطه رزقه ويذمونه . ويأتئمنهم فيخونونه ويعطيهم فيبخلونه . وهو مع ذلك مرصود منهم فيما يفعله . منتقد عليه بما يتعمله . وانه ليود السفر ولا يتاح له . ويمتنع رؤية غير بلاده ولا يدرك أماله . فهو يحسد من يمشى في الارض سهيلاً . ويغبط من يعتسف الطريق ضللاً . فقام بعض النقاد . وقال سمعاً يا أهل الرشاد . ان أسعد خلق الله راهب لزم كتابه في صومعته . وتفرغ عن الشغل بمقارنه وضيعته . فهو يأكل من أوزاق الناس . ويعوضهم عنهم دعاءه يطفح من أثمار الكأس . ويغنيهم في الدياجي عن الثبراس ويركب ما لديهم من النجائب . فهو كما قيل آكل شارب راكب . ثم ما عليه بعد ذلك ان خرب السكون أو عمر وان مات الخلق أو نشر

فقال بعض ذوي الرشاد ما هذا القول من السداد . فان الراهب وأمثاله اذا رأى الناس مقبلين على أعمالهم . مشغولين بأشغالهم . لم يرض الدناءة لنفسه أن يعيش من كدم . ويستريح على تعبهم وجهدهم . ويتحين أو ان رفدهم . بل يود لو كان شريكاً لهم في أتعابهم . أخرى من أن يكون شريكاً في مصوناتهم . هذا اذا كان نزيه النفس . كريم القنس صادق السعي . ضابط الوعي . ثم ان له عند رؤية الرجال مع نسائهم وأولادهم لفصات . وحسرات وأى حسرات . ولا سيما اذا خلا في الصومعة . ورأى ان سمته ذاهب سدى من غير منفعة . وان غيره ممن أضواهم السكد والنصب . وأجاعهم الجهد والتعب . أقدر منه على بلوغ الارب . مما اصطلاح عليه سائر خلق الله من عجم وعرب . فقال من استعسوب مقاله . وارتاح لما قاله . هذا لعمري هو الحق المبين .

فان الراهب ومن أشبهه حرى بأن يمدّ مع الشقيين . وانما يظهر لي ان أسعد الناس حيشا هو التاجر يقعد في حانوته بعض ساعات من يومه . فيكسب بأيمانه المغلظة في ساعة واحدة ما ينفقه في شهره . يجعل الكاسد من سلعته بتكرير كلامه نافعا . والمكروه شائعا . والدون قائما . ثم هو ان أوسى الى منزله ليلا . أصاب في خدمته زعد ولبى . فهو في نهاره كساب للعال . وفي ليلته منفق على ربّات الحال . فقال من انتقد كلامه . وتبين ذامه . ان التاجر لا يمكن له هذه العيشة الراضية . ولا تهنؤه هذه النعمة الوافية . الا اذا كان قازباذا معاملات في البلاد القاصية . وركوب للاخطار . واقتحام للاوطار . ومتى كان كذلك نقص من رغبه . وافر تجشمه وكده . ونقص من لذاته . تعدد بضيائه . وملاّ خاطره أشجانا . ما حاوله ليرضى به زبونا واخوانا . فكلما هبت ريح خشى على سلعته في البحر . وكلما جثر صبح أوجس من ورود قادم يخبره بشر أو مالكة تنبي عن تلف وخسر . وكساد وحظر : فهو لا يزال في أعمال نظر . وتجرع أسف وكدر . فقال بعض السامعين . انك لمن الصادقين . أما أنا فلا أودّ ان أكون ذا تجار . ولو ربحت في كل يوم مئة دينار . لما يعقب هذه الحرفة من القيل والقال . والتكذيب والمحال . والمحاولة والمكر . والمداهاة والنكر . فضلا عن اقتصاري في الحانوت ربع عمرى . ولا علم لي بما يجرى في وكرى . فلعل رقيقا يخالفنى الى دارى . وانا اذ ذاك أكذب على الشارى وأمارى . وأجامل وأدارى . ففى عنق حبل الانم بما أفعل في محترفى . وبكونى حصرت وسيلة لارتكاب الحرام في مألئى . وانما أظن ان أحق الناس بأن يغبط على عيشته . ويبارك له في حرفته ومهنته . انما هو الحارث الذى يسعى لنفع نفسه ولغيره فيما يحتره . فيكسب به صحة بدنه ومؤنة عياله . وبذلك خير ما يبرئه . وان زوجه تراوجه على عمله . وترفق به في عسره

وعطله . ان مرض مرضته بنفسها وقامت بأمر مرعبه . وان غاب رعت له ذمة وباتت تنتظر وشك مرجعه . هذا والتعب يستطيب طعامه . ويستحلى نيامه . الا ترى ان أولاد ذوى السعي والكد . أصبح أبداناً وأذكى فهما من أولاد ذوى الترفه والجدة . وما ذلك الا لأنهم يرقدون عن نعاس ويأكلون عن جوع ويشربون عن ظمأ . فأجابه أقرب من وليه . ان فيما قلت لنظرا . فانك لم تر الصورة الا من جهة واحدة وفاتتك الجهة الاخرى . فامرى ان الحارث مع كد بدنه . أسيرهم وشجنه . وضجيع قلقه وحزنه . اذ هو عبد العناصر . ورقيق الحوادث والاكار . ان عصفت ريح خشي على ثمره ان يتساقط فيسقط قلبه معه ، وان كثر المطر أو قل وجل من أن يتلف مازرعه . وان مات كبير في بلده . أشفق من كساد ماتحت يده وان يكن ذا بصيرة وحجى . ساء ما يرى أهله فيه من العرى والوحى . والدل والاستكانة ، والابتئاس والمهانة ، وتحسرم على الطيب من المأكول ، والناعم من الملبوس ، وعلى كونه لا يحسن تربية ولده كما يشاء ، ولا يمكنه رؤية بلد غير الذى فيه نشأ ، فهو مهده وقبره ، وسجنه وجحيره ، ومع ذلك فهو غرس لا غراض أمامه فى الدين ، وعصا يتوكأ عليها من هو فوقه من المثزين ، والسائدين والمسيطرين ، فإيكاد يتخلص من ورطة أحدهما الا ويقع فى شرك الآخر . ولا يفوته شرّ الا واستقبله شر أكبر . وهو مع إصره وجهله ، لا يجد مخاصماً له ولا لأهله ، ولو أنه رام أن ينهج لاهله منهاجاً ارتضاه لنفسه واستصوبه ؛ ولم يك على وفق مرام أمامه وأميره أو آخر ذى مرتبة ؛ لم يامن غرامة منهما أو حسم عرتبة ، أو قصم رقبة ، ولم يلبث ان يرى أصحابه له اعداء ، واخذانه الداء ، فهو على هذا رهين الخضوع ، وأسير القنوع ، فقال قرين له ، وقد صدق على ما فصله ، نعم ان هذا هو الحق الواضح ، وما بعد الرق ذل فاضح

وانى أرى بعد امعان النظر والتروى ، والتحقق والتجربى ، ان أسعد الناس حالا ، رجل رزقه الله مالا ، وأصلح له بالاً ، فجعل دأبه السفر فى البلاد الغريبة ، والمشاهدة للكائنات العجيبة ، فهو كل يوم فى شأن ، وله فى كل معان ، أوطان واخوان . فقال قائل قد استوعب خوى مقاله . واعتقد ماذهب اليه انه من فنده وضلاله . لقد زغت قصدا . ولم تقل رشدا . وليس المتعرض للسفر . بلوعناء وخطر . اذ كثيراً ما يمتنيه بأمراض شديدة . تغيير الهواء عليه والاحوال غير المهودة . واضطراره أن يطعم مايعافه . ويشرب ما به ادنافه . فيكون آكلما يأكل بدنه . ويذهب وسنه . هذه الافرنج تأتى الى بلادنا فينفصم عدم وجود الخنزير فيها . وخلوها عن السلاحف والارانب وما يضاهاها . اذ يزعمون أنهم يخلطون شحم الخنزير ودمه فى كل صبة وحسّو وحلواء . ويتخذون من اللحم السلاحف مرقابه شفاء من كل داء . ويعيرون علينا ان لبنا غير ضيغ ولا ممدوق . وخزنا بمملوح وطعاما غير مزعوق . وان ماءنا غير ممزوج بالجير . وخرنا غير مصوغة بالعقاقير . وانا نذبح الحيوانات ذبحا وناكل لحمها غريضا . وهم يخنقونها خنقا ويأكلونه دائدا انيصا . وان جونا غير ذى دجن . ومطرنا غير دائم الهتن . وان سماءنا غير محلسة . وأرضنا غير مطلى وجهها بالرجيع والروث وسائر الاشياء المنجسة . فبقولنا غير مسيخة . وأثمارنا غير مليخة . وان شتانا لا يدوم ثلثى العام . وصيفا لا يسمع فيه رعد ذو ارزام . فاذا جاء أحدهم الى بلادنا ليتعلم لغتنا ومكث بين اظهرنا عشرين . ثم رجع وهو فيها من أهل الجاهلين . أحال الدنّب على الهوا . فقال انه مّنى منه بالحمى والجوى . أو بالاسهال المفرط . والسعال ، المنقط . هذا وان من جهل لسان قوم وهو فيهم . لم يمكنه ان يعرف عاداتهم وأخلاقهم واستوى عنده ظاهرم وخافهم . فيرى

عندهم ما يرى دون علم • ويسمع ما يسمع من غير فهم • فلم يكن لدى
السياحة بدّة من اتخاذ ترجمان • واعتماده عليه في كل خطب وشان • ولا
يلبث ان يسيء به الظن • ويرى ان له عليه المن • ولو أنه حاول ان
يستغنى عنه لفاته معرفة الاحوال • وبات بين القوم ذا وجشة ولبال •
وربما حن الى رؤية أهله • والاجتماع بشمله فأدنفه الحنين • وأضناه
بين الخدين • وانما يطيب السفر ما اذا اتفق انسان مع ندله نوى •
وسديق نجى • وكانا طرفين بلقات كثيرة • وقلوبهما خالية من علاقة
الحب بالقباب والبصيرة • وهيهات ان يتفق اثنان على رأى واحد •
وان تم لذة من دون مانع جاهد • وهم طامد • فقال أقل الحاضرين
رشدا وفضلا • وأكثرهم هزلا • يا قوم • انى قائل قولاً ولا لوم • ان
أسعد الناس واحظام • وترفهم وارضام • البغي الجميلة التى تفتح بابها
لقاصدها • وتبيح نفسها لمرادها • فانها تفتنم انس زائرها وماله •
وتتبله بحبها حتى يرى ذله فيها عزاً له • ومتى تمكنت من تفرييدلونها
العين • ويكفونها مؤنة الاطيين • فلا تحتاج بعدها الى البحث عن
مرادوفى المسالك • والتعرض للمكاره والمهاك • فاذا هي شاخت وجدت
مما ادخرته فى صباها ما تنفق منه عن سعة • وما تكفر به عن سيئاتها
السائمة فتعيش فى دعة • ويثنى عليها الناس بالتوبة الناصعة • والمعيشة
الواسعة • والانسان مطبوع على النسيان • لا يبالى الا بما هو كائن
لا بما كان • ولا سيما اذا كان الحاضر يجدى تفعماً جزيلاً • ويسراً
مأمولاً • وكفى بأئمة الدين اذا نالوا منها العطايا الوافرة • والصلوات
المتواترة • ان ينشروا عليها أحسن الثنا • ويبرؤوها من كل خش وخنى •
فانما منهم على كل صلة صلوات • وعلى كل دعوة دعوات • فن ما رانى
فى ذلك فليسأل قرينته • ويكظم ضغيفته • ريثما أقيم له على ذلك
البراهين • ممن غبر وبقي من العالمين • فلما سمعت الجماعة دعواه •

ولحنت مغزاه • ضحكوا من هذيانه • ورأوا ان الجواب على بهتانه •
 على طريقة الجدال انما هو من وضع الشيء في غير صوانه • فأضربوا
 عنه صفحا • وقالوا له قبحا لرأيك وشقحا • فلو كان أهل صقع على رأيك
 لفسدت الارض • وبار العرض ولم يبق من الصلاح أثر ولا برض •
 وانما اللوم على الكاس التي ذهبت بلبك • وكشفت عن فساد مذهبك •
 وقبح إربك • ولعلك تهتدى الى الرشاد اذا افقت من خمارك • وتبين
 لك فطاعة هترك واستهتارك • فرأى ان السكوت له أسلم طاقبة من
 المحاوره والمجاوبه • والمنافرة والمناضبة • وان الجمهور يغلب الفرد •
 وان كانوا على ضلال وكان هو على هدى وقصد • فاستف تفنيديم •
 وخشى وعيديم • وتفرقوا ولم يجعلوا رأيهم على أى الناس اسعد •
 وأى عيش ارغد • اذ رأوا دون كل حرفة نفصا • ومع كل حالة
 غنصا • وفي كل أكلة مفصا • وقد فاتهم من أحوال الناس كثير مما
 ضاق وقتهم عن ذكره • كما ضاق هذا الفصل عن احصاء كل ما أوردوه
 وعن حصره • فقف على هذا القدر الذي ذكرته • وسر معي الى
 استئناف قصة من غادرته • وعليكم السلام •



الفصل العاشر

في اغصاب سواقى وائساب براس

السجع للمؤلف كالرجل من خشب للعاشي فينبغى لي ان لا اتوكأ عليه
في جميع طرق التعبير لثلاثيقي في مذاهبه . أو يرمينى في ورطة
لامناس لي منها . ولقد رأيت ان كلفة السجع أشق من كلفة النظم . فانه
لا يشترط في أبيات القصيدة من الارتباط والمناسبة ما يشترط في الفقر
المسجعة . وكثيرا ماترى الساجع قد دارت به القافية عن طريقه التى
سلك فيها حتى تبلغه الى الملم يكن يرتضيه لو كان غير متقيد بها .
والغرض هنا ان نغزل قصتنا على وجه سائق لأى قارئ كان . ومن
أحب ان يسمع الكلام كله مسجعا مقفى ومرشحا بالاستعارات ومحسنا
بالكسائيات فعليه بمقامات الحريرى أو بالنواغ للزخشرى .

فنقول ان صاحبنا الفاريق بعد اقامته مدة على الحالة التى
ذكرناها . جرى بينه وبين جده من النزاع والمنافشات ما أوجب عليه
ترك ما كان فيه واقتفاء طريق آخر من طرق المعاش . فتاح له ان
يكون معلما لاحدى بنات الامراء وكانت ذات طلعة بهية . وشمائل
مرضبة . تامة الظرف . ناعسة الطرف . ولكن ليس المراد بذلك انها
كانت لاتبصر من يحبها كما يكون من به نعاس . وانما المعنى انها ذابلته .
حتى ولا هذه العبارة مفسحة بما أريد ان أقوله . فانها توهم انها كانت ذابلة
مع انها كانت غضة بضة . بل المقصود ان نقول انها كانت كأنها تنظر
عن تحشيف . ولكن مادة حشف لاتعجبني . فان فيها معاني اليبوسة
والخساسة والرداءة وشئ آخر تجل الملاح عن ذكره . بل المراد انها كانت
تكسر جفניה عند النظر . ولا الكسر ايضا لائق بها . فلا أدري كيف .

الحسن للقارىء ما أردت . ولعل الأوفق ان يقال انها كانت ترمى بسهام
عن عينها . ولم يكن صغر سنها مانعا من تثبيل من ينظرها . فان القلب
يعلق بهوى الصغيرة الجداء . كما يعلق بهوى الكبيرة الوطاء . اذ ليس
كل عشق مؤديا الى الدمار . فقد عشق الناس الرسوم والاطلال
والآثار . والاشكال والديار . ومنهم من عشق لرؤيته كفا مخضبا أو
أو عقيصة شعر أو نوبا أو سراويلات أو تكة ونحو ذلك . وأعرف
من أحب مرة امرأة فكان يلاعبها ويخيل له الغرام انه ملاعب صاحبته .
وكثيرا ما كانت تنشب فيه اظفارها وتدميه . وهو يستعذب ذلك
ويستحليه . اما لاستعذاب العذاب فى هوى المحبوب . أو لاعتقاده
ان مداعبة النساء ايضا لاتخلو من خدش وادماء . فكون الجرح منهن
اصالة أو وكالة انما هو شيء واحد . وقد سئل أحد العشاق عن مبلغ
الوجد منه فقال كنت أرتاح للريح اذا مرت على ثن مقبلة من صوب
المحبوب . هذا وان عشق أهل تلك البلاد أكثره على هذا النمط . أى
ان العاشق منهم يكلف بأثر من محبوه كمنديل أو زهرة أو رسالة
وخصوصا بنصة شعر فيشمه ويضمه ويقبله ويمانه كما قيل :

الشعر مثل الشعر داعية الهوى والشعر مثل الشعر ذخريذخر
من غاب عنك فلست تنظره سوى بالشعر أو بالشعر وهو الأكثر
فان قيل انهم انما اعشقوا ذلك طمعا فى وصال الحبيب الذى تفضل
بهذه النعم لا كلفا بها من حيث هى . قلت ما المانع من ان تعشق
الصغيرة طمعا فى أن تصير كبيرة ؟ ما أضيق العيش لولا فسحة الا مل .
ورب أمل أحلى من فوز . وقد علم أهل الدراية أن من حرمه الله من
الجمال لغاية لا يمامها الا هو عوضه عنه زيادة قصاص له بمحبة الفكر
والبصيرة وشدة التصور والتخيل ودقة الحس فسيكون أسرع الى
العشق وأكثر حرصا على أهل الجمال . اذ الانسان كلما بعد عن الشيء

المقصود كان توقانه اليه أكثر وتولمه به أشد . والمراد من ذلك كله أن تقول ان الفارياب كان يعلم من صغره انه بمعمل عن الجمال . وانه من صباه كان يعظم أهله ويميزهن على غيرهن . وان القبيح معذور على عشق المليح كما قال الشاعر .

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى مليحا دونه السمر الرقاق
فقلت وهل أنا الا أديب فكيف يفوتني هذا الطباق
قالوا أو أقول انا عنهم . وقد يكون عشق الصغير كبيرا كما يكون
عشق الكبير صغيرا . فان الصغير لما كان غير ذى رشد يرده عن
الاسترسال والتماهى فى هواه كان هذا الاسترسال معقبا للجموح دون
حد . الا ترى ان الصغير اذا ولع بشيء من اللعب واللهو فانه يتهتك
فيه وينهمك غاية ما يكون . فكيف به اذا جنح الى شيء هو أقوى
من كل ما يستميل الطبع ويشوق النفس . نعم ان الكبير يقدر منافع
ما يقصده من معشوقه أكثر من الصغير ولذلك يكون حرصه عليه
أبلغ وطلبه له أكثر . غير ان عزّة نفسه وسورة طباعه ونهيته قد
تمنعه من ان يسلم عنان مشيئته للهوى . فيكون فى طريق ميله وتوقانه
تارة مقدما رجلا وتارة موخرا أخرى . والصغير متى ما استرسل
استسهل .

وبعد فقد نذرت على نفسى ان أكتب كتابا . وان أودعه كل
ما راق لخاطرى من القول سديدا كان أو غير سديد . فاني اعتقدت ان
غير السديد عندى قد يكون عند غيرى سديدا كما تحقق لدى عكسه .
فانشأت فاذعن أولا فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف . والحاصل
ان الفارياب لبث يعلم سيدته الصغيرة وجعل من دأبه ان يتودّد اليها
باغضاء النظر على اصلاح غلطها . بل لم يكن يرى ان صاحبة هذا الجمال
يجوز ردها فتأخرت هي فى العلم ونقدم هر فى الهوس . فما قال فيها .

روحى من أعلمه وقلبي أسير هواه لن يستطيع صبرا
 اغار عليه وجداً من حروف يفوه بها فتلثم منه ثغرا
 والحمد لله على كون اللغة العربية خالية عن الباء الفارسية والفاء
 الافرنجية والا لزادت غيرة صاحبنا وربما كان ذلك سببا في جنونه •
 فان الغيرة والجنون يخرجان من مخرج واحد كما أفاده المشايخ الراسخون
 في الزواج • وهنا دقيقة وهى ان بعض المتأول جمع عتول وهو من
 لاخير عنده للنساء يستثقل المؤنث فى الغزل والنسيب فيجعله مذكرا
 وبعضهم يضمه • وعليه قول الفارياب اعلمه • والظاهر ان المقدر في
 ذلك لفظة شخص • فيا ليت هذا الحرف كان فى لغتنا مونا كما هو فى
 الفرنسية والاطليانية حتى لا ينجذ الناس بعيداً عن التأنيث • فاما تعليم
 نساء بلادنا القراءة والكتابة فعندى انه محمداً بشرط استعماله على شروطه •
 وهو مطالعة الكتب التى تهذب الاخلاق وتحسن الاملاء • فان المرأة
 اذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استنباط المكاييد واختراع الحيل
 كما سيأتى ذكر ذلك • ولا باس للمتزوجات بقراءة كتابى هذا وامثاله •
 لانه كما ان من الوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم فكذلك هى
 الوان الكلام • والظاهر ان اللغة العربية شرك للهوى اذ يوجد فيها من
 العبارات الشائقة المصيبة مالا يوجد فى غيرها • فمن قرأت مثلاً فى شرح
 المشارق لابن مالك ان مراتب العشق ثمانية أدناها الاستحسان وينشأ عن
 النظر والسماع ثم يقوى بالتفكر فيصير مودة وهى الميل للمحبوب
 (أى المحبوبة) ثم يقوى فيصير محبة وهى ائتلاف الارواح • ثم يقوى
 فيصير خلة وهى تمكن المحبة فى القلب حتى تسقط بينهما السرائر • ثم
 يقوى فيصير هوى بحيث لا يخالطه تلون ولا يدخله تغير • ثم يقوى
 فيصير عشقا وهو الافراط فى المحبة حتى لا يخلو فكر العاشق عن المعشوق
 (أى المعشوقة) • وانه يقوى فيصير قتيما وفي هذه الحالة لا ترضى نفسه

سوى صورة معشوقه (أى معشوقته) • ثم يقوى فيصير ولها وهو الخروج عن الحد حتى لا يدري مايقول ولا أين يذهب وحينئذ تعجز الأطباء عن مداواته •

قلت وإن مل أنواعه أيضاً الصباية وهى رقة الهوى والشوق • والفرام وهو الحب المستامر • والهيام وهو الجنون من العشق • والجوى • وهو الهوى الباطن والشوق وهو نزاع النفس • والتوقان وهو بمعناه • والوجد وهو ما يجده المحب من هوى المحبوب (أى المحبوبة) والكلف وهو الولوع • والشغف وهو إصابة الحب الشغاف أى غلاف القلب أو حجاب به أو حبه أو سويده • والشغف وهو أن يغشى الحب شغفه القلب وهو رأسه عند معلق النياط منه • والشغف وهو بمعناه • والتدليه وهو ذهاب الفؤاد عشقا • لم تمالك أن تحس بهذه المراتب السنية كلها حالا بعد حال • بخلاف لغات العجم فإنها لا يوجد فيها إلا لفظة واحدة بمعنى المحبة يطلقونها على الخالق والمخلوق • وقد يظهر لي أن كثيرا من الصفات المحمودة في الرجال تكون مذمومة في النساء كالكرم مثلا فإن كرم الرجل يغطى جميع عيوبه وهو مذموم في المرأة • وقس على ذلك النكر والدها والأطراء والفروسة والشجاعة والحماسة والصلابة والخشونة والهمة إلى المراتب السامية والأموال الشاقة والاسفار "بعيدة والبيات النائبة والمطامع المتعذرة وغير ذلك • والعلة في ذلك كون المرأة تميل بالطبع إلى الشطط ومجاوزة الحد • ودليله في من تميل إلى العبادة والنسك فإنها لا تقف في ذلك على أمد بل تتأدى فيه حتى تهوس وتخبيل فتدعى المعجزات والكرامات وتعتمد إلى الروى والاحلام ويخيل لها أن ماكما يناجيه • وهانفا يناغيها • وأنها تقيم بدعائهم الاموت • وتحبى الرفات • وربما قتات أولادها على صغر ابتغاء دخولهم الجنة بغير حذاب أو ولدت ترأمين فادعت انهما من غير أب •

خوفى من مالت الى الهوى فانها تترك أباهها وأما الذين ولداها وربياها
وتقبل تحيرى فى اثر رجل لاتعرف من صفاته شيئا سوى كونه ذكرا .
فكل ما كلفت به المرأة كانت فيه أكثر تماديا من الرجل . فكلفهن بالقرأة
لا أدرى أين يكون مصيره . والحامل لها على هذا الغلو والشطط انما
هو معرفتها من نفسها انها أقوى على الذات من الرجل . فزيادة اطلاقها
لذلك زادت في تمادياها فيه . ومنه سرى في غيره من الأطوار والشؤون
والأحوال الطارئة وفي بعض الفريضة ايضا . وذلك كالكلام والضحك
والسبح والحركة . وما قل منه فيها في بعض الأحوال فانك تراه زائدا
في البعض الآخر زيادة فوق القياس . ولعل كلامى هذا يسوء النساء
اذا سمعن به وهن بين الرجال . لكنى أعلم عين اليقين انهن يضحكن
له فى اكمامهن استحسانا وتعجبا . حتى كأننى بهن يحسبن أنى عشت
برهة من الدهر امرأة حتى أمكن لى معرفة سرائرن ثم مسخنى الله
تبارك وتعالى رجلا . أو أنى علمت ذلك من هند وسعاد وزينب وميئة
حين كنت اشبب بهن وأنا فتى وأكذب عليهن بقولى لهن أنى حرمت
الكرى . وأجريت على نواهن عبرا . وأنى قد فتن لى . وفارقتى
قلبي . لاجرم انه لم يفارقتى قط . ولو فارقتى مرة لما رجع الى أبدا .
لأنى طالما أدخلت عليه هموما وأحزانا لم تكن لتهم أحدا من الناس فى
بلادى . اذ كنت أحزن لتعصي معنى من المعانى على وأحاول اختراع
شئ من البديع لم يكن أحد سبقنى اليه . طائفا أنه يقوم للناس مقام
هذه المخترعات التى يزعم بها الكون عصرنا هذا فلم يتها لى فكنت
أبيت الليل فى يأس وكره . معاذ الله لم تكلمنى وما كلمت هنداً وانما
عرفت ما عرفت من الاحلام الصادقة اذ كنت أبيت وأنا مخلص لله
الانابة والقنوت . فان لم يصدقنى فليبتن ليلة أو ليلتين تأثبات قاتتات
مثلى وأنا ضامن لهن انه يهبط عليهن من الاحلام الصادقة ما يوقفهن
على أمور الرجال .

الفصل الحادى عشر

في الطويل العريض

فلنرجع الآن الى الفاريق فانه هو ايضا رجع الى حرفته وهى
النساجة وان كان ذلك على غير مراده . واتفق اذ ذاك ان فتيين من
امراء ذلك الصقع ارادا أن يقرأ النحو على بعض النحاة وكان الفاريق
يحضر الدرس وهو مكب على النسخ . وكان أحد التلميذين بطيئا عن
الفهم سريعا الى الجواب . يتشاءب ويتمطى . ويفرض ويحطا . ويتناعض
ويتقاعس . ويتفاسأ ويتعاطس . واذا خيل له أنه فهم مسألة حك تحت
أبطه . وشم راحتها وكرف ثم تمطق كما يتمطق من اقطة . ثم عرهد من افتتاحه
وسلق من وليه بلسانه . وقال الا قبحا لدوى الخواطر البليدة . والنطن
البعيدة . كيف لا يتعلم الناس كلهم فن النحو . وهو أسهل من حك
ماتحت الحقو . أما والله لو كانت العلوم كلها مثله . لما غادرت منها كبرا
ولا صغيرا الا واستوعبته كله . لكنى سمعت أن النحو انما هو مفتاح
للعلوم ولا يمد منها فلا بد وأن يكون غيره أصعب منه . فقال له معلمه
لا تقل هكذا بل النحو أساس العلوم وكل العلوم مفتقرة اليه افتقار
البناء الى الأساس . الا ترى ان أهل بلادنا لا يتعلمون سواه ولا يمرجون
على غيره . وعندهم ان من تمكن منه فقد تمكن من معرفة خصائص
الموجودات كلها . ولذلك لا يولعون الا فيه . وانما يحصل الخلاف بينهم
في تقديم بعض الابواب على بعض . وفي توضيح ما كان مبهما منه بأدلة

وشواهد . واختلفوا أيضا في الشواهد فن قائل أنها مفتعلة ومن قائل أنها ضرورة أو شاذة بيد أن المالك واحد . وهو أن العالم لا يسمى عالما الا اذا كان متمكنا من النحو مستقصيا لجميع دقائقه . ولا يكاد يستتب أمر الا به . ولو قلت مثلا ضرب زيد عمر من غير رفع زيد ونصب عمرو فما يكون ضربه حقاً ولا يصح الاعتماد على هذا الاخبار . فأن حقيقة فعل الضرب متوقعة على علم كون زيد مرفوعا . وجميع اللغات التي ليس فيها علامات الرفع فهي خالية عن الامادة التامة . وانما يفهم بمض الناس بعضا من دون هذه العلامات عن درية أو اتفاق . فلا معمول على كتبهم وان كثرت ولا على علومهم وان جلت . وانى وان كنت قد لقيت منه عرق القرية وكثيرا مابت وبالى مشغول بعقلة من عقله وبداهية من عراقيله . فكنت آرق ليلي كله ولا اهندي الى وجه الصواب | فيما عوص على من ذلك . الا انى استفدت منه فائدة عظيمة جعلتنى ممنونا لبنت أبى الأسود الدؤلى أبد الدهر فانها هي التي كانت سببا في استنباطه . (قلت وكذا سائر البدائع كان أصل استنباطها مسببا عن النساء) فقال له التلميذ ماهذه الفائدة يا استاذى . قال قد طالما كان يخامرني الريب في قضية خلود النفس . فكنت أميل الى ما قاله الفلاسفة من انه كل ما كان له ابتداء فهو متناه فلما رأيت النحو له ابتداء وليس له انتهاء قست النفس عليه فزال عنى والحمد لله ذلك الابهام . ومثله أو أكثر منه في الصعوبة فن المعانى والبيان . فقال له التلميذ لم أسمع بذكر ذلك قط . قال أما أنا فقد سمعت به وأعرف ما يشتمل عليه . وهو المجاز والكناية والاستمارة والتورية والترصيع وغير ذلك مما ينيف على مئة نوع وبيان ذلك مفصلا . يستفرغ أجلا . وربما قضى الانسان عمره كله في علم الاستعارات وحدها لم يمت وهو جاهلها . أو يكون قد نسي في آخر الكتاب أو الكتب ما عرفه

فى أوله . وذلك ان من اخترع هذا العلم الجليل لم يكن سلطاناً حتى
يمكنه أجار الناس جميعاً على متابعتة ومشايعتة . بل كان فقيراً فأولع
بهذا الشيء وشرح الله صدره لتقرير قواعد له فكان لا يقع بصره
على شيء الا وخطر بباله طريقة من طرقه . فاذا نظر الشمس مثلاً طالعة
قال كيف ينبغي أن يقم هنا طلوع الشمس هل هو حقيقى أو مجازى
وهل المجاز هنا عرفى أو لغوى . وكذا لو رأى البقل نابتاً فى زمن
الربيع قال كيف تأويل قول القائل أنبت الربيع البقل . فهل يصح
استناد ذلك الى الربيع وهو انما نشأ عن دوران الارض حول الشمس
فهو ولا شك مسبب عنها ولا ريب ان مدير الارض انما هو الله عز
وجل . فيكون قوله أنبت الربيع البقل مجازاً بدرجتين . لان الربيع
مسبب عن دوران الارض ودوران الارض مسبب عن تقدير البارئ
تعالى وكذا قولهم حرت السفينة أو الحجر . ومن المجاز ما له أيضاً
ثلاث درجات ومنه ما له أربع . ومنه ما تفوق درجاته درج المأذنة
ومن هذا الدرج ما شكله قرى ومنه حزنونى ومنه لولبى . ومنه غير
ذلك ثم ما زال المستنبط يفكر فى هذه البدائع حتى أدركه الاجل ذات
وبقى عليه أشياء كثيرة لم يحكمها . فقام من بعده من أولع مثله بهذا
المن فاستدرك على سلفه مواضع كثيرة . وظل يباحثه ويعارضه الى
أن قضى نحبه وقد ترك مجالا لغيره . فجاء من بعده من أصلح بينهما فى
عدة مواطن وعاب على كل منهما أيضاً أموراً . ثم مات ولم ينه ما قصده .
خلفه من صنع به ١٠ صنعه هو بغيره وهكذا بقيت أبواب المقد مفتوحة
فى عصرنا هذا . فمن طائل ان هذه العبارة من الاستعارة التبعية . ومن
أن منها من الترشيحية

قال بعض العلماء لا استعارة تنقسم الى مصرح بها ومكنى عنها .
والمصرح بها تنقسم الى قطعية وحمالية . والقطعية تنقسم الى تخيلية

وتحقيقية . وتنقسم ثانياً الى أصلية وتبعية . وثالثاً الى مجردة ومرشحة . وقال بعضهم وهذه تنقسم أيضاً الى عقبونية ومكائية ونبيصية وطعمية وغميسية ولعلمية ويلمعية . وعساسية . والعقبونية تنقسم أيضاً الى فرقية وقرقية ومقامقية والفرقية الى جحلنجمية وشنظفية وعطروسية ودحالية وشينقورية وكربرية . والقرقية الى خمخمية وعهمخية وعهمخية وكشعنجية وكشعظجية . والمكائية الى معوية وعنبرية وصفرية وعصلية وبلدكية وصفارية وصفيلية وطرطبية وانقاضية . الى غير ذلك من التقسيم . ويشترط في خطبة الكتاب أن تكون جامعة لجميع هذه الانواع . وأن يراعى فيها وفي الكتاب كله نوع الطباق . مثال ذلك اذا قال القائل في فقرة طلع . فلا بد وان يقول فيها أو في الثانية نزل . واذا قال أكل يقول بعده من غير تراخ تقياً أو - وفي الجملة فينبغي ان تكون الخطبة عويصة ما أمكن . وأية خطبة لم تكن كذلك كانت عنواناً على ركاكة الكتاب كله فلم يكن جديراً بالمطالعة . فقال له التلميذ وقد امتقع لونه وهل النحاة أيضاً ماتوا ولم ينهوا قواعد هذا العلم . وهل قرأت في له عليك تفنى عن اعادته عند غيرك هنا . وهل يجب على الطالب في كل بلد سافر اليه أن يتعلم نحو أهله أم هو علم مرة واحدة . فقال له الشيخ أما عن المسألة الاولى فأجيب انه ما جرى على البيانين فقد جرى أيضاً على النحاة . فقد قال الفراء أموت وفي قلبي شيء من حتي . وقد مات سيويه وبقي في قلبه من فتح همزة ان وكسرهما أشياء . ومات الكسائي وفي صدره من الفاء العاطفة والسببية والفصيحة والتفريعية والتعقيبية والرابطة حزازات . ومات البزدي وفي رأسه من الواو العاطفة والاستثنائية والقسمية والزائدة والانكارية صداد وأى صدد ومات الؤغشري وفي كبده من لام الاستحقاق والاختصاص والتملك وشبه التملك

والتعليل وتوكيد النفي وغير ذلك فروح وأى قروح . ومات الاصمى
وفي عنقه من رسم كتابة الهمزة غدة

وفي الجملة فان معرفة حرف واحد من هذه الحروف اذا تعمده
الطالب استقصاها وجب عليه أن يترك جميع أشغاله ومصالحه ويعكف
على ما قيل فيه وأجيب عنه . وما قيل من الامثال . اعط العلم كك
يعطك جزأه الا لأجل ذلك . وأما قولك هل يلزم أن تقرأ النحو
أيضاً على غيرى هنا أى في بلادنا فذلك غير لازم . فان أهل بلادنا
كلهم لا يطالعون غير هذا الكتاب الذى تطالعه أنت . بل قل من
يطالعه ويفهمه أو يعمل بمقتضى قواعده . وأما عن سؤالك الثالث
فأقول انه لا ينبغي إعادة هذا العلم فى كل بلد ولكنك حينما سرت
وبان توجهت وجدت أناساً ينتقدون عليك كلامك . فان عبرت بالواو
ملا قالوا الافصح هنا الماء . أو باو قالوا الاولى أم . وفى بعض البلاد
اذا علم انك تنقط ياء قائل وبائع سقط اعتبارك من عيون الناس . فقد
قرأت فى بعض كتب الأدب ان بعض العلماء عاد صديقاً له فى حال
مرصه فرأى عنده كراسة قد كتب فيها لقطة قائل بنقطتين تحت الياء
فرجع فى الحل على عقبه وقال لمن سار معه لقد أضعنا خطواتنا فى
زيارته . وهذا هو سبب قلة التأليف فى عصرنا . فان المؤلف والحالة
هذه يعرض نفسه للطعن والقدح والبلاء . ولا يراعى الناس ما فى كتابه
من الفوائد والحكم . الا اذا كان مشتملاً على جميع المحسنات البديعية
والدقائق اللغوية . ومثل ذلك مثل رجل فاضل يدخل على قوم بهيئة
رثة ورعايل شاميط . فالناس لا تنظر الى أدبه الباطنى بل الى بزته وزيه
والحمد لله على قلة المؤلفين اليوم فى بلادنا اذ لو كثروا وكثر تقدم
وتخطئهم لكثر أسباب البغض والمشاحنة بينهم . وقد استغنى الناس
عن ذلك بتلقيق بعض فقر مسجعة فى رسائل ونحوها كقولك السلام

والاكرام . والسنية والبهية . فأخفه ما كان ساكناً
 فأما الشعر في عصرنا هذا فانه عبارة عن وصف ممدوح بالكرم
 والشجاعة أو وصف امرأة يكون خصرها نحيلاً . وردفها ثقيلاً . وطرفها
 نحيلاً . ومن تعمد قصيدة جعل جل أبياتها غزلاً ونسيباً وعتاباً وشكوى
 وترك الباقي للمدح . ثم ان التلميذ النجيب استمر يقرأ على شيخه الاديب
 في النحو حتى وصل الى باب الفاعل والمفعول فاعترض على ان الفاعل
 يكون مرفوعاً والمفعول منصوباً وقال هذا الاصطلاح فاسد لان الفاعل
 اذا كان مرفوعاً كان الذي عمل فيه الرفع آخر . والحال انه هو العامل
 وبيانه انا نرى الفاعل في البناء برفع الحجر وغيره على كنفه فالحجر هو
 المرفوع والفاعل رافع وكذلك فاعل الـ فانه هو الذي يرفع
 الساق . فقال له المعلم مه مه لقد أخشت فكان ينبغي لك التأدب في
 مجلس العلم فانه غير مجلس الامارة . ثم ختم التلميذ ان قراءة الكتاب
 ولم يستفد شيئاً وكأن الشرح كله كان موجهاً الى الفارياق . ومذ ذلك
 الوقت أخذ في تجريد عبارته بمقتضى القواعد النحوية . فصار يهول
 بها على رفاع الناس كما يظهر في الفصل الاتي



الفصل الثانى عشر

في الكلة وأكال

لا بد لى من أن أطيل الكلام فى هذا الفصل امتحانا لصبر القارىء .
فان آتى على اخره دفعة واحدة من غير ان تحترق أسنانه غيظا . أو
تصطك رجلاه غيرة وحمية . أو ينزوى ما بين عينيه أنة وحشة . أو
تنتفخ أوداجه وغرا وهوجا . أفردت له فصلا على حدته مدحا فيه وعددته
من القراء الصابرين . ولكون الفاريابى فى هذا الوقت قد طال لسانه
وان يكن فكره قد بقى قصيرا ورأسه صغيرا ناقصا من عند قحودته وقد
نذرت على نفسي أن أمشى وراءه خطوة خطوة وأحاكيه فى سيرته .
فان رأيت منه حمقة جئت بمثلها . أو غواية غويت مثله . أو رشدا قابله
بنظيره . والافانى أكون خصمه لا كاتب سيرته أو ناقل كلامه . وينبغي
أن يعلق هذا الحكم فى أعناق جميع المؤلفين . ولكن هيهات فانى
أرى أكثرهم قد زاع عن هذه المحجة . اذ المؤلف منهم ينهاه ويذكر مصيبة
احد من العباد فى عقله أو امرأته أو ماله اذ به تكلف لا يراد الفقرا المسجعة
والعبارات المرصعة وحشى قصته بجميع ضروب الاستعارات والكنايات .
وتشاغل عن هم صاحبه بما يدل على أنه غير مكترث به . فترى المصاب
ينتحب ويولول ويشكو ويتظلم . والمؤلف يسجع ويجتس ويرصع
ويورى ويستطرد ويلتفت ويتناول المعانى البعيدة . فيمد يده تارة الى
الشمس وتارة الى النجوم . ويحاول ازالها من أوج مجائها الى سافل

قوله . ومرة يقتحم البحار . وأخرى يقتطف الازهار . ويطفر في الحدائق . والفياض من أصل الي فرع ومن غوطة الي روة . ما ذلك دأبي فاني اذا أوردت كلاماً عن أحق انتقيت فيه له جميع الالفاظ السخيفة . واذا نقلت عن أمير تأديت معه في النقل ما أمكن فكأنني جالس بمجلسه أو عن قسيس مثلاً أو مطران تحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختل . لئلا يصعب عليه المعنى فيقوت الغرض من تأليف هذا الكتاب . فاعلم أذا أن الفارياب بعد ان فار دماغه بحجارة النحوزيادة على ما كان له من الرغبة في النظم سار ذات يوم لقضاء مصلحة له . فر في طريقه على دير للرهبان وكان الوقت مساء . فرأى ان يبيت ليلته تلك في الدير فمرج عليه وطرق الباب فبرز له روهب . فقال له هل من مبيت عندكم لضيف . فقال له الروهب أهلا به ان لم يكن ذا سيف . ففرح الفارياب بهذا الجواب وعجب من أنه يوجد في الدير من يحسن المساجلة . وانما قال له الروهب ما قال لان الدير كان ينتابه كثير من أتباع الامير ليبيتوا فيه من كل سرطم قهقهم لهم وهم وخم هقم يسمع له هيقم . فكان أحدهم اذا بات ثم ليلة يكلف الرهبان من المطاعم الفاخرة ما لم يعهدوه . لان هؤلاء الخلق يعيشون عيشة المتقشفين المقترين المتبغنين بادني القوت . اذ هم ينظرون الي الدنيا والى لذاتها نظر العدو . فعني عندهم ضره الآخرة . كلما تباعد عنها الانسان الخلق فيها تقرب الي الجنة . حتى ان الخبز الذي كثيرا ما يأكلونه بغير ادام ليس تخبز الناس . فانهم بعد ان يخبزوه رقيقاً يشمسونه أياماً متوالية حتى يجف ويبس . بحيث يمكن للانسان اذا أخذ بكلتا يديه رغيفين وضرب أحدهما بالآخر ان يخيف بفرقتهما جميع جرذان الدير او ان يتخذهما متخذ الناقوس الذي يضرب به لاوقات الصلوة . ولا يقدرون على أكله الا منقوعاً بالماء حتى يعود عجينا . فاما قلند تابع الامير بالسيف

فانما هو تهويل وانذار بنكال المتهاون به . كتهويل الفاريابي على الروهب بسؤاله . ومن لم يكن له سيف استعار سيف صاحبه أو اتخذ له خشبة رقيقة في غمد سيف . وليس في استعارة الماعون وعيره عند أهل الجبل من طار بلى كثيراً ما يستميرون حلياً ومعرضاً للعروس يزفونها به وللرجل ثياباً وصمامة يزينونه بها . ثم انه لما حان وقت العشاء جاء ذلك الروهب بصحفة من العدس المطبوخ بالزيت وبثلاثة أصنوج من ذلك الخبز وجعلها بين يدي الفاريابي . فجلس للعشاء وتناول رغيفاً ودقه بالآخر حتى انكسر . فلما التقم أول لقمة نشبت شظية من الخبز في سنه وكادت ان تذهب بها . فجعل يسندوها ويسد مواضع الخلل منها بالعدس . ولم يكد يتم العشاء حتى اشتدت حرارة العدس في بدنه فجعل يحك باظفاره ويبعض قصد الرغيف حتى تهشم جلده . فسأه ذلك جداً وقال لقد خلخلت هذه الكسرة سنى فلا قلن سنًا من أسنان هذا الدير . ثم انه أصل فكره في نظم بيتين في العدس تشفيًا مما ناله منه جرياً على عادة الشعراء من انهم يتشفون بعتابهم الدهر مما هم فيه من النحس والقهر . والشقاوة والضر . فالتبست عليه لفظة فقام في طلب القاموس . فطرق باب جاره وكان من المتحمسين في الدين فقال له هل عندك يا سيدى القاموس * قال ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران فما حاجتك به الآن * فطرق باب آخر وكان أشد منه خشونة فقال له هل لك أن تميزنى القاموس ساعة قال اصبر على الى نصف الليل فان الكبوس لا يأتينى الا في هذا الوقت . فضى الي غيره وأعاد عليه السؤال * فقال له أى شئ هو هذا القاموس ياما غوص * فرجع الى صومعته وقال * لا بد من نظم البيتين وسأترك محلاً فارغاً للفظة فقال

أكلت العدس في دير مساء فبت وبى أكال لا يطاق
فلولا اننى أعلنت ظفري لقال الناس - الفاريابي

فلما كان نصف الليل والفاريق نائم اذا بأحد الرهبان يقرع عليه الباب * فظن انه أتاه بالكتاب المطلوب * ففتح له وهو مستبشر بوجودان ضالته * فقال له الراهب قم الى الصلوة واقفل الباب واتمعي فتذكر عند ذلك ما قاله له جاره من ان الكبوس لا يأتيه الا في نصف الليل * فقال في نفسه لقد صدق الرجل فان هذا الداعي أشد على النائم من الكبوس * فبحاً لها من ليلة شؤمى لقد كاد الخبز يقطع سنى والعديس مناني بالحكمة * وما كدت الا ان أغفى حتى أتاني هذا القارع الاقرع النحس يدعوني الى الصلوة * أكان أبى راهباً وأمى راهبة أم وجب على الشكر والصلوة من أجل أكلة عدس * ولكن سأصبر الى الصباح فلما كان الغد جاءه ذلك الرويب لیسأله عن حاله اذ كان قد دخل الدير مذ عهد غير بعيد فكان فيه بقية رقة ولطف * فقال له الفاريق سألتك بالله أن تجلس عندي قليلاً * فلما جالس قال له قل لي فديتك أفي كل يوم انتم تفعلون هذا * فوجم الرويب وظن به سوءاً ثم قال أي فعل تعني قال أكلكم العدس مساء وقيامكم في نصف الليل للصلوة * قال نعم ذلك دائماً في كل يوم * قال ما الذي أوجبه عليكم * قال التعبد لله والتمتع به اليه * قال ان الله تبارك وتعالى لا يهبه ان كان الانسان يأكل عدساً أو لحمًا * ولم يأمر بذلك في كتبه * اذ ليس فيه مصلحة لنفس الآكل أو للمأكول * قال هذا دأب النسائك العباد اذ التقشف في المعيشة ونهك الجسم بالردىء من الطعام وبقلة النوم ينفي الشهوات . قال لا بل هو مناف لما شاء الله * اذ لو شاء أن ينهك بدنك ويخليه من الشهوات خلقتك ضاويًا درنفاً * ما قولك فيمن خلقه الله جميلًا * أيجوز له أن يشوه وجهه بأن ييحق عينه أو يخرم أنفه أو يشرم شفته أو يقلع أسنانه كما أردتم قلع أسناني البارحة بخبزكم هذا اليباس أو أن يسخم سحنته * قال في ظنى انه لا يجوز * قال أليس البدن كله

على قياس الوجه * لعمري ما خلق الله الساعد النعم الا وهو يريد بقاءه
 فعماً * ولا الساق المجدولة الا وشاء لها أن تكون كذلك دائماً * ولا
 حلل الطيبات من المأكّل للناس الا وهو يريد أن يأكلوها هنيئاً مريئاً
 نعم قد حرم هذه الطيبات بعض الاديان المشطة * غير أن دين النصارى
 يحللها * وانما جاء التحريم من بعض شهاب طعنوا في السن فلم يكن بهم
 قطع الى اللحم ولا الى غيره * ما المانع من تناوله كل يوم * قال لأدري
 وانما سمعت علماءنا يقولون ذلك فقلدتهم * وانى أقول لك الحق أنى
 مللت من هذه المعيشة فاني أرى جسمى كل يوم في ذبول ونقص في
 في انقباض ولو كنت عرفت من قبل ما أصير اليه لما سلكت هذه
 الطريقة غير أن أبى وأمى فقيران وخشيان أن أكون من ذوى البطالة
 والتعطّل * اذ لا صنائع نافعة في بلادنا يمكن للانسان أن يتعلمها ويعيش
 منها فزينا الى الرهبانية * وقال الى اذا واطبت على الطريقة في الدير بضع
 سنين فربما ترتقى الى رتبة عالية فتنتفع نفسك وايماناً * وما زال ابى
 حتى أحبتهما ولولم أجهما طوعاً لأكرهاني على ذلك * فقال له الفارياق
 نعم ان الرهبانية هي ملجأ من البطالة فكل من كان عطلاً عن علم أو
 صنعة يقصدها * الا أنك ما زلت مثلي حدثاً فيمكن لك أن تقصد
 أحداً من أهل الخير والشفقة فيدلك على ما ينفعك * والله تعالى خلق
 لاشدائ * وتكفل لها بالارزاق * وقد جعل في الحركة بركة *
 هذا وأنت تعلم أن الرهبانية مشتقة من الرهبة وهي خوف الله تعالى
 فاذا تعاطيت حرفة وعشت بها بين الناس وتزوجت ورزقت ولدا وخشيت
 الله فأنت حينئذ راهب * ليست الرهبانية بأكل العدس والخبز اليابس
 أيس ان رهبان ديرك بينهم من الخصام والطعن والحقدها لا يوجد عند
 غيرهم فان رئيسهم لا يزال يحاول اذلالهم واخضاعهم له * وهم لا يزالون
 مدمدمين عليه شاكين منه * وبينه وبين رؤساء الاديان الاخرى من

الحسد والمنافسة ما بين وزراء الدول * وأكثرهم ينال الرئاسة بالتلق
للامير الحاكم أو للبترك * فاذا أحس بوشك انقضاء مدته وخشي العزل
رأيته يجود بالهدايا والتحف لدوى لاسر والنهي بما لا يجود به أكرم
أهل بلادنا * وذلك حتى يقروه على رئاسته وهؤلاء الرهبان المكرهون
على التبليغ بالعدس وعلى التنحس اذا دعاهم أحد لمأدبة سمعت لاستراطهم
دوياً * فيلففون ويلطمظون ويلطمظون ويتكظكظون ويشنفون حتى
تجفظ عيونهم * وأضر ما يكون على منهم أنك لا تكاد تسلم على أحد منهم
الا ويمد لك يده لتبوسها وربما كانت نجسة قدرة * فكيف أثم يد
من هو أجهل منى ولا غناء عنده فى شئ * أنظر كم عندنا فى بلادنا من
دير وعلى كم تشتمل هذه الاديان من الرهبان . ولم أر أحدا منهم نبغ فى
علم ولا من أثرت عنه مكرمة بل لاتسمع عنهم الا ما يشين الانسان
فى عقله وعرضه . قد كنت فى خدة بعير بيعبر مدة فرأيت أحدهؤلاء
الكارزين قد تمكن من ابنته تمكن الزوج من امرأته . فكان يقول لها
فما يسألها عنه هل تتمجج اليك وتترجج ندياك . فاللراهب ولترعد
الايانسون ورجرجة اندائن . وآخر كان رئيساً فى دير فعلق بنتاً فى
قرية بالقرب من الدير فلم تلبث ان علقت منه . غير انه لما كان أخوه
وجيهاً عند الحاكم خاف أبو البنت من أن يخاصمه ويفضحه . بل قد
تقرر فى عقول الجهلاء من أهل بلادنا ان افشاء أمر مثل هذا مما
يفتضح به عرض أحدهؤلاء النساء حرام . ايم الله ان الستر عليه حرام
فان فضيحتة تردع غيره

وأعرف آخر جاء الى قريتنا متماوتاً وقد طول كفيه وأسبل قلنسوته
حتى لم يكد يظهر من تحتها الا فمه ولحيته تظاهراً بالصلاح والتقوى .
ثم أنزل نفسه منزلة خطيب فى القوم . فجعل يخطب ويعظ وينذر بصوت
جهمير . وكان يبكي عند ذلك أشد البكاء ويذرف المدامع اذا كان جعل

في منديله الذي يمسح به وجهه شيئاً ذا حرّة لا أدري ما هو . ثم آل أمره إلى أنه كان يقضى أياماً وليالي مع أرملة حسناء شابة من نساء الامراء في خلوة استذراعاً بأنها نعترف له اعترافاً عاماً أى من يوم انتفخ ثديها ونبت شعرها الى ذلك اليوم . وأعرف آخر كان قد ذهب الى رومية وكان مقفلاً فكان ينام في فراشه بثيابه الرهبانية على طريقته في الدير ويوسخ الملاة . فكان صاحب المنزل ينهاه عن ذلك . ثم لما رأى ان جميع قسيسى رومية وأعيان أئمتها من الببا الى الكردينال الى الراهب ينامون عريانيين لا شيء يستر سواتهم غير ملاء الكتان الرفيع كفر بهم وصار يستحل الحلال والحرام ممّا . فأنظر الى هؤلاء العباد من العباد فانك لا ترى فيهم الا خبيثاً منافقاً . أو جاهلاً مائقاً ونذر وجود الصالح بينهم . أما العلم فهو محرم عليهم كلهم . لا بأس في الرهبانية تطوعاً لا بأس انما هي طريقة محمودة . ولكن بشرط مجاوزة الحسين سنة . وان يكون الداخلون فيها من أهل الفضائل والمعارف يشتغلون بالعلم وبتبذير املاء اخوانهم ومعارفهم . ويحضون على مكارم الاخلاق والاتصاف بالمزايا الحميدة . ويؤثفون الكتب المفيدة وينهجون لقومهم المناهج المؤدية الى الخير والفلاح والنور والنجاح لا مثل هؤلاء الجاهل الذين لا يعرفون شيئاً من الدنيا سوى التقشف والزناة . وناهيك دليلاً على جهلهم انى سألت أشدهم تحمساً أن يعيرنى القاموس فظنه الجاموس . وآخر ظنه الكبوس . وآخر القاموس . فبدر يا صاح وتخلص منهم هداك الله والا فتكون لا من أهل الدنيا ولا من أهل الآخرة فان دين الجاهل عند الله ليس بشيء . واذا بلغت الستين سنة فما هي الرهبانية بين يديك . فقال له كيف التخلص . قال ألك في الدير متاع فاساعدك على حمله قال مالي سوى ماتراه على قال فامض بنا اذاً فان الرهبان الآن عاكفون على الصلوة فخرجوا من باب

الدير ولم يعلم بهما أحد • فلما بعدا قليلاً هنا الفارياق صاحبه بخروجه
من ربة الجهل وقال له • لعمري لو كنت كلما أكلت أكلة عدس
خلصت راهباً أوروبياً أو بالحري راهبة أوروبة لوددت أن لا آكل
الدهر غيره وإن أكل بدني • فجزى الله الدير خيراً



الفصل الثالث عشر

في مقامة

أو مقامة في الفصل الثالث عشر

قد مضت على برهة من الدهر من غير أن أتكلف السجع والتجنيس
 وأحسبني نسيت ذلك . فلا بد من أن أختبر قريحتي في هذا الفصل
 فإنه أولى به من غيره . اذ هو أكثر من الثاني عشر وأقل من الرابع
 عشر . وهكذا أفعل في كل فصل يوم بهذا العدد حتى أفرغ من كتبي
 الأربعة فتكون جملة المقامات فيما أظن أربعاً . فأقول
 حدس الهارس بن هشام قال أرقفت في ليلة خافية الكوكب . بادية
 الهيدب . طويلة الذنب . ملأني من الكرب . الى الكرب . فجملت .
 أنام على ظهري مرة وعلى جنبى أخرى . وأتصور شخصاً ناعساً امامي
 يتناوب وآخر ينخر نحرأ . وآخر يتهوم سكرأ . فان التصور فيما قالوا
 معب على فعل ما ترغب النفس فيه . وينشط الى ما تنصبو اليه وتشتهي
 ومع ذلك فما أكنحات غمضاً . ولا فتح في تذاؤب طولاً ولا عرضاً
 وكان يخيل لى ن أهل الارض كلهم رقود وأنا وحدى من بينهم أرق
 وان جميع حيرنى في سكون وأنا دونهم قاق . فقممت الى الشراب فحسوت
 منه حسوة . فلم تلب الا غفوه . كأنما كانت هفوه . فأفقت فى أسوأ
 حال . وشر أبال . وهسوه قد انمالت على من كل جانب . والأفكار

متطيرة على كل مقارب ومجانب * فكان يخطر ببالي كل ممكن ومحال
ويماودنى ما كنت فكّرت فيه من الاحوال * مرة منذ أحوال * فلما
علمت أن النوم قد نذّ عني وان تناومت * وانه لا بد من ترقب الفجر
ان أذعنت وان قاومت * مددت يدي الى كتاب أطالع فيه وقلت ان لم
ينعني فينبهني ببعض معانيه * فتناولت أقرب ما وصلت اليه يدي *
وأنا غير مؤثر أحد الكتب على غيره في خلدي * واذا به كتاب موازنة
الحالين * ومرافاة الاكتين * للشيخ الامام العالم العامل * الفاضل
الكامل * أبي رشد نبيه بن حزم * المشهور بالبلاغة في النثر والنظم
وهو كتاب لم يسبقه اليه أحد من المؤلفين * ولم يجارده فيه كاتب من المجتنبين
فقد وازن فيه بين حالتي بؤس المرء ونعيمه * وروحه وهمومه ومنافعه
ومضارّه * وأحزانه ومساره * منذ كونه طفلاً * الى أن يصير كهلاً *
ثم شيخاً قحلاً * وقد جعل ذلك في جدولين متقابلين * وأسلوبين
متفاضلين * الا أنه لما كان الشيخ قدس الله سرّه * ورفع في أعلى عليين
مقامه وقدره * على ما يظهر لي ذا عيشة راضية * وسعادة وافية *
وهمة ماضية * رشح طرف اللذات على غيرها * واستقل شر الحياة
بالنسبة الى خيرها * حتى انه زعم أن اللذة تكون عن الفعل والتصور
معاً بخلاف الالم فان المكر لا يقع منه موقفاً * وانه كان اذا امتثل
خوداً يداعبها وتداعبه * هزته نشوة طرب مال بها سريره ومركبه *
وكللكه ومنكبه * بيد أني ارتبّت في كلامه في هذا المحل * وقات
سبحان الله لا بد لكل مؤلف من هذبة راذلة * وذلك أن لما
تدورت الشخص المنهوم ، والعاث والمساب وأما متناوم * لم ينهني
التصور عن الفعل فقيراً ، ولا وجدت فيه لذة لاقليلاً ولا كثيراً ، على
أنّي أذهب الى ما ذهب اليه بعض المجانين ، من أن لذة النوم لا تكون
قبله ولا معه ولا بعده للنائمين * وهي عقدة للطبائعيين لا يمكنهم حلها

بلسانهم وأفكارهم * ولا بأسنانهم وأظفارهم غير أن عبارة المصنف كانت من العلم والحكمة بحيث تخلب عقل الناقد الخبير * وتربك في تحري أحد القولين كل تحرير * فلما أطلقت النظر فيهما وعاد الى كليلا * وأعملت حد النقد ورجع مفولوا عزم على أن أستجلى هذا الاشكال * من بعض ذوى الدراية والجدال * فقلت في نفسي كما ان يدى نالت أدنى الاسفار * كذلك يكون مراوحى عليه أدنى الجار * وكان يسكن بالقرب منى مطران يطرى قومه على حليته * ويعظمون فضله وأدبه على طول لحيته * فقصدته ضحوة النهار * بادى الاستبشار فرأيت ذا بكلة تروق وبزة تشوق * فعرضت عليه الجدولين وقلت افتنى في هذه القضية * ولك الأجر من رب البرية * فنظر فيهما ثم حرك رأسه * وجعل يرمش ثم يشكو نعاسه * وقال لى ماترجمته * اذ لم يكن ممن تسمو الى السجع همته * مالحت مغزاهما * ولا دريت فخواهما * ولو كانا بعبارة ركيكة كان ذلك أسهل على من الجالوس على هذه الأريكة * فقلت قد أخره فى العلم والثقف * تقدمه فى الصف * ونقص من عقله وفهمه مازاد فى لحيته وكفه * فلا مستعلمين بعده أكثر الناس حقاً وهو جاك * وما ذلك الا ما لم الصبيان الهجا * وكان فى البلد من اتصف بهذه الصفة * وهو مع ذلك دو كبر وعجرفة - فقصدت محله * وألقيت عليه المسئلة هذا به قم الصنف بدمه * وبرارى بعينيه * ويقول لقد سقطت على الخبير . واهميت برأى اصير * ان شئت أن تعرف أى القولين أرجح وأصدر رشح . فزن الجدولين دون جلد الكتاب فى ميزان * فما رشح منه فهو الراجح . ما اختلف فى ذا انان * فقامت من عنده غصبان اذما رأعت المرق الذى كان السبب أن أكون لمعلمى الصبيان . كما آ بهد : قرأت فى غير كتاب . وسمعت من ذوى الالباب . انهم ارحم خلق الله عقلا . و أكثرهم جهلا . وأبعدهم عن الفهم .

وأسفهم الى الوم . فسرت في ذلك اليوم . الى فقيه من جلة القوم
قد كبر صامته وكورها . ووسع جبهته وزورها . فقلت افتنى أيها
الفاضل الاحذق . أي القولين عندك أحق واصدق . فقال أما إذ
جئتنى مستفتياً . ورميت أن تكون برأيي مستهدياً . وبطريقي مقتدياً
فاني أقول لك بعد التروى . في هذا المذهب المتحوي . إنا معاشر
الفقهاء من أهل الكلام . القائلين بأحكام الأحكام . وتبيين المتشابهين
الانام . وان من دأبنا اظهاراً للحق أن نسهب في التعليل . ونكثر
من قال وقيل . إذ لا بد من انتشاء عرف الصواب . من الاسباب
ومن الاهتداء الى بعض المذاهب . بفرض المستحيل وجعل المعدوم
كالموجود الواجب . فعندى أنه لا بد من عد ألفاظ القولين . واحصاء
حروف الجدولين . فما كان منهما أكثر حروفاً . فهو أرجح وأحسن
تأليفاً . والله أعلم . ففصلت من عند الفقيه . كما فصلت من عند صاحبه
السفيه . وقلت انما اللوم على مستعته . ثم قصدت شاعراً كنت أعهده
يتلهوق ويتشددق . ويتفصح ويتمدح ويتبجح ويتزنج . وقلت له
هاك ما تخرز عليه أجراً . ويكسبك بين الناس فخراً . فأبى لي أي
الاهلويين أبدع . وبالحق فاصدع . قال أما أنا فإني من خلاق في الدنيا
ولانصيب . غير المدح والنسيب . ففي الاول غصتي . وفي الثاني لذتي
فاصبر على ريبا أطالع ديواني كله . وأنصفحه جملة فان وجدت المديح
فيه أكثر من الغزل . كان الخير في الدنيا أقل . فألحقته بصاحبيه
الفقيه والمعلم . وقلت كم من متكلم . تكلم .

ثم سررت الى كاتب الامير . وكان مشهوداً له بالتحري والتحرير . فأثنت
عليه قبل السؤال مطرئاً . وقلت لم يكن غيرك في ذا مجزئاً . فقال ان
سعادتي في الكون هي ان أرضى عن أميري ويرغى عني . وشقاوتي
هي أن أغضب منه ويفضب مني . وقد نسيت كل ما جرى على من

الغضب والرضى * لكثرة المفاده والمقتضى * فان صبرت على في المستأنف
 شهراً * لأقيد في دفترى ما ألقاه منه حلواً وصرأ * ونقعا وصرأ *
 أفدتك الجواب فاقبل عذراً * فصيرته رابع الثالثة * وقلت لأستشيرن
 ذا حداثة * فان أهل المراتب والمناصب قد ذهبت صدارتهم بألبابهم
 فلم يبق فيهم خير لقارع بابهم * فحئت الفارياق وهو مكب على النسخ *
 وفي طلعت مبادئ المسخ * فقد رأيت عيني غائرتين * ويديه ذاويتين
 وعظم خديه نائتاً * وجلده كالظل زائتاً * حتى رثيت لحالته * وكدت
 أمسك عن الكلام لإشفاقاً من بطالته * لكنه لما رأى قام الي * ثم أقبل
 على * وقال هل من خدمة انتضت سعيي * أو نجوى أوجبت وعي *
 فقلت قد أقدمنى كذا وكذا * فاكفنى ذل السؤال كفيت الأذى *
 فأخذ رقعة من تحت أسمال * وكتب فيها في الحال — ؟

أثيتنى مستفتياً في أمر	يلمه كل امرء ذى حجر
الخير ان قابله بالشر	في العمر كان قطرة من بحر
ألا ترى الأجرب كيف تسرى	عدواه في جميع أهل المصر
وليس من ذى صحة ويسر	عدوى لمن دافاه طول العمر
والطفل اذ يثر كم من ضر	يلقى ويلقى عنده في قبر
وعند إشعار وناث ظفر	ليس له من لذة وسر
وكل عصو لقول الكسر	أقرب منه لقبول الجبر
وما فسادة سريعاً يزرى	كالهين لن تصاحبه في دهر
ونعى طفل لأبيه يفرى	فؤاده وكل عظم يبرى
وأس في مولده من بشر	ند لحزن موته الأضر
وما كره لذة عن فكر	إذا تحققت ولا عن ذكر
وانما ...	في خاطر المغفل المنذر
...	...

وهل لمن يبرد وقت القر دفة بتذكار أوان الحو
فليس دنيانا لأهل الخبر سوى بلاء دائم وخسر
يولد فيها العبد غير حر وهكذا يموت رغباً فادر
قال فلما أخذت الرقعة وثأملت فيها * وتحققت معانيها * علمت أن
نوله هو الأسد * وأن قول غيره هذيان وفند * فقلت له بورك في
من جاد بمثلك * وهدى المستفيدين الى رشدك وفضلك * وقبحك
لاهل الترا * إذ لم يخلوك أرفع الذرى * ثم انصرفت من عنده داعياً
ولما قاله واعياً



الفصل الرابع عشر

في سر

جمع جمع الحمد لله * الحمد لله قد تخلصت من انقضاء هذه المقامة
ومن رقها أيضاً فانها كانت باهظة * ولم يبق لي هم منها سوى حث
القارئ على مطالعتها * وهي وان تكن خشنة غير مهلهلة كسجع الحريري
الا أنها تلبس على علانها * وتحمد لافادتها * وفي ظني أن الثانية تكون
أحسن منها * والثالثة أحسن من الثانية * والرابعة أحسن من الثالثة
والخمين أحسن من التاسعة والأربعين * لا تخف من هذا التحويل
والتوهيل لا تخف * انما هي أربع لا غير كما وعدتك * والآن ينبغي
أن أعصر يافوخي لأستقطر منه أفكاراً ومعاني حسنة وألفاظاً رائعة
مع تجنب الثرثرة * فان العلماء يسمون ذلك فيما أظن إخلاء * ولكن
قف هنا حتى أسألكم * ماذا تسمون الكلام الذي يتدفق بالمعاني ويبل
قارئه حتى آتيكم به * فان لم تسموه لي حالا فلا تلوموني على نقيضه
فاني أنا من الموجود ودأبي أن أبحث عنه لا عن المعلوم * ولما كان
اسم الاخلا موجوداً ونقيضه معدوماً ناسب أن أعدل اليه عن غيره
الى أن تتواطئوا على اسم ولكن لا بالحناق والتناوش * والنقار والتهاوش
وبالجلاد والجدال * وبالتماسك بالجيوب والأذيال • بل بالرزانة والوقار
والأون والاستبصار • فان الرزين اذا وضع اسماً لشيء جاء ذلك الاسم
رزيناً مثله • فلا يمكن بعد انتقاله الى آخر • بل ربما وقر بالاسم المسمى
وان يكن مما اتصف بالخلقة والطيش • ألا ترى ان كلام الشاعر الرقيق

يأتي رقيقاً . وكلام الضخم يأتي ضخماً كما قيل كلام الملوك ملوك الكلام
وشعر المرأة يأتي خالباً للعقول لاعباً بالالباب مثلها . ويستثنى من هذه
القاعدة وضع الولد من قبل أبيه أى مادة توزيع الولد . لا ان الأب
يحبل ويلد * وذلك ان الوالد قد يكون قبيحاً وبأني ولده صبيحاً *
وسببه ان الايلاد لما كان من الأفعال التى لا تتم الا بمشادة اثنين أهى
رجلا وامرأة اذ التغليب هذا لا يخلو أيضاً من الابهام . لم يكن للوالد
مطلق التصرف قى تهيته ولده كما شاء . فقد يكون هو عند ذلك مقدراً
له شكلاً ارتضاه وتكون أمه حرسها الله مقدرة له شكلاً آخر بحسبما
استحسنته وخلق صدرها اذ ذاك . فيأتى الولد خنفشارياً . لا يقال ان
الرجل لا يستحضر عند ذلك صورة معلومة لدهوله بشاغل المادة . فان
ذلك لا يصدق على من ألف شيئاً واحداً مخصوصه . فان طول ألفة
الانسان لشيء تعدل هواه فيه . فيباشره برشد وروية . فثله كمثل
الطباخ الشبعان يطبخ خضض الطعام باتقان وأحكام بخلاف الجائع فانه
يلهوج عمله ويلهوقه . فاعلم اذاً بمد هذا الاستطراء البديع . والمعتال
المجيع * ان الفارياق ذهب ذات يوم الى بعض القسيسين ليعترف له بما
فعل وفكر . وقال من المنكر . فقال له القسيس فيما سأله به . قد
سمعت عنك انك كلف بالنظم وبالألحان وهما من أعظم أسباب الفساد
والفراغ . فهل سؤل اليك الخناس ان تنزل فى الشعر بامرأة قاعدة النهى
موردة الخلد * بينة للكحل * مرتجة الكفل * نحيلة الخصر * مفلجة
الشفر * عثلة الساقين . مجدولة الساعدين . سوداء الشعر والحامتين .
نجلاء العينين . مخضبة الكفين . رقيقة الشفتين . مزججة الحاجبين
مدورة السرة . ذات عكن مفترية . حلوة الابتسام . مهفهفة القوام . لها
رضاب عذب . ونكهة تسكر الصب * قال قد فعلت ذلك لكنى ان
أراك الا حرينى فى هذه الصنعة . فقد رأيتك تحسن وصف الحسن اذى

احسان • قال ليست حرفتي تلفيق الكلام وانما هو شيء عرفته بالقياس
والالهام . فان كل من تعاطى النظم يملأ دماغه بهذا الوصف المحرم .
وكيف كان فلا بد من أن تحرق غزلك كله . بالتفصيل والجملة . فانه يبعث
الاعرار على المعاصي . فتجزى به يوم يؤخذ بالنواصي . وتمز التفاصيل
قال كيف أحرق في ساعة واحدة ما سهرت فيه ليالي متعددة حرمت
فيها من الكرى . وكابدت بها جهداً ولا جهد الشرى . أو السرى .
فكنت اذا نظمت البيت من القصيدة يخيل الي اني قطعت مرحلة الى
محل المتفرل بها . وعند تمام القصيدة أتصور اني وصلت اليها ولم يبق
يني وبينها سوى فتح الباب . فكان اختتام عندي افتتاحاً خلافاً لجميع
الشعراء . ولذلك لم أكن أقصد القصائد الطويلة خشية أن تطول على
المسافة بطولها . فهل من الرأي السديد أن يحبط عملي كله من أجل
الاعرار . وبعد فاني لا أريد انهم يقرؤن كلامي . لانهم ان لم يفهموه
سألوا عنه أهل العلم فيذمه هؤلاء ويخطئونني ويفندوني . اذ لا يرون
في كلام الصغير الوضيع حسناً . وان استحسنوه لم يكن جزاى منهم
الا قولهم أخزاه الله وقاتله الله ونكاته أمه ولا أب له ولا أم له . قال
ان أبيت الا الاصرار على العناد و التزيغ عن جادة الرشاد . أمسكت
عنك مفخرة ذنوبك . ونددت في الكنيسة بميوبك . قال لا تعجل
فان المجلة من الشيطان . أرايتك لو مدحتك بقصيدة طويلة تجعلها
كفارة عن الذنب . وان شئت أن أمدح فيها أيضاً جميع الرهبان
والراهبات والعابدين والعابدات والراهدين والراهدات والناسكين
والناسكات والقانتين والقانتات والمفردين والمفردات والمغبرين والمغربات
والمذكرين والمذكرات والذاكرين والذاكرات والمتقين والمتقيات
والمبتلين والمبتلات والمتهجدين والمتهجدات والساجدين والساجدات
والخجبتين والخجبتات والمسيحين والمسيحات فعلت . ففكر ساعة وكأنه

رأى أن ليس في التفضل كبير أثم • فان وصف المرأة • مثلاً بضخم الكف •
وفعومة الذراع وتدمك الثدي اذا كانت في الواقع كذلك انما هو من
قبيل قول القائل البدر طالع عند طلوعه أو السحاب منتشع عند انقشاعه
وانما يكون افتراء وانما ما اذا وصفت بذلك • وكانت مسحاء مرداء •
أو كانت تتخذ الحمايا لتحسب عجزاء فصدقها ناظرها في ذلك وقال فيها
ما قال مجازفة • فلما تدبر الامر ورازه بعقله قال • لا ينبغي أن تتخذ
مدحى كفارة فاني أخشى أن تمسك بي ولا تعود تطلقني • اذا أرى
من قوافيك في الفاعلين والفاعلات انك مسكة علقه نشبه ثومة • وانما
تمدح أولياء الله والربانيين الصالحين الذين زهدوا في الدنيا رغبة في
الآخرة لوجه الله ولبسوا المسوح ووزموا السهر في طاعة الله وداوموا
على التقشف حباً بالله • فنهى من لم يأكل مدة حياته كلها الا العدى
والخبز جافاً صلباً • فقال الفارياب وأعقبه أيضاً كسر سن وحكة •
قف قف • قد نسبت أن أذكر لك شيئاً أخطره الآن بيالى العدى •
وذلك اني تسببت مرة في اخراج رويب من ديره وتركه الطريقة وانما
الذى أغرائى بذلك ما قاسيته فيه ففعلت ما فعلت تشفياً • فقال ذنبك
في التشفى وهو ضرب من الانتقام أكبر من ذنبك في اخراج الرويب
فان أكثر الرهبان لا فائدة من اقامتهم في الدير لا لهم ولا لغيرهم
وما عدا ذلك فقد يحتمل ان هذا الرويب يتزوج ويجعل من ولده رهباناً
كثيرين • ولكن اذا مدحت الراهبات فاحذر من أن تذكر لمن
اثناء واعجازاً اذ لا شيء لمن من ذلك فان طول الاعتكاف والاحتجاب
قد صيرهن مغالطات لسائر النساء • ونحن معاشر العباد أعلم بهن •
فقال له الفارياب سألتك بالله معبود أهل السموات والارض هل
جميع القسيسين • مثلك في الظرافة والدطابة • قال لا أدري وانما أدري
اني أنا وحدى شقيت بما عرفت • واني لو بقيت جاهلاً مثلهم لكان

خيراً لي . ان من الجهل لراحة . فقال له وكيف ذلك . قال أعندك
للسر مكان حريز . قال اني سرى من دمي فلا أبوح به . (قلت بل
يج به الآن) قال أتريد أن أفص عليك قصتي . قال أكرم بها قال
أصغ سمعاً



الفصل الخامس عشر

في قصة القسيس

ثم طفق يقول : أعلم انى كنت فى مبدأ أمرى حائكاً . ولما شاء الله تعالى من الازل أن يخلقنى قبيحاً وقصيراً . حتى ان أُمى عند نظرها الى كانت تحمد الله على أنه لم يخلقنى بنتاً لم اكن أصلح للحياة لان حصرى الفاحش منانى غير مرة فى حفرة النول بالهر والخنق . اذ كان جسمى كله يغيب فيها فينقطع نفسى . مع أن منخرى بحمد الله يسعان من الهواء ما يكفى خمسين رئة وخمسين كرشاً . وكثيراً ما كان يمشى على فيها وأوخذ منها على آخر رمق . فلما قاسيت من هذه الحرفة كل جهد وعناء رأيت أن التسبب ببعض ما يرغب فيه النساء أصلح . فاكترت لى حانوتاً صغيراً وقعدت فيه . فساكت النساء يمررن على وينظرن الى ثم يتضاחקن . وسمعت مرة منهن من تقول . لوكان الظاهر عنواناً صادقاً على الباطن لكان خرطوم هذا التاجر يشفع له فى جثته ويروج سلعته . فاعتمدت على كلامها وقلت لعمل من القسح سعادته . فقد قيل فى الامثال أن من الحسن لشقوة . ومكثت مدة على هذه الحال من غير طائل . فان أُنهي وقف بينى وبين رزقى . وبلغ كبره من القبح بحيث أنه لم يدع لغير الالباء والاعراض عنى موضعاً . فقعدت يوماً أفكر فى خلق الله تعالى هذا السكون . وأقول يا الحكمة الله كيف تخلق فى الدنيا انساناً ثم تخلق فيه شيئاً يمنع عنه رزقه وقوام معيشته . ما الفائدة من هذا الانف الضخم الذى لا يصلح لشيء الا لان تضمن

فيه اعجاز قفا نيك . ولم لم يقور منه شيء وبكور في جنتي . ومالي أرى
 بعض الناس جيلا كالملك وبمضهم قبيحا كالشيطان . ألسنا جميعا خلق الله
 أليس سبحانه يعمهم كلهم بعنايته على حد سوى . أليس الصانع الارضى .
 اذا أراد أن يصنع شيئا فانه يتأنق فيه ويتقنه عند استطاعته ويأتى به
 من أحسن ما يكون . هل يصور المصور صورة قبيحة الا لكي
 يضحك الناس من المصور عنه . ألهل في ضخم الانف حسنا أو خيرا
 أو نفعا ونحن معاصر المخلوقين لا نعلمه . ثم أقوم الى المرأة وأتأمل وجهي
 فيها فانكره ولا أجد فيه موصفا للاستحسان . فأعود الى مذهبي .
 الاول وأقول . أن كنت انا لم أستحسن وجهي فهل يستحسنه آخر غيري .
 على أن الانسان يرى ذأم غيره فيه حسنا ورذيلته فضيلة . أترى في الناس .
 من يروق لعينه القبح . فقد يقال أن السرد لا يرون في الابيض مناحسنا .
 غير أن لون السواد عندهم عام فلذلك يستحسنونه . وما أرى غيري من اقل
 أنفا كانتى حتى أطمع في أنه يكون مستحسنا . أما اللون فانى لست
 من البيض ولا من السود فانا بين اللاعنين . الا ليت أهل بلدى كانوا
 كلهم مثلى قنابين فأتسل وأتاسى بهم من أين ورثت هذا الجلمود
 وأنف أبى كان كانوف الناس . ليت شعرى أين كان عقل أبى حين تفر
 في رأسه فكر انشأنى في هذا الكون وفي أى طود أو طربال أو منارة
 كانت أمي تفكر ليلة راوحته على هذا العمل . الا ليتما غشى عليهما تلك
 اليلة فما افافا . أو فدرافا أطاقا . أو سحرافا فافا . أو سكرافا فافا .
 وجملت أجيل هذه الافكار في رأسى وأصوغها في قوالب مختلفة
 وأفانين متنوعة . واذا بامرأة متنقبة أقبلت على وقد تتأ من تحت
 نقابها شيء شبيه بالقلة . فظننت أنها جملة حنجور عطر عند أنفها
 لتشمه عند مرورها على الجيف في أسواق المدينة . فسألتنى عن شيء
 تريد شراءه فسمرتة لها فكاكتها استغلته فقالت لى أقصد فان تسميرك

هذا تسعير • فقلت لها وان شراؤك لشري • فضحكت وقالت لقد
أحسنتم في الجواب ولكنك أسأت في الطلب • فراع حقوق الشركة
والجنسية فاني شريكك ورفيقتك • فكان ينبغي لك أن تحاييني •
قلت أي شركة بيننا أصلحك الله وهذه أول خطرة شرفتني فيها
بالزيارة • فرفعت النقاب واذا بآنفها الناقى بضيق عنه وجهها • وكانه
واجه أنتى ليحييه • فخطر ببالي حينئذ ما قيل عن ذلك الغراب الذى كان
يجمع والف غرابا مبيض الجناح • وان أحد الشعراء لما أبصرهما قال
ما كنت أدري ما أراده بضمهم بقوله • أن الطيور على آلافتهم حتى
رأيت هذين الغرايين • ثم انى بعتهما أخيراً ما أرادت أن تشتريه •
وحاولت أن أقبلها قبله واحدة تعويضا عما خسرتة معها فإممكن لي
لان أنفينا حالا ما بيننا • ثم ذهبت ومكثت أما على تلك الحال مدة •
فلما تحققت انى لا أصاح للتجارة لان النساء لا يشتري الا من كان فرهدا
غيسانيا تبركا بجمال طلعتة فى أنهم يتمتعن بما اشتري من عنده وتذكرأ
لذلك النهار السعيد الذى عرفته فيه • وانى مذ فتحت الدكان لم أبع
الا لتلك الكرنيفية وكان ذلك بخسارة • عزمت على الرهبانية فذهبت
الى دير ما وقلت للرئيس قد أقدمنى الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة •
فان الدنيا لا تغنى عن الآخرة شيئا • وأن الدير من اتخذ دنياه هذه
مجازا الى تلك • اذ لو كانت هذه وطننا الذى شاء لنا خالقنا لكننا
نعمر فيها طويلا • على أنا نرى أن من الناس من يولد فيها وبهيش يوما
واحدا فهذا دليل على أنى لم نمان لما رأينا • ذلك من الكلام الذى
جرى على ألسنة الامراء • فقربانى الرئيس واعتقد فى الفضل • واتفق
فى اليوم القابل أنه حارل التور دلى حائل لينفذ منه الى بعض بيوت
الشركاء • فدخلت فى احدى عينيه قصدت من غصن شجرة فذهبت بها
فرجم غضباز رقادا شامقة سومي الى دير • اذ كان قد ألف التور

قبل مجيء مدة طويلة ولم يعرض له شيء قط . فمن ثم طردني من الدير
فدخلت ديراً آخر وأعدت الكلام الاول . فقبلني رئيسه فأقمت ثم
أياماً أقامني فيها من قشف المعيشة والوسخ ما لا يرضى الله ولا أحد من
العالمين . هذا عدا ما كنت أرى من عناد الرهبان وتفرق آرائهم .
وطمن بعضهم في بعض وشكواهم الدائمة للرئيس من أمور باطلة . وتكبر
هذا عليهم وأثرته بأشياء استخضها لنفسه من دونهم . وتنافسهم فيما
يهدى اليهم النساء من نحو منديل وكيس وتكة . وزد على ذلك كله
جهل الجميع اذ لم يكن في الدير كله من يحسن كتب رسالة في معنى من
المعاني . حتى ان الرئيس نفسه أدام الله عزه لم يكن يعرف أن يكتب
سطراً واحداً بالعربية . وانما كان يخط هذه الحروف السريانية المعروفة
عندهم باسم كرشوني وكان هذا الجاهل يتبجح بمعرفته لها ويحمل كل
من دخل صومعته على إعطائها . حتى أنه كان يدعو أياماً لزيارته
فكانت الاغرار من الرهبان تعتقد أن ذلك من حسن أخلاقه وكرم
طباعه . وكان قد كتب بها على بابه سطرّاً وعلى الحائط سطرّاً آخر
فكنت حين أنظر ذلك أضحك . وهو من غفلته يظن أنني أضحك
لإعجاباً بها . ومن كان خبياً مخاتلاً من الرهبان على جهله (فان كثيراً من
الناس قد جمعوا بين الجهل والحتل) كان يتقرب اليه استجلاباً لرضاه
بأن يقول له وهو حامر الرأس تواضعاً وخشوعاً أكرم علي ياسيدي
بنسخة من خطك أصلح عليها خطي فكان ذلك من أحسن ما يدل به عليه
فلهما اشتد على الخطب من عشرتهم وخصوصاً من رداة الطعام
نذمت أديمهم وأنضجر غسمهم يوماً طبابخ الدير أشكو من قلة السمن
في لآزر الذي كان يطبخه في بعض الأعياد العظيمة وكان عتلاً زنياً
فستأواه مني غيظاً وحنواً على كتفه كما يحمل الرجل ولده ولكن بلا
شفقة ثم ذهب بي الى الدير وغطاني في خابية السمن وهو يقول

هذا السمن الذى أطبخ به الارز الذى لم يعجبك يا صاحب الخرطوم .
يا سايل البوم • يا نصيب المحروم • يا ابن اللوم • يا أبا الكباثر والجروم
يا رائحة الثوم • يا ريح السموم • يا علجوم • يا منهوم • يا طوم •
يا وخوم • وصب على قوافى كثيرة غير هذه • فبلغ منى تغطيسه
عرضى فى السب أكثر من تغطيسه رأسى فى السمن فتملصت منه
بعد جهد ودخلت صومعتى حتى أغتسل واذا به يطرق الباب
ويعج ويقول لابد من أن أعصر أُنك فقد دخل فيه من السمن ما
يكفى الرهبان أياماً ثم أهوى يديه على منخرى كأنهما كلبتا حداد
وجعل يعصرهما أشد العصر • حتى ظننت أن قد زهقت نفسى منهما
فان الأنف وحده دون سائر تقوب الجسد محل دخول النفس وخروجه
خلافاً لقوم • ولذلك يقال تنفس الانسان • فلما شق على ما قاسيته ولم
أجد فى الدير من أشكو اليه • إذ الرهبان كلهم يتملقونه ويتوددون
اليه حتى يشبعهم ولو من الترم • (وهو ما فضل من الطعام والادام
فى الاناء) خرجت من الدير مبتئساً حزينا قانطاً وقد ضاقت الدنيا على
برحبها وقلت أين أذهب بأفنى هذا الذى سدّ على مذاهب الرزق •
أم أين يذهب بى • فخطر ببالى أن أقصد ديراً بعيداً كنت أسمع عن
رهبانه أنهم صلاح وان بعضهم يحسن الخط العربى ويحب الغريب ويكرم
الضيف • فتوجهت اليه فلما سلمت على رئيسه وطالعت بما عازمت عليه
أحمد رأيى وهش بى لكنه لم يمالك أن نظر الى نظر المتعجب منى
المستعيز من شؤم تبعة تلحقه من أنفى • فركبت فى ديره ما شاء الله
أن أمكث

الفصل السادس عشر

﴿ في تمام قصة القسيس ﴾

وجعلت من همى مدة مكثي هناك بادئ بدئ مداراة الطباخ
ومساحنته والثناء عليه * فكان لا يحوجنى الى شئ مما يمكن نيله في
في الدير * حتى انى جعلت جل مقامي في المطبخ * وكنت أحسن أيضاً
طبخ ألوان من الطعام لا يعرفها هو فعلته إياها فكلف بي . فكان
رئيس الدير اذا استضافه أحد عزيز عليه أو اشتهى لونا من الطعام
بخصوصه كلفنى به . فكنت أتناق له في عمله ما أمكن حتى حظيت
عنده . أعنى انى كنت أسامره وأجلس بين يديه . ثم انى تلبست
بالصلاح والتقوى بين الرهبان . فكنت أسدل قلنسوتي حتى تبلغ
قصبة أنفى . وباليات العادة جرت بأن يستر الأنف بها كله . وكنت
اذا مشيت أخفض رأسى الى الارض ولا أنظر يمينا ولا شمالا الا لهما
واذا أكلت أو شربت أو رقدت أو مشيت أو غسلت وجهى أخبر عن
ذلك كله حامداً لله ومثنياً عليه . فأقول مثلاً . قد خرجت اليوم من
صومعتى لله الحمد أو لله المجد وهى أحب الى الرهبان . أو تناولت
في هذا الصباح مسهلاً ان كان الله نقل وما أشبه ذلك مما عرف عند
المتظاهرين بالقوى . حتى اعتقد الرهبان في جميعاً الصلاح والفضيلة .
وكنت أيضاً قد كتبت بعض صلوات ركيكة للرئيس فأعجب بخطى
ومدحنى على ذلك وودعنى بأن يرقبني الى درجة تليق بي . إذ رأي

متميزا عن الرهبان بالعلم وجودة الرأي . واخص ذلك بكوفى غيداراً
 (الغيدار هو السيء الظن يظن فيصيب) ثم قدر الله رب الموت
 والحياة أن مات في بعض البلداً البعيدة بعض القسيسين الذين
 يباشرون خدمة الرعية . اى الذين ياكلون ويشربون في بيوت الناس
 لافى الدير . والذين يختلطون برعيتهم خلافاً لعادة الرهبان . فان هؤلاء
 لا يخالطون الناس الا عند الضرورة . فتسبب رئيس الدير فى ان يبعث
 الى ذلك البلد فى مكان القسيس المتوفى اى بدلا منه لا انى دفنت معه
 فلما وصلت تلقائى اهل كنيسة بالاكرام والترحيب . فابديت فيهم
 الورع والعفة فشاع فضلى بينهم . حتى ان بعض التجار ممن كان حرمة
 الله من لذة البنين دماى الى منزله لاقيم عنده رجاء ان يفتح الله رحم
 امراته بسببى كما تقول التوراة فتدله البنين . وكانت جميلة رشيقة
 القد . قاعدة النهى . تحب الخلعة واللهو . والتقصف والزهو
 (سبحان الله ماأحد يذكر النساء الا ويهيج خاطره للسجع) فأقت عنده
 مدة . فى انعم عيش وجدة . ثم عنلى ان أغازل زوجته وناغيها
 واطاثرها وارااضيها . فاجابت الى مراودتى . ولم تبال بارنبتى . فان
 من طبع النساء الميل الى الولى . والاستغناء عنه بالقصى . وما ادراك
 مااعتذرت به احدى النساء بقولها قرب الوعداء وطول السواد . فبرزت
 الدنيا لعينى ح فى احسن صورة . ونسيت مالقيت فى الدير من المشاق
 الكثيرة . وقلت لا عوضن على ما دامت فرصة الحظلى ممكنة . وشوارده
 مذعنة . كل ما فاتنى منه ايام كنت حائكا . وطباخا وناصكا . ثم فرضت
 على نفسى ان تقسم لداى معها على كل يوم غير مرة . كدأب المتزوج
 بجمرة . وعلى الحاضرة وهو الان أيضا فى حيز الغابر . بحسب البواحت
 والبوادر . فبدأت بالعدد . حتى بلغت الامد . وكان الرجل ذانية
 سليمة . وشيمة مستقيمة . فلم يكن يسمى بى الظن . ولا يعوقه عن

شغله امر عن • فترك لناقطوف اللذات دانية • وكؤس الممرات صافية
ومن العجب • الذى ينبغى ان يدون في الكتب • انها كانت تخصم
الخادمة في حضرة وغيابه • وتشتها بين يديه الخش الشتم منعا لارتياحه
ولم تخش منها تبعة • ولا كانت من طردها جزعة • وقد طردت كثيرا
من الخوادم لسبب وغير سبب • بعد سبهن كل السب • وحملهن على
الحقد والغضب • وذلك من معجزات النساء وبدعن الغريب • الذى
يمعى الرجال عن كنه سره العجيب • والحاصل انى كنت اعجب بحسنها
كما كنت اعجب من قها • وانى اقت معها على هذه الحالة في غاية السر
مفتقا راتما ولا حذر (١) ومتزوجا ولا مهر • ثم استأنفت عدداً آخر •
اطول من ذلك واكثر • فلما ابطرتى النعمة • وامنت من الدهر كل
نعمه • نقر في راسى ان اجمع بين الكافين • فان بكثرة العين قرّة العين •
وفلما رايت من انهمك في الاول • الا وتعاطى الثانى وما اشبهه من
العقل • وذلك كالقمار والجبيخ والفشخ والحدج والمجر والاحجار والندب
والخطر والرشق والقرع والنخش والصبين والصغو والغذمرة والمخارضة
والمناجبة والمراهنه والمجازفة والمحاولة والمزايبة والاحياء والمداخلة
والمعارضة والمنابذة والمباذة والمباخسة والمغابنة والمواساة والتدليس
وانتطوئش والمقاطرة والمعاومة والمراوضة والمواصفة • فطهبل وطهبل
ومحل وتطهبل • ودجل وزغفل • رابطل وتخبيل • وعرقل وتبهلص
وتبهلص وتبهلص فاجتمعت برجل كنت اسمع عنه انه يتعاطى هذه الصنعة •
وقد تفرغ لها بمجد وبذل فيها وسعه • واوسع فيها بذله • وعقل بما عقله
وفي الجملة والتفصيل • من دون قافية وسجع طويل • تعاطيتها معه

(١) افنق الرجل تنعم بعد البؤس

(٢) تبهلص الرجل وتبهلص خرج من ثيابه وبهلص خلع ثيابه فقامر بها

(انتهى سجع القسيس) قال فجعلت اتفق فيها ما اجمعه من المعجائز والاعرار
برسم النفوس والارواح . وانامع ذلك مواظب على الصنعة الاولى .
بل كان ذلك داعيا لزيادة هيام كل منى ومن بزيعتى . فانها طمعت ح فى
الهدايا والصلات كما هو دأب النساء فى كل امر يحدث لازواجهن
وعشاقهن . فبلغ خبر صنعتى هذه الحديثة للجائليق . فارسل يطلب
منى المال الذي جمعته . فتعللت له بعلل اباها ولم يرضها . فتسبب فى احضارى
اليه وضبط ما كان عندى من متاع وغيره . ولم يشق على فقد ذلك كله
قدر ماشق على انقطاع العدد الذي كنت شرعت فيه فى بيت التاجر
الصالح . ثم انى تقلت من عكال الجائليق بعد مدة كادت ان تنسينى
لذات لا يام الغابرة وخرجت فى طلب آخر نكاية لذاك فصرت الى
جائليق من اشد الناس عداوة للجائليق القديم . اذ العداوة توجد بين
الجائليقة . كما توجد بين الزنادقة . فاقت عنده مدة ثم خشى على ان
يرهقنى من ذاك سوء فسفرنى الى بلاد بعيدة فى سفينة حرب . فاسرنا
بعض ساعات حتى تعطل بعض ادوات السفينة وخشى ربانها ان تفرق
بهم . فرجع وقد تشاءم بى وقال لبعض الركاب انه انما جرى عليه ماجرى
من سمخترىتى . فتعجبت اذ بلغنى كلامه جدا . لان اولئك القوم
لا يرسمون ولا يتشاءمون . ولا يتطيرون ولا يتفاءلون . ولا يتحتمون .
ولا يتيمنون . ولا يتسعدون ولا يتمسحون . ولا يقلدون بعود
الشبارق ولا يستعملون نبت العطف . وما عندهم حقعة ولا لجام . ولا
طاطوس ولا عاطس . ولا كايح ولا كادس . ولا قعيد ولا داكس . ولا
بارح ولا سانح . ولا زجر ولا تحزى ولا عيثة ولا عيافة . ولا طرق
ولا عرافة . ولا هجيج ولا كهانة . ولا ابنا عيان ولا تنجى . ولا لمة
ولا حفوف . ولا لعطة ولا انتجاء . ولا تشوه ولا تميد . ولا ملاسم
ولا تشق . ولا عزائم . ولا رقى ولا تائم . ولا لينجاب ولا ثولة .

ولا حوط ولا غز . ولا تدسيم النونة ولا شد الحقاب . ولا رَسع ولا
صخبية . ولا قليب ولا كبدة . ولا وجيه ولا سلوانة . ولا سلوان ولا
مقرة . ولا مجول ولا مهرة . ولا أخذة ولا عوذة . ولا هبرة ولا
رأمة . ولا كحلة ولا همنة . ولا جلبة ولا صرة . ولا قبله ولا لشزة .
ولا قبله ولا تقرة . ولا صدحة ولا هرة . ولا زرقه ولا عطفة .
ولا فطسة ولا صرفة . ولا غضار ولا كرار . ولا بریم ولا حرز .
ولا خصمة ولا رتيمة . ولا أسحم ولا صهيم . ولا تذهب ولا صوت
القف . ولا هامة ولا صفر . ولا أخذة النار ولا تنجيس . ولا لحج
ولا انكيس . ولا أس ولا شحيثا . ولا طب ولا قول . ولا سحر ولا
ماقط . ولا عاضه ولا مستنشئة . ولا تفانات في العقد ولا صدى .
ولا شمعة ولا تيرنج . ولا شعوذة ولا حابل ولا حاو . ويومئذ
أيقنت أن القناني مكروه عند جميع الامم . وأن أوقية لحم زائده في
وجه الرجل تشقيه وتحرمه . ورطلين في بتيلة المرأة يسمدها ويفيزانها
فزاد تعجبي من هذه الدنيا المبنية على رطلين وأوقية من اللحم . ومع
ذلك فلم يمكن لي الزهد فيها .

ثم أتى سافرت بعد ذلك الى تلك البلاد وأمنت فيها من مكر
أعدائي . واستأجرت بيتاً واتخذت لي امرأة تخدمني . وقد جرت
العادة في تلك البلاد وفي بلاد الافرنج أيضاً بأن يتخذ القسيسون نساء
لخدمته . فتأتي المرأة أحدهم صباحاً وهو في فراشه الوثير وتقضي له
ما يروم منها . فلما ذقت طيب العيش وسوس الى الوسواس أن أتزوج
بنتاً فقيرة لكنها كانت جميلة . غير أنني لم أكن على يقين من نهود
نديها ومع ذلك فقد كلمت بها . فطلبت من الجائليق أن يزيد وظيفتي
فأبى . فألححت عليه وهو مصرّ على المنع وأنا مصرّ على الاستزادة
ثم ناقشته وراغمته فرأى أن يردني من حيث جئت . فسرت الى جائليق

عجب للجائليق الاول فسر برؤيتي وأنزلى عنده . فرجعت الى ما كنت عليه سابقاً . وها أنا مترقباً فرصة أخرى تمكنني من المفايضة على هذا النحس الآخر أيضاً فإنه جاهل جداً . وعندى أن مبادلة الجنائقة في هذا الزمان العسوف . أنقع من حجر الفيلسوف . انتهت قصة القسيس وهذا تفسير ما أشار اليه آنفاً من الالفاظ الغريبة .

ابنا عيان طائوان أو خطان يخطهما المائف في الارض ثم يقول
ابنا عيان أمرها البيان الخ .

أخذة النار بُعيد صلاة المغرب يزعمون أنها شر ساعه يقتدح فيها .
الاخذة رقية كالسحر أو خرزة يوخذ بها .

الارتسام التكبير والتموذ والتحمم التناول .

الاسحم الدم نغمس فيه أيدي المتحالفين .

أس كلمة تقال للحية فتخضع .

الانكيس في أشكال الرمل كالمنكوس .

البارح من الصيد ما مر من ميامنك الى مياسرك .

البريم خيطان مختلفان أحمر وأبيض تشده المرأة على وسطها

وعضدها والعوذة .

التحزى حزا حزواً وتحزى زجرو تكهن وحزى الطير ساقها وزجرها

تدسيم النونة تدسيم نونة الصى تسويدها كيلا تصيبها العين .

التذعب تذهبته الجن أفرعته .

التشيق شهقة عين الناظر عليه أصابته بعين .

التشوه يقال لا تشوه على أى لا تصبني بعين .

التمعيد تعيد العين على المعيون تشيق عليه وتشدد ليبالغ في

أصابته بعينه . ذكره الفيروزابادى فى ع و د .

التنجيس اسم شئ من القدر أو عظام الموتى أو خرقة الحائض كان

يعلق على من يخاف عليه من ولوع الجن به •	
تنجى لفلان تشوه له ليصيبه بالعين كنجاله ونجاء بالهمز	تنجى
أصابه بالعين •	
تال يتول طالج السحر •	التول
السحر أو شبهه وخرز تحبب معها المرأة الى زوجها كالتولة	التولة
العوذة تخرز عليها جلدة •	الجلبة
الساحر •	الحابل
العوذة •	الخرز
شدة الاصابة بالعين •	الحفوف
خرزات وهلال من فضة تشده المرأة في وسطها لئلا	الحوط
تصيبها العين •	
من حروز الرجال تلبس عند المنازعة أو الدخول على	الخصمة
السلطان •	
خرزة المحمة •	الرأمة
كان من أراد سفرأ يعمد الى شجرة فيعقد غصنين منها	الرتيمة
فان رجع وكانا على حالهما قال أن أهله لم تخنه والا إفقد	
خاقته وذلك الرتم والرتيمة •	
رسع الصبي شد في يده أو رجله خرزاً لدفع العين •	الرسع
العيافة والتكهن •	الزحر
حرره للساخيد	الزرقه
ضد البارح •	الساخ
ما يشرب ليسلى أو هو أن يؤخذ تراب قبر ميت فيجعل	السلوان
في ماء ييسقى الماشق فيموت حبه الخ	
حررة لمتأخيد وخرزة تدفن في الرمل فتسود فيبحث عنها	السلوانه

ويسقاهما الانسان فتسليه .

شد الحجاب	الحجاب خيط يشد في حرقو الصبي لدفع العين .
الشعبذة	الشعوذة
الشعوذة	أخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأى العين
شحيثا	كلمة سر يانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح
الصخبه	خرزة تستعمل في الحب والبغض
الصدحة	وبالضم والتحريك خرزة للتأخير
المصرة	خرزة للتأخير
الصرفة	خرزة للتأخير
الصهميم	حلوان الكاهن
صوت اللوف نبات له بصلة تسمى الصراخة لان له في يوم المهرجان صوتاً يزعمون أن من سمعه يموت في يومه	
الصفر	حية في البطن نازق بالضلوع فتعضها أو الخ (
الطب	مثلة الرفق والسحر
الطرق	أن يخلط الكاهن القطن بالصوف اذا تكهن
العاضة	الساحر والعضة الكذب والبهتان والسحر
العاطوس	ما يعطس منه ودابة ينشأ من بها والعاطس ما استقبلك من أمامك من الأطباء
العرافة	العراف الكاهن والطبيب وصنعتة العرافة وقد عرف ككتب
العطف	نبت يؤخذ بمض عروقه ويلوى ويطرح على الفارك فتحب زوجها
العطفة	خرزة للتأخير
العقرة	خرزة تحملها المرأة لثلاث تلد

عود الشبارق الشبارق شجر طال ويقلد الخيل وغيره بموده للعين	الميافة
عفت الطير أعيفها عيافة زجرتها وهو أن تعتبر بأسمائها	
ومساقطها وأنواعها فتتسعد أو تتشاءم	
غير الطير رآها جارية فزجرها	الميثرة
غزّ الابل والصبي علق عليهما المهنون من العين	الغز
خضار وكرار الفضار خزف يحمل لدفع العين وكرار خرزة للتأخير تقول	
الساحرة يا كرار كرتيه ويا همرة اهريره ان أقبل فسريه وان	
أدبر فضره	
خرزة لهم للتأخير يقلن أخذته بالقطسة بالثوباء والقطسة	القطسة
ضرب من الخرز يؤخذ بها	القبلة
ما تتخذها الساحرة لتقبل به وجه الانسان على صاحبه	القبلة
خرزة للتأخير	القليب
ما استقبلك مما يتطير منه	الكابج
ما يتطير به من القال والعطاس وغيرهما والقعيد من القباء	الكادس
وهو الذي يجيء من خلفك ويتشاءم به ونحوه الداكس	
خرزة للحب	الكبدة
خرزة للتأخير أو للعين	الكحلة
ما يتطير منه	الاجام
لحجه بعينه أصابه بها	الحجج
اسم من لعطه بسهم أو بعين أصابه	اللمطة
يقال أصابته من الجن لمة أى مس أو قليل والعين اللاما	اللمة
المصيبة بالسوء	
الحازي المتكهن الطارق بالحصى	الماقذ
المودة	المجول

المستنشئة	الكاهنة
المهرة	خرزة كان النساء يتحبن بها
النشرة	رقية يعالج بها المجنون أو المريض
	النفاثات في العقد السواحر
النقرة	شيء يعلق على الصبي لحوف النظرة
الذبرنج	أخذ كالسحر وليس به
الهامة	الصدى وهو طائر يخرج من رأس المفتول بزعم الجاهلية
المهرة	خرزة يؤخذ بها الرجال
المجيج	الخط يُخط في الأرض للكهانة
الهقمة	دائرة في الفرس يتشاءم بها .
المهرة	خرزة للتأخير .
الوجيه	خرزة م كالوجيهة قلت الظاهر أنها للوجاهة .
الينجلب	خرزة للتأخير أو للرجوع بعد الفرار .
الحاوى	رجل حواء وحاوي جمع الحيات .

قلت هذا غاية ما ذكر صاحب القاموس في حى والظاهر انه واوى
ولكن ضعفه في الوا وبقوله قيل ومنه الحية لتحويلها الح وقوله
يجمع الحيات كانه لحظ فيه معنى لا يناسب ما قاله في تفسير الحنفش
وعبارته . او حية عظيمة ضخمة الرأس رقشاء ركداء اذا حويتها انتفخ
وريدها . فهو صريح هنا في الرقية وقد ذكرت ذلك وما اشبهه في كتاب
مفرد :

الفصل السابع عشر

في الثلج

لاغر وان يجد بعض القارئین كلامی في هذا الفصل بارد الا انی كتبتہ في يوم عبوس قطرير . ذى زهرير . والثلج اذ ذاك ساقط على السطوح . وقد سد الطرق ودخل في البيوت والصروح . وكاد يطفى النار . ويذهب بالاصطبار . ويعنى بالقمر والقمار . غير انه لا ينكر احد أن شارب الثلج او آكله او اللاعب به يحس منه بجمرة . وكذلك قارى كلامی فانه وان وجدہ باردا فلا بد وان يحتسى على من هذه البرودة . فيكون قد حصل الغرض وهو تسخين دماغه . ولا سيما اذا كان قد بقيت فيه بقية غيظ واحدة عن الفصل المتقدم . ولكنى لم اقصديا حكيمة الا الصدق ولو خطر ببالى ان آتى افكا وعضيمة لأوعيت ذلك في قصيدة وختمتها بدعاء ومدح لاحد البخلاء . ومن مارانى في ذلك فليسال القسيس نفسه الا ان الثلج يخالف كلامى من جهة انه يسقط على الاسود فيبيضه وكلامي قد سقط على القرطاس فسوده . وكلاهما في ظنى يروق العين وكلاهما يجتمعان في هذه الجهة . وهي ان الثلج لا تطلع عليه الشمس اياما الا ويذوب . وكذا كلامى فانه لا يكاد يبقى منه شئ في رأس القارئ بعد قمره او عند ظهور بوح عليه . وهناك جهة اخرى تضفيهما . وهوان الثلج بعد سقوطه ينشأ عنه الصحو وانجلا الجو . وكذلك كلامى مايرفانه بعد تساقطه من رأسى ينشأه انجلاء جو فكري وصحو بالى واستمداده الى وق وروع . فعلى كل حال تجد المشابهة هنا في موقعها وعذري في محله . وبعد فاني أرى الاغنياء المثرين يتخذون في ديارهم الفسيحة مساكن للصيف وأخرى لشتاء وكنا للمبيت وآخر للاستحمام . ومن

لم يكن له من غيرهم الا بيت واحد فقير جدير بان يزار فيه الا حين يكون بيته موافقا لوقت الزيارة . او يكون وقت الزيارة موافقا لبيته فبناء على ذلك ينبغى للعلماء اقتداء باكابرهم الا غنياء ان يتخذوا لهم في رؤسهم الفصيحاً موطن متعددة مختلفة لما يأتي عليهم من الكلام البارد والقاتر والحميم . ففي وقت ثوران الدم وهيجان الطبع يقرأون البارد قليلا مما حركهم من بواعث الحرارة . وفي وقت السكون يتلون الحميم او بالعكس على مذهب من يداوى الشيء بحمسه لايضده . لا يقال ان القارئ يضع وقته في تمييز البارد والحميم من هذه الفصول . اذ لا يستوعب مضمونها الا اذا اتى على آخرها . بخلاف سائر الكتب فانه لا يعتمد فيها الكلام البارد فهي على منهاج واحد . فاني اقول ان كل فصل من تلك الفصول له عنوان يدل عليه دلالة قطعية كدلالة الدخان على النار . فمن درى العنوان فقد درى الفصل كله . مثال ذلك اذا مر بك في احد الفصول ترجمة البالوعة او البلوعة او البلاءة او البربخ او الاربدة فلا بد لك من ان تقطن الى ان حمارا من حمر الدير قد غطس فيها للتعريب او الترجمة الا انه لا ينبغى للقارئ اذا درى مغزى الفصل من العنوان ان يضرب عن قراءته . ثم يقولو متبجحا بين اقرانه واخوانه قد قرأت الساق على الساق وفهمت . ما نيه كلها . فان ذلك يكون كقول مقنس (١) قدرات اليوم الامير اعزه الله وكلته مع انه لم يكن رأى منه الا قذاله عن بعد . ولم يتح له تقبيل يده الشريفة . او كان ذلك الامير قد ساله عن شيء فتعلم في الجواب او تروى فيه فشب اباه واجداده ولعنه وتهده بالصلب او بسمل عينيه . او كقول هبنقع (المزهو الاحق المحب لمحادثة النساء) قدرات اليوم فلانة . ولما ان

(١) أقنس الرجل ادعى الى قنس شريف (أى أصل) وهو حنيس

واجهتني وقت وتنفس الصعداء . مع أنها تكون قد وقت لتبصق
 أو أنها تنفس الصعداء بهرا . بل الأولى أن ينوي القارى عند افتتاحه
 هذا الكتاب أن يتصفح كله من اوله الى آخره حتى حواشيه وعدد
 صفحاته . ويمتقد أن لكل مؤلف اسلوبا . وأنه لا يمكن لأحد أن
 كلهم . إذ الالهواء متفاوتة والآراء مختلفة . ومن الأسرار التي بقيت
 مكتومة عنى انك تجد بعض المؤلفين قاتر الحركة غير ذى نشاط ولا مرح
 قليل الارتياح الى ما يبعث على التهاوش والتناوش . متعاس الهمة عن
 السبح والحركة . ناظراً الى الحوادث كلها نظر المتوقع لها . وهو مع
 ذلك اذا أخذ القلم أنبض كل عرق في القارىء وحرك كل ساكن .
 ومنهم من تراه نزقا حركا ذا تترع وتسرع وحقد وصبيان واقبال
 وادبار وسعى وتهافت . ومعالجة ومبادرة ومزاحمة ومزاحمة ومسايقه
 ومحاشرة . ثم هو أن قال شيئاً سقط من رأسه على ذهن القارىء سقط
 الثلج حتى يكاد أن يحمد منه ذكاؤه . فلما تأملت فى ذلك وتحققته
 ارتبت فى كون سقوط الثلج ناشئاً عن فرط برودة متكونة فى الهواء
 وقت بل لعل سببه فرط حرارة حزت فى صدر الجوعلى سكان هذه
 الارض . وواغر وغر تكون فى حشاء فلفظه عليهم ثلجاً انتقاماً منهم
 عما يأتونه فى الليالى الباردة من المنكرات . وذلك ان بعضهم يحاول
 عكس الطبيعة فيسجن فراشه بأداة فيها بار . وبعضهم بأداة فيها ماء حميم
 وبعضهم بأداة فيها شراب . وآخرون بأخرى فيها لحم . وربما كان من
 ذلك اللحم لحم خنزير أجلك الله . فمن أجل ذلك أسقط الجو عليهم
 الثلج المتراكم منعاً لهم من الخروج من ديارهم لاستعمال هذه الادوات
 لئى يستريح من فسادهم ولو يومين . الا أنه قد فاته ان كثيراً من هؤلاء
 الناس يتخذون أداة للأداة أو أداة لأدوات الادوات . مثال الأول
 ما اذا تربع الغنى فى دسسته وتدنثر بفروته وقال لغلالمه أسر يا غلام الى

محل كذا با واثنى منه بأداة لتسخين فراثنى هذه الليلة . فيذهب الغلام
يطأ الوحول والثلوج ورجل سيده نظيفة . ومثال الثاني ما اذا كان
السيد جواداً سخياً فيبعث غلامه في مركب له أو في آخر مما يستأجر
من الطرق . أو اذا كان ذا سيادة وإمارة ويريد أن يكتم سره عن غلامه
لأن لذة الخدام إنما هي التلب في عرض مخدومه وجعل نفسه أولى
بالمخدومية منه . فيستعمل ذلك السيد آخر أو آخرين أو آخر في مكان
غلامه . ويكون قد بعث اليهم من قبل ذلك بهدية على يد خادمه إظهاراً
للمكارمة . أو أنه أعطاهم إياها من يده . فيكون سقوط الثلج على أي
حال كان سبباً في التسخين والحرارة . لانه اذا اعتبر في حق المخدوم كان
سبباً في اتخاذ الأداة . وان اعتبر في حق الخادم وغيره بمن سد مسده
كان موجبا للحسد . وهو من أعظم المؤثرات تسخيناً وإحماً . ومع
كونه أي الثلج يرى ساقطاً على كل موضع في المدينة دون تمييز دار
عن دار فان لفظه في الحقيقة لا يصيب الا رؤس بعض الناس . وكان
الأولى أن يطرد حكمه فيعم لا مثل أحكام اللفظ الارضى فانها تجري
على قوم دون قوم . والفرق بين اللفظين هو أن الثلج لما كان سقوطه
أو لفظه من علو الى سفلى كان المظنون به انه يتصوب على جميع الرؤس
بشدة . فيشمل الكبير منها والصغير والمسقط منها والمسرط . فأما
الاحكام والقوانين الارضية فمن حيث كان لفظها من سفلى الى علو أي
من رؤس ناس مسودين الى رؤس ناس سائدين . لم يكن من المحتمل
أن يكون تبعثها قويا حتى يبلغ ذوى الرفعة والملا الذين يمر السحاب من
تحت قد لهم .

ثم ان الثلج مع ما يتبعه في الواقع من الضنك والمشقة لمن ألفه فقد
بروق لعين من لم يكن رآه . فقد بلغنا أن بعض الصماليك كان مرة
ضيقاً عند أناس لم يكرموا ولم يحتفلوا به اذ كان دونهم في المعارف

والنباة . وكان بلدهم لا يسقط فيه ألينة . فلما فصل من عندهم الى بلاد
أخرى رأى فيها الرزق وطاب بها التلج كبر لرؤيته وهلل وأعجب به غاية
الاعجاب . حتى زعم أنه منة من الله خص بها ذلك الصقع تمزية له على
غيره . كما انه تعالى حرم منها بلد مضيئه الاول . وكذلك كلامي هاهنا
فانه مع ما فيه من الاستطراد والحشو والالفاظ المضغوطة بين المعاني
ومن المغازى المعقودة بالتلميح والتلويح . والتحويل والتلميح . فقد
يروق لخاطر من لم يكن قد ألف هذا التخليط بل ربما يحمله الاعجاب
به على التحديه ومحا كاته . ولكن هيهات فان الباب قد أغلق في وجوه
المتحدين . على اني لست أزعم أني أول كاتب في الدنيا نهج هذه
الطريقة وأسمطها المتعاسين . إلا أني رأيت جميع المؤلفين في سهوة
كتبي قد قيدوا أنفسهم بسلسلة نفس من التأليف واحدة . لكني
لا أعلم الآن هل غيروا أسلوبهم أولا . اذ قد مضى على بعد فراقهم
أكثر من خمس سنين . فكان العارف بحلقة واحدة من تلك السلسلة
قد عرف سائر الخلق حتى ان كل واحد منهم يصدق عليه أن يسمى
حاقيا . بناء على انه مشى وراء القوم وحذا حذوهم . فاذا قد تقرر ذلك
فاعلم أني قد خرجت من السلسلة فإنا أنا بحالتي ولا بستمى ولا أكون
أمام القوم فان الثانية أنحس من الاولى . وانما أنا مستقبل لما استحسننت
أخذ بناصية ما استظرفت . رافض مكلف العادة .



الفصل الثامن عشر

﴿ في النحس ﴾

لقد أُرحت سن القلم من كدم اسم الفاريق قليلا بعد ان تركته مع القسيس الریبط . وتلھیت بالكلام على الثلج لما داخانی من فرط الحدة عليهما معا . أما على القسيس فلكونه خان صديقه الذى أوآه الى منزله فى حرمتہ . وكان ينبغى له أن يذهب الى مؤآجره أو يفعل كسائر القسيسين من أهل حرفته . إذ لو كان الله تعالى رزق ذلك التاجر ولدا على نيته أى فتح له رحم امرأته كما تقول التوراة لكان أربعة ارباع هذا الولد من القسيس والباقي وهو اسمه من التاجر . فيكون قد أقام نفسه مقام من يرب البنول . مع أن أول ذكر فاتح رحم كما تقول التوراة مبارك ومعظم عند جميع الامم . ولهذا كان حق الوراثه عند الانكليز للبكر أى لفاتح الرحم . فكيف يحاول القسيس هنا جمع اللعنة والبركة على رأس مخلوق واحد . ان ذلك الاحمال . وأما على الفاريق فلأنه هو الذى كان السبب فى إفساء هذا السربا أبداه من العناد والتصلف فى حفظ أبياته التى لأشك فى أنه ارتكب فيها المين والغلو والمبالغة المردودة لغير نفع . وهو مع ذلك يحسب ان يحسن صنعا . فأما مشابهة الولد أباه له فى الخلق هل هى دلالة قطعية على كونه ابنه فغير مشفق عليها فذهب بعض الى أنها ليست علامة كافية . لان الام قد يحتمل فى حالة كونها مسافحة أن تكون مفكرة فى زوجها ومتصورة له فيأتى توزيع الجنين بحسب هذا التصور . وذهب بعض الى أن الام وحدها لا فاعلية لها فى التوزيع فقد يأتى بعض الأولاد مشابها لعمه أو خاله أو لآخر ممن لم تكن أمه قد رآته قط . والآن ينبغى لى أن أستمر فى القصة .

وأن أرضها على مسامع القارىء من دون اجراض أحدنا بفصحة *
فأقول

قد تقدم فى أول هذا الكتاب أن الفاريابى ولد والطالع نحس
النحوس والمقرب شائلة بذنبها الى التيس . والسرطان واقف على قرن
الثور . فاعلم هنا أن النحس على قسمين نحس ملازم ونحس مفارق .
فالنحس الملازم ما لزم الانسان فى يقظته ومنامه وأكله وشربه وغدوه
ورواحه وفى كل ما يأتية . والنحس المفارق ما خالف ذلك أعنى ما لزم
الانسان فى حال دون حال . واعرف ما يكون لزومه فى الاحوال
الخطيرة الشأن الزواج والسفر وتأليف كتاب ونحو ذلك . ثم ان
ماهيات النحس الملازم مختلفة أيضاً . فنه ما يكون كالعقدة المحكاة .
ومنه كالربقة ومنه كالمسار . ومنه كالوتد ومنه كالمشبك . ومنه كالقفل
بلا مفتاح ومنه كالغراء ومنه كالغمجار . ومنه كاللجاذ ومنه كالشراس
ومنه كالديق والطبق أو كالرومة أو الثرط واللزازق . ومنه كالجلد ومنه
كالدلم السارى فى جميع أوصال الجسد ومفاصله . وجناجه وسلائله .
وسناسنه وشلاشله . وترائبه وتراقيه . وشراسيقه وبوانيه . وعضاريقه
وحوانيه . وربلاته ومذاخره . وعضلاته وتواشره . وعصبه وبوادره
واعصاله ومرادغه . وسافينه وناعوره . ووريده ووتينه . وأسهرية
وأخدعيه . ومرثيه وفليقه . وحلقومه وبخاعه . ونائطه ونخاعه .
وأوداجه وذفرا . وثفتته وشظاه . ورواهشه وشرايينه . ونسيديه
وأشلائه . وعموده وأشوائه . فنحس الفاريابى كان من هذا النوع .
غير أنه لا ينبغي أن يفهم هنا أنه كان دمويأ أى كثير الدم أو محباً
لسفكه أو ولاجافيه . فانه كان منزها عن هذه الصفات كلها . وانما
كان نحسه كالدلم من جهة انه كان ملازماً له فى جميع أحواله . فقد
ورد وان يك كاذباً فعليه كذبه انه بات ليلة وقد رأى فى المنام انه

شرب مثلوجا ثم شرب عقبه سخينا فأصبح يشكو من وجع في أضراسه
شديد ومن يحج في حلقه : وكان يحلم أنه يتهور من قنّة جبل أو يسقط
عن ظهر جبل فيغدو وظهره متقوس . وكان اذا حلم أنه أكل السكامخ
منفصه في ليلته . أو شرب أجاجا أو زعاقا قاه . أو اشم روائح كريهة
غشت نفسه . وكان اذا حدثه أحد بأنه رأى في حديثه رجلة رأى
هو في المنام ليلته تلك أنه في

ويل - واد في جهنم أو بر أو باب لها .

أو في الموبق - واد فيها .

أو في القلق - جهنم أو جب فيها

أو في بولس - سجن فيها .

أو في سجين - واد فيها .

أو في أثام - واد فيها .

أو في الحطة - باب لها .

أو في غي - واد فيها أو نهر .

أو في الصمود - جبل فيها . وحوله

لبيني - اسم بنت ابليس .

أوزلبور - أحد أولاد ابليس الخمسة .

أو مسوط - ولد لابليس يغري على الغضب .

أو السرحوب - شيطان أعشى يسكن البحر .

أو خنزب - شيطان .

أو السرفح - اسم شيطان .

أو اللحم - الشيطان أو الشياطين .

أو أنهم - شيطان

وهياه - من أسما الشياطين .

أوالجباب	اسم شيطان .
أو الازب	اسم شيطان
أو أزب العقبة	اسم شيطان .
أو الهرا	اسم شيطان موكل بقبيح الاحلام .
أو الولمان	شيطان ينرى بكثرة صب الماء في الوضوء
أو الخبث والخبائث	ذكور الشياطين وأنانها ..
أو السفيف	ابليس ويسمى ايضا المبطل وكنيته ابو مرة
وأبو قرة .	
او عمرو	اسم شيطان الفرزدق .
او القلوط	من أولاد الجن والشياطين .
أو الشيصبان والبلاز والقاز والخابل والخناس والوسواس	
والفتان والاجدع .	
وكان اذا بصر من كوة بيته بكمكامة مكماكة خيل له في المنام	
أنه في	
أرض خافية	بها جن .
أو في البراص	منازل الجن .
و في اللوكة موضع بناحية المحرين فوق كاظمة يزعمون أنه	
من مساكن الجن .	
أو العازف	ع سمى لأنه تعزف به الجن *
أو في الحوس	بلاد الجن *
و في وبار	و باركة ماء وقد يصرف أرض بين اليمن ورمال
	سميت بوبار بن ارم ما أهلك الله تعالى عادا
	ورث بحمهم الجن قال يرونها أحد منا *

أوفى عبقر	ع كثير الجن *
أوفى جيهم	كثير الجن * ولديه
الشيخصان	قبيلة من الجن *
أوبنو هنام	قبيلة من الجن *
أوبنى غزوان	حى من الجن *
أودهرش	اسم أبى قبيلة من الجن *
أوأحب	اسم جنى من الذين استمعوا القرآن *
أوزمزمة	قطعة من الجن *
أوالشق	جنس من الجن *
أوشنقناق	رئيس للجن *
أوالعسل	قبيلة من الجن *
أوالعسر	قبيلة من الجن وهو أيضاً اسم أرض للجن
أوالسملاة والميسجور والشهام	ساحرة الجن
أوالسملق	أم السعالى *
أوالعصفوط	من دواب الجن *
أوالنظرة	الطائف من الجن *
أوالزوبعة	رئيس للجن
أوالخافى والخافية والخافيا	الجن وكذا الخبل *
أوالتابع والتابعة	الجنى والجنىه يكونان مع الانسان يتبعانه
حيث ذهب	
أوالمكنكع والكمكنكع	القول الذكر
أوالخيدع	القول الخداعة *
أوالسلم والصيدانة والخيلع والخولع والخينعور والسمر سمرذ	
والسمع والعولق والعوق والهيرة والهيرة والملد والعتر ناة	كلهم من

أسماء الغول) *

أو العتريس الغول الذكر *

أو التمسح المارد الخبيث *

أو الدرغم اسم الدجال وهو أيضاً المسيح كسكين **

أو الطفموس المارد من الشيطان والخيت من الفيلان *

أو الإبانية جمع زبينة وهو متمرد الانس والجن ومثله

المكب *

أو الحيزبون وكان صاحبنا وهم في هذه فاني لم أجدها

في القاموس

فكيف يمكن رؤيتها في المنام * واسمها غير موجود في قاموس

الكلام * مع أن المص رحمه الله وزن عليها الحيزبور والخيتعور والقيد حور

والعيجلوف والعيطبول والهيجبوس والجيهبوق واليزفون والجيثلوط

والعيضقوط * ثم انه كان اذا سمع خنبة تكلم رجلاً بمنطق رخم سمع

في الليل عزيزاً وهما هس وتهويدا وزيزما وهددا وزهز جاوزي زبي

(كلها من أصوات الجن) واذا رأى جارية تردى نصف النهار (١) جاءه

في نصف الليل الكابوس والجاثوم والدوفاث والنيدل والباروك

والديشان والديثاني * ورأى ليلة ما أن قد زفت

اليه عروس فأناه تيس وجعل ينطحه بقرنيه فاستيقظ فإذا بقرن

رأسه مريض * رأى ليلة أخرى أن قد وجد على شاطئ نهر

دنابير ودرام فديده وأخذ منها خمسة عشر درهما لا غير * فلما عبر

النشط الثاني رأى شيخاً بيده كرة يديرها * فكان كلما أدارها أخذ

لقاريق في ظميره وجمع شديد كوجع الداء المعروف في بلاد الشام بالوثاب

(١) ردت الجارية رفعت رجلاً ومشت على أخرى تلعب *

خلما رجي بالدرام من شدة ما أصابه سگن عنه الوجع * ورأى ليلة
أخرى أن رجلا مغربيا أتخفه بشيء فتلقاه في الحال مشرق وذهب به *
قال والى الآن لم يرجع به مع انتظاري له كل ليلة * وقس على ذلك سائر
أحلامه * ومما قال له في الحلم نظما *

كان همومي وهي تحت مخدتي إذا بت تغري بي الهراء لتذرته
تقول على اليوم كان بواله وإن عليك الليل ذا أن تخرته
وقال

أسر إذا انقضى يومى لأنى أرجي فيه أحلاما تسر
فأحلم اننى أسعى وأشتى فليلي مثل يومي أو أشر
وقال أيضا

ويلرب حتى فى المنام نروعى بأضغاث أحلام نسوء أو تزجج
فياليتنى أشقى نهارى وفى الكرى أسر برؤيا من أحب وأبهج
وعن له يوما أن يمدح بعض ذوى السيادة والمعادة * فلما حظى
بلثم اعتابه الشريفة وأنشده القصيدة رجع القهقرى على عادة أهل
بلاده من أن الصغير لا يرى الكبير فقاء * إشارة الا انه لا قذال الا قذال الكبير
ثم جاءه الخاجب يقول ان الامير أدام الله دولته * وخلد صولته *
وجعل الشمس والقمر نعلا لفرسه * وجعل يومه خيرا من أمسه *
وجعل ظله ممدودا على الأرض ظليلا * وجعل طرف الكون بتراب
نماله مكحولا * وجعل الثريا مقرا لرجليه * والعيوق شرارا لنعليه
وجعل الوجود باسمه مبتهجا * وبابه لكل لا ئذرتجا مرتجى * وجعل
فلم يتمالك الفارياب أن بادره وقال دعنى من جعل يا جعل * ماذا يقول
الأمير * قال يقول الامير الممظم * الخطير المكرم ذو الالاء الغامرة
والنعم الوافرة * من اذا قال فعل * واذا سئل أعطى فأجزل * واذا
تنحج ألقى الرعب فى قلوب أعاديه * واذا سئل خفقت أفرقا أفئدة

شائيه * واذا مخط ارتج المكان لهيبته * واذا حبق ترزل المجلس
 لحبقته * فقال الفارباق أف لهذه الرائحة الخبيثة يا خبيث قل ما يقوله
 الأمير * وأرحى من هذا التعمير * لقد برزت على الشعراء بهذا الفلو
 والاطراء * قال انه يقول لك انك قد أحسنت في أبيات القصيدة
 وأدعت ما شئت * لانك شبهته بالقمر والبحر والاسد والسيف
 الماضي والطود الراسخ والسيل المنهمر مما هو خليق بالانصاف به *
 الا في بيت واحد جعلته فيه فوادا * قال كيف ذلك حل الامير عن
 القيادة * قال نعم انك قلت أنه مجود بالمال والنفائس ويولى الابرار *
 وقلت في بيت آخر أنه محمد الذكر محمود محمود المناقب وهو غير محمد
 ولا محمود * وبسبب هذا الخطأ الفاحش حرمك من رؤيته * قال هذه
 عادة الشعراء انهم لا يزالون يتلمظون بذكر الخرائد والمحامد * وليس
 المقصود بذلك سبة القيادة الى الممدوح * قال هذا غاية ما عندي فلا
 تطمع بعد في المثول بحضرة أميرنا المبجل * فن ثم رجع الفارباق محروما
 من هذا المنعم الهني * وبلغ منه الغيظ أن أضله عن الطريق المستقيم *
 فسار في طريق آخر وما وصل الى منزله الا بعد التثا والتى * وأخذ
 يفكر في نحس طالعه وشؤم قلبه * فظهر لهوسه أن القلم أنحس شيء
 يتحذه الانسان سبباً لمصالحه * وان إشفى الاسكاف أتقع منه * وان
 تقديم النون عليه عليه في قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ان هو الا
 اشارة الى النحس * وان ما قاله المنجم في طالعه صحيح * فانه أول
 المرأة التي زفت اليه في المنام بالمقرب * والجدي بالنيس الذي كان ينطحه
 والسرطان نفسه اذا رجع القهقري من عند الامير فكاد أن يثر
 بحصير مجلسه السامى لولا أن تمسك ببعض أوتاده الشريفة * وأول الثور
 بالامير الممدوح * ألا ان العبارة الاولى وهى قول المنجم نحس النحوس
 غير محصورة في حادث واحد * اذ هى تستغرق جميع الاحوال والحوادث

كما سيرد بيانه * وذلك ان الفارياب لما سمع من نجية الذي قايناه على الاعتراف أن المساومة في قتل وقال وهي من البياعات الراجعة * والاسباب الناجحة * خلج في صدره أن يجرب تنفيق ما عنده من البضاعة المزجاة الا انه لم يمرضها على أحد من أول وهلة على أحد المشترين من الجشالقة كما فعل صاحبه بل أخذ في قلبها وتقليتها وتمشيطها ونسيتها من جهة واستشفافها من أخرى * فظهر له انها قديمة قد ركت بحيث لا يكاد احد أن يرغب فيها

واتفق وقتئذ ان قدم عنقاش يقدد على شراء السلعة القديمة وعلى اصلاحها او على مقايضتها او على صبغها . وادعى انه يقدر أن يعيدها الى لونها الاول . وانه لا يعجزه شيء من احوالها بحيث ان صاحب السلعة نفسه اذا رآها بعد صبغها وتصليحها يتعجب منها غاية العجب ولا يعود يعرفها . وانه اى العنقاش لما بلغه في بلاده فساد تلك السلعة اقبل حفدا الى تلك البلاد وهو يحمل خرجا كبيرا فيه من الاصباغ والادوات ما يرقأ كل خرق ويميد كل لون نافض . فسار اليه الفارياب مجلا الى المقايضة وواطاه على ابدال ما عنده من السلعة القديمة بأخرى جديدة راقت لعينه . فقد يقال لكل حديد بهجة . ثم قفل الى منزله ممرورا بصنقته . فلما علم اهله وجيرانه بذلك استشاطوا عليه غيظا وقالوا . امر رب الجنود ماجرت العادة في بلادنا بتغيير البياعات ولا بمقايضتها ولا باصلاحها ولا بصبغها . ثم لم يلبث الخبر ان بلغ مطران الصنع وكان من الضوارة الكبار . فكانما كان سكيناسقط على حلقومه او خردلا دخل في خرطومه . فهاج وازبد . وابرق وارعد . وماج واضطرب . وضع وصحب . والب وحزب . وبربر وثرثر . واقبل وادبر . وزجر ونهر . ووثب وطفر . وقتل لحيته من النفيظ حتى صارت كالمنقرة . واغرى كل حنتوف مثله بان يهيج معه . ونادى

يا خيل الله على الكفار . انهم صالوا النار . كيف تجر هذا الشقي المنحوس .
 المعتوة المهلوس . على ان يذهب مذهبا غير مانهجه له جائليقة . وسلوكه
 فيه بطريقه . وكيف اقدم بوقاحته . وصفاقة وجهه وقباحته . على
 معاملة ذلك العنقاش اللثيم . ومبايعته ماورثه من ابائه من الزمن القديم
 اليس في بلادنا صلب . وادهاق ويلب . هلموا به مهانا . اجلدوه عريانا
 اطرحوه نيرانا . القموه حيتانا . اطعموه دمانا . اقطعوه منه لسانا
 اسقوه الزناني . على به الآن الان . فابتدر بعض الحاخارين وقال انا
 آتيك بهذا الجمشوش باسرع من رد طرفك اليك . ثم ولي حفدا الى
 الفاريق فوجده مكبا على قراءة الدفتر الذي فيه اثمان السلعة . فتناوله
 بالسيف فاصاب فروته . ثم سيق الفاريق الى الجزار المشار اليه . فلما
 بصر به انتفضت اوداجه واتسع منخراره وتعمقت اسرة جبينه واصفرت
 شفاته . ورقص شارباه واحمرت حدقاته مغواحترت اسنانه ودارت
 بينهما هذه المحاورة .

قال الضوطار ويك يا مغبون . مادماك الى المساومة في سلعتك .
 الفاريق اذا كانت هي سلمتي كما قررت فما الذي يمنعني من ذلك .
 الضوطار ضللت . هي سلعتك من حيث انك ورثتها من ابائك
 لا من حيث ان لك حق التصرف فيها .
 الفاريق هذا خلاف المادة والحق فان ما يرثه الانسان يحق له
 التصرف فيه .

الضوطار كذبت . انك انما ورثتها لتحفظها لا لتضيعها ولا
 لتبادل بها *

الفاريق هي ميراثي افعل به ما شآ *

الضوطار قبحت * اني انا القيم عليه الصائن له من الشوائب
 الفاريق ما بلغنا عن أحد انه تولى ميراث غيره الا اذا كان

- الوارث غير راشد *
- الضوطار غويت * انك أنت غير رشيد وانا وليك ووصيك
وكفيلك ووكيلك وحبيبك *
- الفاريق ما الدليل على أنى لست من الراشدين ومن ذا الذى
جعلك وصيا ووليا *
- الضوطار زغته * انما الدليل على غوايتك وضلالك هو أنك
تبدلت به متاعا غيره * وأما كونى وصيا فان جميع
أمثالى يشهدون لى به كما أنى أنا أيضا أشهد لهم
بأنهم أولياء غيرك
- الفاريق ليس تبدل شىء يأخر دليلا على الضلال والزيغ
إذا كان المبدل والمبدل منه من جنس واحد * ولا سيما أنى
رأيت لون القديم يوشك أن ينصل وقد ركت رقعته
فتبدلته بما هو ازهى واغوى *
- الضوطار كفرت • انه غشى على بصرك فما تستطيع ان تفرق
بين الالوان *
- الفاريق كيف ذلك ولى عينان ناظرتان ويدان لامستان *
- الضوطار عميت * فان الحواس قد تفش ولا سيما حاسة البصر *
- الفاريق اذا كانت حواسى قد غشت فكيف سلمت حواسك
من الفش وانت بشر مثلى *
- الضوطار حنت * إني وان كنت بشرا مثلك لكنى وكيل من
طرف شيخ السوق * وقد افادنى مما اودع الله فيه من
الاسرار العجيبة ان لا يطرأ على غبن ولا غش الا وتبينته
لانه هو منزه عن الفش *
- فقال الفاريق وكان به فأنافة * واين شيخ الفسوق هذا ثم

- استدرك كلامه وقال انما اردت الشيخ السوق
فلا تكن زيادة هذه الثمانين موجبة لحد الثمانين
الضوطار * هو بعيد عنا بيننا وبينه ابحار وجبال * غير
ان اتفاسه القدسية تسرى فينا *
الفارياق كيف به اذا مرض او جن او مسه طائف لمن الجن
او اصابه برسام * فكيف يمكنه والحالة هذه تميز المتاع
الردى من الجيد *
الضوطار هلك * ما هو بيلو للموارض لانه بواب رتاج
عظيم وبيدة مزلاجان عظيمان لاحكام الباب من قبل
ومن دبر *
الفارياق ليس هذا بدليل فان كل اسان في العالم يمكنه ان
يصير بوابا ذا مزلاجين *
الضوطار فسقت وجرت * انه هو وحده مستبد بهذه الخطة
اذا قد فوضت اليه من المالك الامر *
الفارياق متى كان ذلك *
الضوطار صلت * مدافى سنة تقريبا *
الفارياق او عاش هذا الشيخ الى سنة *
الضوطار الحدث * اما انتقات اليه بالورثة *
الفارياق ممن ورثها أمن ابيه وجده *
الضوطار نكحت * من اسان لا يعد في اهله *
الفارياق هذا امر عجيب كيف يرث الاسان شيئا من رجل
غريب فان الغريب اذا مات عن غير وارث انتقل ماله
الى بيت المال وهو اولى به من رجل على حدته *
الضوطار عذبت * هذا امر ليس لك ان تبحث فيه *

الفاريق مالدليل على كونه مرا *
 الضوطار أُنحِثت * هذا هو الدليل * وعند ذلك قام عجلا واتى
 بكتاب واخذ يقلب فيه من اوله الى آخره حتى يجد
 فيه مطلوبه اذ لم يكن كثير الدراسة له * الى ان وجد
 عبارة مضمونها ان المالك كان احب مرة رجلا فوهبه
 هبات شتى من جملتها كاس وطست وعصا في راسها
 صورة ثعبان وجبة وثبان ونملان وباب له مزلاجان
 * وقال له قد وهبتك هذه كلها فاستعملها واهنأ بها *
 الفاريق لعمري ليس في هذه الهبة ما يدل على سر * هذا وقد
 مات كل من الواهب والموهوب له وفقد الموهوب
 كله * فكيف لم يبق الا المزلاجان فقط وقد ضاع
 الباب وهما لا يتفهمان من دونه شيا *
 الضوطار فندت * لم يبق لنا في غير المزلاجين من حاجة *
 الفاريق بحق هذين المزلاجين عليك ياسيدي الا ما ريتني
 الكاس مرة في العمر وحسب * ولك على بعد ذلك
 الامرة التامة *

فلما ان ضمط الضوطارين هذا السلب والايجاب استشاطوا غراهم
 ان يلحق الفاريق بالباب والكاس لولا ان داه داع الى اللوس * فقام
 ناشطا ووكل به بعض الاوفاذ وكان وقتئذ يتضور جوعا فرأى ان رؤيته
 قعر القدر في المطبخ اشهى اليه من النظر الى وجه الفاريق * فتغافل
 عنه فتملص الفاريق من هذه الورطة واقبل يهرول الى الخرجى وقال
 له * لقد خسرت تجارتى معك فان البضاعة كادت تمنيني بمبضع * فابتغى
 منك الاقالة * اولا فان يكن عندك في الخرج راس يلام جثتي حين
 تعدم هذا فارنى اياه ليسكن روعى * اذ لا يمكن لى ان اعيش بلا راس

فاما ان لم يكن في المخرج غير اللسان فمالى به حاجة هذا متاعك فضمه اليك * فقال له المخرجي ماهكذا حق التعامل * ينبغي ان تصبر على ما يلحقك من تبعة الصفقة كما هو داب جمع المتبايعين عندنا * وتلك من بعض خواص هذه التجارة ولكن لا تخف فان من خواصها ايضا ان تقي الواقي لها وتحفظ المحافظ عليها * فيكون له بها غنى عن الراس اذا تقف * وعن العيين اذا سملنا * وعن اللسان اذا استل * وعن الساقين اذا غمزتا بالدهق * وعن اليدين اذا غللتا بالكبل * وعن العنق اذا وقصت * والكبد اذا فرصت * قال ما ارى ما ترى فان الاسف لا يحى مائتا * والندم لا يرد فائتا * فان يكن عندك مخزن آمن فيه من العدو على السلعة فاوفى اليه * والا فهذا فراق بينى وبينك * فاطرق المخرجى ساعة ثم دخل به حجرة صغيرة واغلق الباب * واخذ يمتحن الفاريق كما سيرد بيانه فى الفصل الا تى *

الفصل التاسع عشر

في الحس والحركة

قد جرت عادة الناس جميعا بان يقولوا اذا احبوا شيئا او اشتاقوا الى شيء ان قلبي يحب هذا الشيء . او يحسن بمحبة هذا الشيء . او يشتهي ذلك الشيء . ولست ادري علة هذا الاستعمال . فان القلب انما هو عضو في الجسم من جملة الاعضاء فلا يمكن ان تكون حاسيتها كلها مجموعة فيه . ويبان ان من احب مثلالونا من الطعام بخصوصه فليُنظر في ادوات الاكل الباعثة على اشتهاؤه . ومن احب امرأة فليُنظر في الاداة الباعثة على اشتهاؤها . وما يميل اليه الطبع وهو غير محتاج الى اعمال اداة ظاهرة وذلك كحب الرئاسة والسعادة والدين ينبغي ان يحمل على الراس . اذ هي امور معنوية لاعلاقة لها بلك البضعة اى القلب . وكما ان الطحال الذى هو وزير الميمنة لاتعلق له بهذه الامور . فكذلك كان وزير الميسرة اى القلب . الا انه لما كانت حركة القاب اصرع من غيره لكونه اقرب الى الرئة التى هي حرز التنفس . ظن الناس ان القلب اصل في جميع اهواء الانسان واشواقه . ومن طاعتهم اجتنابا للبحث عن كثرة الاسباب والملل والتيقن للحقائق ان يقتصروا على سبب واحد من الاسباب المتعددة . وينسبوا اليه كل ما تسبب عن غيره . كما تنسب الشعراء مثلا دواعي النحس الى الدهر ودواعي البين والفرق الى الغراب

وبناءً على هذا الاعتقاد اى نسبة الاهواء كلها الى القلب اراد المخرجى . ان يمتحن قلب الفاريق ليعلم هل نبض فيه حب السلعة الجديدة نبضا قويا اولاً . فجعل يقول له هل تحس في قلبك بان السلعة الجديدة خير من الاولى . وهل يضطرب فرحاً وسروراً عندما تسمع بذكرها . وهل ينبسط ويتسع وينشرح عند خطور هذه ببالك . وينقبض ويضيق ويتضام عند ذكر تلك . وهل عند قرأتك دفتر الاثمان يخيل لك ان قد طبع فيه اى فى قلبك كل حرف من حروف الدفتر . حتى لو اعوزك وجوده سدت تلك الحروف مسده . وهل يضطرم ويتوقد مرة ويذوب ويصحل اخرى . ثم يعود اقوى مما كان عليه كالسمندل المعروف وهل تحس ايضا بان ناخسا ينخسه . وواخزا يحزه . وعاصرا يعصره وراهصا يرهصه . وممزقاً يمزقه . وضاعطاً يضغطه .

فقال له الفاريق اما الاضطراب والخفقان فانه دائماً على مثل هذه الحالة . وهو عرضة لذلك فى حالتى الفرح والترح فان ادنى شىء يؤثر فيه . واما التوقد والدوبان فلا ادري . فقال المراد بالتوقد ههنا وبالنخز والمصر الحميه والتحمس والنهوس وتخيل ما هو معدوم موجودا وما هو موهوم يقينا . ومثل ذلك من يسافر فى فلاة لآماء فيها فيبلغ منه الظم أن يتصور السراب ماءً وشعاع الشمس نقرا ولا يزال يعنى نفسه بوجود الماء حتى يقطع المفارة . فان شدة التخيل والتهوس تعين الانسان على تحمل المسكاره والمشايق . فيكون رازحا تحت ثقلها وهو يحسب انه من المتكئين على الارائك . فيستوى بذلك عنده الجواز واحتمية المحسوس وغير المحسوس . حتى يحسب الصغر خوانا والنمش عرشاً والخاروق او الصليب منبراً . وربما كان ذا زوجة وعيال فيتخذهم متخذ الماعون من الخزف فيغادرهم ويجرى فى البلاد ان القاصية لترويج

السلعة . ويستغنى عن هله واخوانه ورهطه بما لديه في الخرج . فيحمله على كتفه مستبشرا مسرورا ويضرب مناكب الارض طولا وعرضا فكل من مر به من عباد الله عرض عليه الشربة والمضاربة . ولا يزال دأبه كذلك حتى يقضى نحبه وطوبى له ان مات على هذه الحالة . الخرج الخرج . ما لنا سواه من حرفة ولا شغل . السلعة السلعة . ليس لنا غيرها من جعل . ثم طلق يبكى وينتحب . فلما افاق بعد حين ساله الفاريق هل عندكم معاشر الخرجيين سوق وشيخ للسوق . قال لا قال ومن يقوم لكم المتاع قال كل منا يقوم متاعه بنفسه . ولا نحتاج الى آخر . فتعجب الفاريق وقال في نفسه ان اُفي هذا لعجبا . فان قوما من هؤلاء الصعافيق لهم شيخ سوق وما لهم خرج . وقوما لهم حرج وليس لهم شيخ . ولكن لعل صاحبي هذا على الحق . اذلو لم يكن كذلك لما تكلف حمل الخرج من اقصى البلاد ونجشم اخطار السفر وغيره . ثم نحزه الخناس ان الخرجى ربما لم يجد محترفا في بلاده فجاء بما عنده لينفقه في بلاد اخرى . فان تاجرا لو استبضع من بلده مثلا خزا او كرباسا الى بلد آخر لم يحكم له بانه قدم الى هذا البلد حبا باهله فقد جرت العادة بان المتسبين يطوفون في كل الاقطار . ثم فكر في ان اناة الخرجى وما هو عليه من الرزاة والصبر لا بد وان يكون قريبها الرشد والحزم . بخلاف النزق والطيش فانه لا يكون الاقرين الغواية والضلال . فن ثم حكم بان الخرجى كان على هدى وذلك لاناته وحلمه وان المطران كان من الضالين لحدته وتترعه .

ثم قال للخرجى قد وعيت ياسيدى كل ما وعيته اذنى . وما رى الحق الا معك . وانى مشايحك ومتابعك وحامل للخرج معك . ولكن جرنى من هؤلاء الصعافيق فانهم كالاسود الضارية لا تاخذهم في خلق

الله رافة ولا شفقة • وعندم ان اهلك نفس غيره على الدين يكسبهم
عند الله زلفى • وقد تمسكوا بظاهر اقوال من الانجيل فيما رأوه موافقا
لفرضهم وزائدا في جاههم وسلطانهم • فيقولون ان المسيح بقوله ماجئت
لالتي على الارض سلما لكن سيفا انما رخص لهم في اعمال هذه الاداة
في رقاب الناس ردا لهم الى طريقة الحق • وقد نبذوا وراء ظهورهم
خلاصة الدين وجوهره ونتيجته • وهى الائمة بين جميع الناس والمحبة
والمساعدة وحسن اليقين بالله تعالى • وما صعب على من زاغ وعصى
عن الحق ان يستخرج من كل كتاب وحيا كان او غير وحى ما يوافق
غرضه وفساد عقيدته • فان باب التاويل واسع • يجوز الآن لامير
الجليل اذا شاخ ولم يمد التدثر بالثياب يدفئه ان يتكوى بينت عذراء
جميلة اى يتدفأ بها ويصطلى بمرجسها كما فعل الملك داود ام يجوز
له اذا حارب الدروز وانتصر عليهم ان يقتل نساءهم المزوجات واطفالهم
ويستحيى ابيكارهم لتفجر من حول جنده • كما فعل موسى باهل مدين
على ما ذكر في الفصل الحادى والثلاثين من سفر العدد • ام يجوز له ان
يتزوج بالف امرأة ما بين ملكه وسرية كما فعل سليمان • ام يجوز لاحد
من القسيسين ان ينكح زانية ويولدها النفل كما فعل النبى هوشع • ام
يسوغ لاحد من الولاة ان يقتل من اعدائه كل رجل وكل امرأة وكل
مقل رضيع • كما فعل شاول بالعمالقة عن امر رب الجنود • حتى ان الرب
غضب عليه لعدم قتله خيار الشاء والانعام ولا بقاءه على اجاج ملك
العمالقة وتدم على انه ملكه على بنى اسرائيل فقام صمويل وقطع
الملك قطعا امام الرب في جلجال •

هذا وانى قد قرأت في فهرست النوراة المطبوعة في رومية في
حرف الهاء مانصه ينبغى لنا (اى لاهل كنيسة رومية) ان نهلك الهراطقة
المتبدعين او المشاحنين • واستشهدوا على ذلك بما كان يجرى بين

اليهود واعدائهم من القتال والفتك والاغتيال على ما سبق ذكره . فأن
 يكن دين النصارى يحمل قتل الرجال والنساء والاطفال والفجور بالابكار
 من النساء ويبيح التوب على عقار الغير من دون دعوة الى الدين بل
 مجرد عتو وظلم كما كان يحلله دين اليهود . فلاى سبب لسخه اذاً وبطل
 احكامه . لكن دين النصارى مبني على مكارم الاخلاق . وغايه من
 أوله الى آخره ابقاء السلم بين الناس . وحثهم على الاصلاح والخير . والا
 فلنرجع يهودا . فلما سمع المخرجى ذلك رأى ان وراء هذا الكلام لباقعة
 خفص على انقاد القاريق من ايدى العتاة . رارتاى ان يبعثه الى جزيرة
 تسمى جزيرة الملوط استئماناً فيها . فركب القاريق في سفينة صغيرة
 سائرة الى الاسكندرية . فلما ان سارت به غير بعيد هاج البحر واضطرب
 بالسفينة فلزم صاحبنا فراشه من الدوار . وطفق يشكو من ألم البحر
 وينوح قائلاً .

(نوح الفارياب وشكواه)

ويلي من السفر ومما اشتق منه ما كان اغنائي عن مقاساة هذا
الضر الاليم . ما كان اغنائي عن هذه المساومة التي سامتني هذا الكرب
العظيم . ما ذا وسوس الي حتى دخلت بين الضواطرة ولا عائدة لي من
هذا الفضول الذميم . لقد ولدت في الدنيا وعشت زمانا ولم يخطر ببالي
ما اختلف فيه عيام وبعيم . فلا شيء دخلت في هذه المضايق وتورطت
في هذا الشر العقيم . هل كان يعني ما تهاثر عليه اهل المشرق من فساد
رايهم وخلقتهم اللبيم . لهنى على القلم وان يكن في شقه شق وحول محاجه
الونيم . لهنى على الحمار الذي كان يزقع ويرفس من لي بذلك البهيم . لعله
الآن احسن حالا مني ولعله في نعم مقيم . وانا اليوم بما فرطت مليم .
من لي بالخان والاخوان فيهم بزيغ نديم . رمان لاشغل الا معاقرة
المدام والتطريب والترنيم . ليتني قلت ما قال الناس وعبدت معهم البعيم .
(استغفر الله قد كفر صاحبنا) ليس كل رقت وقت جدال ومناقسة خصيم
لقد نصحنى المطران بموله ان الحواس قد تفتش في الضليل والجسيم .
والنبي والحكيم . والجاهل والعليم . انه يعرف الحق ويقول غيره خوف
كل عتل زيم . اذ الجاهلون لا يعجبهم الا التضليل والتهيم ، ألم يعل لي
انك لا تقدر على تجديد القديم ، وعلى تقويم مالا يستقيم ، نعم ان الحواس
تغش وسيان في ذلك السفیه والحليم . والكرم والاليم . ثم وقف قليلا
حتى يورد امثلة على هذا واذا به يقول . ان الفبيحة الشوها اذا نظرت
وجها في مرآة تقول ان كنت شوها عند بعض فاني حسناء عند آخرين .
ولذلك قال صاحب القاموس الشوها العابسة والجميلة ضد . وان الفناف

اذا نظر جاسود انفه قال يحتمل ان بعض الحسان يرغبن فيه وما يرين به
امتا ولا عوجا ؟ وان سادتنا القحاح من الملوكة والمملكات وذوى السعادة
والجد لا يصورهم المصورون الا حسانا ؟ وهم لا ينظرون انفسهم في العناس
الا كما يصورهم المصورون ؟ وانا لا ارى الشمس طالعة ولما تكن قد طلعت
كما يقول الرياضيون ؟ ورى المصبا في الماء معوجة وهى غير ذات عوج ؟
وان السراب يرى للشخص اثنين ! وان بمض الالوان يبدو بلونين ؟ وان
السحرة يخيلون للناظرين انهم يحشون على الماء . ويدخلون في النار ولا
يحترقون ؟ ومن يك في سفينه ماخرة قبالة ديار وعقار فانه يرى ما يقابله
في الارض متحركا ماشيا وهو ساكن ثابت . ومن يقعد في شباك مناوح
لشباك آخر مساو له في الارتفاع فانه ينظره اعلى من شباكه . ولعل
صاحبى الخرجي كان بكائه لداع غير داعى السلعة . فانه يبلغنى عن
اللاعبين واللاعبات في الملاهى انهم يكون ويضحكون ايان شأوا فلعل
البكاء عندهم من الصنائع التي يتعلمونها على صفر . ما ذا يفيدنى الخرج
الآن . أأدعوه ويتركنى . أحبه ويغضنى . أحمله وينبذنى . فلما ابتداء
هذه السفاهة التي آمد عند الخرجيين كفرة . وعند السوقيين تسبيحا وعند
المتوسطين بينهم سفاهة ناشئة عن الجزع . اذ الناس لم يتفهموا الى الآن
الا على الخلاف .

مادت به السفينة مبددة شديدة يحسبها الخرجيون انتقاما من الرب .
والسوقيون عارضا من العوارض . فجعل يصرخ ويقول الا يا شيخ
السوق عفوا بحق لحيتك التي عند الحلاقين الا ما اجرتنى . يا خرج .
يا سلمه . يا دفر . يا ضوطرة . يا صعاقة . يا ساجى السلعة . يا صباغيا .
يا مسديها . يا ملحميا . يا منيرها . يا مطر زيا . يا موشيا . يا رقاميا . يا رفايا . يا شصاريا .
يا خيا طيا . يا كفافيا . يا شراجيا . يا شاريا . يا طوايا . يا قساميا (١) يا لغافيا .
(١) القسامى من يطوي الثياب أول طيها حتى تنكسر على طيه .

يأملها . تداركوني بحكم قد هلكتم . فما كادتم هذا الدعاة الا ومالت
به السفينة مائلة تدحرج بها رأسه الصغير كالبطيخة . فجعل يصرخ
ويستغيث ويقول لقد عدت عن التفديد . هذا أثره ظهر من أول
الطريق فكيف يكون في آخره . ثم غشى عليه وصار يهذى ويقول
الخر الخر . فسمعه أحد الركاب يكر ذلك فظن انه يشكو من احد الاخشين
في فراشه . فلما لم يجد شيئاً قال هو يهذى من الألم وتركه . ثم قدر الله
ان سكن البحر وصفا الجو وظهرت بعد ساعات ارض الاسكندرية
فجاء ذلك الرجل وبشر الفاريق برؤية الارض . فقام متجدداً وغسل
وجهه وبدل ثيابه . فلما خرجوا من السفينة سبقهم الفاريق وما كاد
يطأ الارض حتى تناول منها حصاة والتقمها وقال هذه أمي . واليها أمي .
فيها ولدت وفيها اموت . ثم انه توجه الى خرجى كان في المدينة وادى
اليه كتاب توصيه من الخرجى الآخر . ولبت عنده ينتظر سفينة تسافر
الى تلك الجزيرة . فلنثته بوصوله سالماً آمناً . ولتقدم عرض حال للسدة
الاميرية . والحضرة الملامية . حضرة بطرك الطائفة المارونية كائنا ما كان .
ثم نرج قليلا على السوقيين والخرجيين وتذكر الفرق بينهم .

(عرض كاتب الحروف)

قد تفلت الفاريق من ناديكم . وانخلص من بين ايديكم . وعنجر في
وجوهكم جميعاً واصبح لا يخاف لكم وعيداً . وبقي الآن ان اذكركم ما
اشططتم به من الظلم والظفیان والجور والعدوان على أخى المرحوم أسعد .
اذ أردعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنوين نحو ست سنين . وبعد
ان ادقتموه جميع ضروب النل والهوان والبؤس والفضنك في صومعة

صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها الى موضع يبصر فيه النور أو يستنشق
الهواء اللذين يمن بهما الخالق على الابرار والفقجار من عباده قضى نحبهم
وما كان سجنكم له الا لحالفته لكم في اشياء لا تقتضى عذابا ولا عتابا .
وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مدني .

اما الدين فان المسيح ورسله لم يأمرؤا بسجن من كان يخالف كلامهم
واما كانوا يمتزلونهم فقط . ولو كان دين النصارى نشأ على هذه المساواة
الوحشية التي انصفكم بها الآن انتم رعاة التائبين وهداة الضالين لما آمن
به احد . اذ لا احد من الناس يصبؤ الا اذا كان يرى الدين الذي خرج
اليه خيرا من الذي خرج منه . وكل انسان في الدنيا يعلم ان السجن
والجوع وبس والاذلال والتأديب والتشنيع ليس من الخير في شئ .
وناهيك ان المسيح ورسله اقروا ذوى السيادة على سيادتهم وامرتهم . ولم
يكن داهم الا الخوض على مكارم الاخلاق والامر بالبر والدعة والسلم والامانة
والحلم . فانها هي المراد من كل دين عرف بين الناس .

واما المدني فلان اخي اسعد لم يأت منكرا ولا ارتكب خيانة في
حق جاره أو اميره أو في حق الدولة . ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى
حاكم شرعى . فاساءة البطرك اليه اما هي اساءة الى ذات مولا السلطان
لاننا جميعا عبيد له مستامنون في امانه وحكمه . وكلنا في الحقوق سواء .
اد البطرك ليس له حق في ان يخطف من بيني درهما واحدا لو شاءه فاني
له ان يحطف الارواح . وهن اخي جادل في الدين وناظر وقال انكم
على ضلال فليس لكم ان تमितوه بسبب هذا . واما كان يجب عليكم ان
تنقضوا ادلتهم وتدحضوا حجته بالكلام أو بالكتابة اذا اتلفتموه منزلة عالم
تخشون تبعته . والا فكان الاولى لكم ان تفوه من البلاد كما كان هو يطلب
ذلك . بل اصرتم على عتوكم في تشكيكه وزعتم ان فراره من داركم مرة
لنجاة نفسه كان زيادة في جنايته وجريته فزدم تجبرا عليه وظلما . وكانى

بكم معاشر السفهاء تقولون ان اهلاك نفس واحدة لسلامة نفوس كثيرة
محمدة يندب اليها . ولكن لو كان لكم بصيرة ورشد لعلمتم ان الاضطهاد
والاجبار على شيء لا يزيد المضطهد وشيئته الا كلفا بما اضطهد عليه .
أولا سيما اذا علم من نفسه انه على الحق وان خصمه انقاهر له على ضلال
أو انه متحلل العلم والفضائل وقرينه عطل عنها . فقد فاتكم على هذا العلم
الديني والسياسي . وعرضتم عرضكم للمذنب والتسويد . وذكركم للمقت
والتنفيد . ما دامت السماء سماء والارض ارضا . وان اخي رحمه الله وان
يكن قد مات فذكره لن يموت . وكما ذكره ذا كرم من اهل الرشد والبصيرة
ذكر معه ايضا سوء فعلكم وافحاشكم وغلوكم وجهلكم وشناعتكم . وقد
لعمري اخرج عنكم بموته من شيعتكم هذه المتوحمة على سفك الدم اكثر
مما لو بقي حيا . وحسبك بالخواجي ميخائيل مشاقه الاكرم وبغيره من
ذوى الفضل والبراعة مثالا . الم تأخذكم يا غلاظ الاعناق رافة في شبابيه
وجماله . الم تنثر قلوبكم التارزة لصفرة وجهه حين حجبته موه عن التور والهواء .
وحين ذوت غضاضة جسمه وبضاضته . وحين لم يبق من تراره غير
الجلد والمظلم وتجلت عليه ايضا ان تطلعهو بهما . الم تشفقوا عليه اذ رأيتم
انامله قد ضيقت لهوزما كان يتمتع به حر دبركم . ولعد طالما والله اخذت
القلم فخطت ما يعجب به الملوك . ولقد طالما والله صعد المنبر فخطب فيكم
ارتجالا والعرق يتصبب من جبينه ذاك الصليت . ولشد ما ابكى سامعيه
تذكيرا ونزهيدا . وطالما الف وعرب لكم كتب ركيكة وعلم حقى رهبانكم
واخرجهم من ظلمات الجهل . الم ينجز وجوهكم الصفيقة ما كان يترقق
في وجهه من ماء الحياء فكان اشد خفرا من مخدرة . وانه كان عزيزا في
اهله . مكرما عند الاءراء محببا الى الخاصة والعامة . نزيه النفس . كريم
الخلق . فصيح اللهجة . انيس المحضر . امثله يحبس ست سنين ويذل
وينكل ويموت والله يعلم باي شيء مات . ما بال الكنائس الفرنساوية

والنساوية والانكازية والمسكوبية والرومية الارثوذكسية والرومية الملكية والقبطية واليعقوبية والنسطورية والدرزية والمتواليه والانصارية واليهودية لا تفعل هذه الفظاعة والشناعة التي تفعلها الكنيسة المارونية . أم هي وحدها على الحق والناس اجمعون على الباطل . الستم تزعمون ان ملك فرنسا هو مجير الدين وناصره . والناس من اهل مملكته الكاثوليكين مازالوا يطبعون كتباً ينددون فيها بعيوب رؤساء كنيستهم وقبائحهم وسفاهتهم وفحشهم وشراحتهم والحادهم . بل ان كثيراً منهم قد القوا تواريح خاصة بما كان عليه الباباوات من الفسق والفجور وسوء التصرف . وبكفرهم بخلود النفس والوحي وبالهية المسيح .

فمنهم من قال ان البابا ارماديوس الثامن ويعرف بدوق صفوى رقى الى درجة بابا وهو عامي . ومنهم من قال ان مجمع باسيل انما كان انعقاده لملح البابا يوجين وانهم حكموا عليه ؛ لعصيان والارتشاء والشقاق والبدع ونكت اليمين .

ومنهم من قال ان البابا نيقولاوس الاول كان قد حرم كوتيار مطران كولون لحالته له في المجمع الذي عقد في مترسنة ١٨٦٤ . فكتب المطران المذكور رسائل الى جميع كنائسه يعول فيها . ان المولى نيقولاوس الذي اتخذ له لعب بابا ويحسب نفسه انه بابا وسلطان معا وان يكن قد حرمانا فقد علونا على سفاهته .

ومنهم من قال ان امير وسيوس حاكم ميلان حصل على درجة مطران مع انه كان غير صحيح الاعتقاد بدين النصارى .

ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثامن ارسل نواباً من طرفه الى القسطنطينية . فعقدوا ثم مجعاً اجتمع فيه اربعمائة اسقف وكلهم حكموا ببراءة فوتيوس وانه جدير برتبة مطران .

ومنهم من قال ان البابا اسطمانوس السادس امر بان تنبش جثة

فرموس سيوس اسقف يورطو من القبر لانه كان قد اثار شعبا على سلفه البابا يوحنا الثامن . ثم حكم عليه حالة كونه ميتا بقطع رأسه وثلاث من اصابعه والقيت جثته في طير . وان البابا سرجيوس كان قد استوزر ثاودورة ام ماروزيا التي تزوجت بمرکز طوسكاني . وانه اى البابا اولد ماروزيا هذه ولداً رباه عنده داخل قصره من دون محاشاة احد من اهل رومية . ثم تزوجت ماروزيا بعد ذلك بهون ملك ارس وعملت على قتل البابا يوحنا العاشر لانه كان يهوى اختها . فخففته بين فراشين واستبدت بالامر . ثم احتات ان ولت ليو هذه الزبية ثم قتلتها في السجن بعد أشهر . ثم ولت من بعده رجلاً خامل الذكر فولى بعض سنين ثم عرلته ونصبت يوحنا الحادي عشر وهو ابنها من سرجيوس الثالث وكان قد أتى عليه أربع وعشرون سنة لا غير . وشرطت عليه ان لا يشر من الاحكام الا ما كان محتصاً برتبته الباباوية . وانها سميت زوجها ثم تزوجت بسلفها ملك لومباردي وفوضت اليه الحكم . فقام أحد ولدها من زوجها الاول وشغب عليها أهل رومية وجبسا وابنها البابا في صانت انجلو . وانه ولى بعده اسطفايوس الثامن . غرانه لما كان بغيضاً عند الرومانيين لكونه من جرمانية شوهموا وجهه فلم يدر بعدها على الظهور بين الناس . ثم انتخب ابن ولد ماروزيا المسمى اكثافايوس وله من العمر ثمانى عشرة سنة وسمي من بعدها ذلك يوحنا الثمانى عشر . وكان خليفها ماجنا فحاشا مستهتراً منهكاً في الذات وهوى النفس مولعاً بركوب الخيل والفروسية . واما لم يخل ذلك بامور الكنيسة لان أكثر الدول والكنائس كان على هذه الحال . وان اوبو الامراطور لما علم ان هذا البابا قد اضمحل امميان وكان أهل ايطاليا قد استدعوا حضوره لاصلاح ما اختل من احوالهم توجه من بافيا الى رومية . وبعد ان استتب له الامر في المدينة عقد مجمعا حضر فيه البابا بنفسه وكثيرا من امراء جرمانيا ورومية

واربعون أنفأً وسبعة عشر كرينالا وذلك في كنيسة مار بطرس . وشكى البابا بحضرتهم اجمعين انه فسق بعدة نساء وخصوصاً ايتنت التي مانت وهي نفساء . وانه قلد مطرنية طودى لفلان كان سنه عشر سنين لاغير وانه كان يبيع الرتب والدرجات الكنائسية ييماً وسمل عيني اشبينه في المعمودية سهلاً . وجب أي خصي احد الكرادلة أو الكرينالات جياً . ثم قتله . وانه لم يكن يؤمن بالمسيح وغير ذلك مما أوجب على الامبراطور خلعه ونصب ليو الثامن في مكانه . الا انه لم يكد الامبراطور يخرج من رومية حتى هاج البابا عليه اهل المدينة . وعقد مجمعاً خلع فيه ليو الثامن وامر بقطع يد الكرينال الذي كتب الشكوى عليه . وقطع ايضاً لسان الكاتب الذي كان يقيد الحوادث وانفه واثنين من اصابعه ثم قتل البابا يوحنا الثاني عشر وهو معاق لامرأة وكان الغافل له على ما قيل زوجها .

ثم ان الفنصل كريستينوس ابن البابا يوحنا العاشر من ماروزيا جيش اهل رومية على اوثو الثاني وسجن بندكتوس وكان من حرب الامبراطور قسات في السجن . فلما بلغ ذلك مسامع أوثو ولي يوحنا الرابع عشر . فقام عليه بونيقياس السابع الذي كان ولي الرئاسة من قبل الفنصل وقتله وولى الفنصل مستقلاً بتدبير الامور ومباشرة الاحكام الى ان قام غرينوريوس ابن اخت الامبراطور وخلع اوثو الثالث . ثم احتل عليه الامبراطور وضرب عنقه وامر بان تعلق جثته من القدمين . وسملت عينا البابا يوحنا الخامس عر الذي كان انتخبه الرومانيون وقطع انفه ثم رمى به من ذروة قلعة صانت انجلو . ثم عرضت الرئاسة البابارية على البيس فاشترها كل من بندكتوس الثامن ويوحنا التاسع عشر واحداً بعد واحد . وكا اخوى مركيز طوسكاني . ثم اشترت لولد سنه عشر سنين وهو بندكتوس التاسع . ثم انتخب بابا وان آخران وكان احدهما يكفر الآخر ويحرمه .

ثم اصطالحا على ان يتقاسما دخل الكنيسة فيما بينهما وان يعيش كل منهما مع سريته .

ومنهم من قال ان كنيسة رومية اصدرت مرة منشورا حكمت فيه على بعض ملوك فرنسا بان يطلق امرأته ويباشر دواعي التوبة سبع سنين .
وانه لما شهر المنشور في المملكة سقطت حرمة الملك من عيون الناس فتجنبته الخاصة والعامة حتى لم يبق عنده غير خادمين .

ومنهم من قال ان البابا غريغوريوس السابع عقد مجمعا في رومية على آثرى الرابع سلطان جرمانية وقال فيه . قد خلعت آثرى عن ولاية النمسا وإيطاليا واعفيت جميع الصاري من الطاعة له ونقضت عهدهم له .
واستأذن حد في ان يحمله باعتبار انه ملك ذو سلطان . وان آثرى لما ضاق بذلك ذرعا اضطر الى الذهاب الى رومية . فلما قدم على البابا وجده خاليا بالكنيسة ما تلبدة في كانوزا (١) فوق السطان يستأذن في الدخول لدى الباب ولم يكن معه احد يخفوه . فلما دخل المقام الاول اعترضه بعض حشم البابا وزعوا عنه حلته الملكية والبسوه نوبان الشعر ووقف ايضا ينتظر الاذن في صحن القصر حافيا وكان ذلك في قلب الشتاء . ثم الزم ان يصوم ثلاثة ايام قبل تقبيل قدم البابا . فلما انقضت الايام الثلاثة دخل به الى مجلس البابا فوعده بالعفو بشرط ان ينتظر ما يحكم به عليه في مجلس اغوسبرغ . الى ان قال ثم مات البابا المذكور وخلفه رئيس دير سمي اوربانوس الثاني . وكان مثل سلفه في العتو والتجبر .
ثم جعل يحرض ابني آثرى على قتال ابيهما . وهذه ثاني مرة هاج البابا فيها الابناء على آباءهم فقاما عليه واوردعا السجن ثم فر منه ومات في لياج مسكينا ذليلا .

ومنهم من قال ان آثرى السادس ولد فرديريك الثاني سارا الى رومية

(١) الكنيسة مؤنث الكنيت من القاب الشرف عند الافرنج .

ليتوجه البابا سيلستانوس . ولما كان الامبراطور متطاطئا لتقبيل قدمه وعلى رأسه تاج الملك رفع البابا رجله ورفس بها الاج عن رأسه فوقع على الارض وكان سن البابا وقتئذ ستا وثمانين سنة .

ومنهم من قال ان بعض الباباوات واطنه اينوصنت الثالث حرم الملك لويس واباه . غير ان مطارين فرلسا لسخوا حكمه وأمروا بالقائه . وان البابا اينوصنت الرابع عقد المجمع الثالث عشر على الامبراطور فردريك الثاني وذلك في سنة ١٣٤٥ وحكم عليه فيه بكفره وبانه كان يتسرى بجوارى مسلمات . فناضل عن الامبراطور خطباؤه وحزبه وردوا على البابا انه افتض بنتا وارثى غير مرة .

ومنهم من قال ان البابا المذكور اغرى طبيب الامبراطور المشار اليه بان يدس له السم في طعامه . وان البابا لوقيوس الثاني ولى مرة حصار رومية بنفسه ومات من رمية حجر على رأسه . وان البابا اكليمنضوس الخامس عشر كان يجرى في فينا وليون لجمع المسال ومعه عشيقته . وان راهبا من الدومينيقيين سم الامبراطور آرى عن امر البابا ذلك في المربان وانه في سنة ١٢٠٠ تراحم بابا وان على الرئاسة وجمع كل منهما حزبه للفتال وعلى راية كل صورة المعانيج . وان احدهما تصرف في آنية كنيسة مار بطرس وانفقها في ابهة الحرب . وان البابا اوربانوس كان يعذب كل من خالعه من الكرادلة أو الكردينالات وفي ذلك الوقت انكرت دولة فرسا رئاسة البابا واستبدت اساقفتها بامور رعيتهم .

ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثالث والعشرين شكى بانهم سلفه وباع الوظائف الكنائسية وقتل عدة ابرياء . وانه كان كافرا ولوطيا معا . فن ثم خلع بحضرة الامبراطور . الى غير ذلك مما يضييق عنه هذا الكتاب فاني لم اضعه في الدين واما أوردت ما مريك على سبيل الاستطراد . فان كان ما قاله هؤلاء المؤلفون من فرنسا وبن حقا كان اخى ابر من هؤلاء

الائمة واتقى . اذ لم يشك قط بانه لاط أو زني أو سم احدا أو هاج الابناء على اباهم يقتلهم . أو انه اجلس آنية الكنائس أو طغا ونجبر على سلطانة أو ارتشى . وانما هي مما حركات جرت بينه وبين بطركه على اشياء غير مقبسة ولا معدودة ولا موزونة ولا مكيلة . فانت تقول مثلاً ان دركات قنوبين المؤدية الى سجين ثلث . وهو قال ثلثائة . وانا اقول ثلثائة الاف . فما مدخل انسجن هنا والعذاب . وان كان ما قالوه كذباً وافتراف كان ذلك ادعى الى تنكيلهم والاقتصاص منهم ، لا فترافهم على احبار الله وخلقائه فواحش لن يستطيع عباد الفتيش ان يأتوا بافطع منها . مع اننا لم نرا احدا منهم عذب أو نفى أو استفز من داره أو انف من محضره . بل قد طبعت كتبهم الما بعد المرة . وسعرها في الاسواق كسعر كتب العلم .

والمل قائل يقول ان عرضك هذا موجه الى البطرك المتولي الان من أهل الفضل والمكارم وليس هو الذي سجن اخاك وقتله وانما كان سلفه . قلت عندي علم ذلك . غير انه ما دام هو يعتقد ان ما فعله سلفه كان صواباً فهو شريك له ولا يلبث ان يعامل من يعتقد باخي معاملة سلفه . وكذلك يعم اللوم جميع المطارنة والاساقفة والمسيحيين والرهبان ان كانوا يصوبون ما فعله البطرك المتوفي . وكنت اود لو اختم هذا العرض بكتاب او جهسه الى حضرة المطران بولس مسود ابن خالي وخال اخي وكتاب امرار البطرك . واسكني خشيت لآن من الاطالة . وفيما قلت ما يغني اللبيب .

الفصل العشرون

في الفرق بين السوقيين والخارجيين

اعلم ان للسوقيين شهرة عظيمة في جميع الاقطار . وذلك انهم احكروا السلعة منذ القديم في مخازنهم وقالوا كل من لم يشتري من مخازننا انزلنا به المصا ص ثم انهم اخفوا دفترا سمار البياعات عن المشتريين وغالوا بثمان الاصناف واشطوا . فكانوا يتفاوضون من المشتري اضعاف القيمة . ثم اتخذوا لهم معامل ومخازن في جميع الامصار وجعلوها مقامة خالية عن الكوى ومنافذ النور . فكانوا يبيعون منها من غير ان يبدوا بحقيقة لون السلعة ورقمتها وكانوا يجعلون ما يبيعونه من اصنافها ملفوفا مظروفا فيساخذ الشارى ويتطلق به ولا يرى منه شيئا . وكان عندهم من النساجين والخياطين والرفائين والصباغين ما يفوق العدد . فكان هؤلاء يصنعون لهم كل ما يامرونهم به .

واتفق في بعض السنين أن وقع موات ذريع في الماشية واعملت البلاد فقل الصوف والحرير عندهم وكادت الانوال والمعامل تعطل . فارتأى رجل منهم من اهل الحصافة والحدق ان يستعمل الشعر وبعض اصناف الحشيش بدل ما اعوزهم من الحرير وغيره . وجاء عمله هذا متقنا محكما حتى اشتهى على اكثر الناس . ثم ان تقرأ من المعسرين الذين حملهم الضنك في المعيشة على توسيع دائرة الفكر والنظر في الامور والتخير لها . (فان جل العلماء والمستنبطين من الصماليك) ذهبوا يوماً الى بعض المخازن لشراء ما لزم لهم وجاءوا بما اشتروه الى منازلهم ملفوفا مصونا على العادة . وكان احدهم يهوى امرأة يريد ان يتزوج بها وقد اشترى لها منديلان اهداه

إليه بحضرتهم وكانت ذات استشراف واستطلاع واستكشاف للمستور كما هو شأن سائر النساء . أخذت المديل وقبل ان تشكره على معروفه أدنته من نور المراج اذ كانت زيانها له في الليل . فرأت فيه خللا كبيراً مع ان النور كان خفيفاً يوشك ان ينطفى . واذا بها صرخت تقول . بشس من باعك هذا انه قد غبنك . ان فيه خللا مثل الذي قد فتنك . فلما سمعوا ذلك تنهوا فاخذ بعضهم ينسل حاجته . وصرلوا اخر يقيس ثوبه على قامته وهم جرا . فظهر لهم ان البضاعة ليست على وفق مرادهم لان من ذهب ليشترى حاجة بلون احمر وجدها سوداء . ومن أراد ثوباً طويلاً وجدته قصيراً . ومن أراد حريراً وجدته كرابساً . فرجعوا بها في الغد الى الباعة وقالوا لهم قد بعتمونا ما لم نرده . وأوردوا لهم عللاً واسباباً للاقالة فقال صاحب المديل لقد كدتم تسودون وجهى عند محبوبتى البيضاء . وكادت تفاضبنى لما انحفتها من سقف المتاع لولا انها طمعت فيما يكون خيراً منه . فقالت لهم الباعة انما بعناكم ما طلبتم ولكن على ابصاركم غشاة فلستم تبصرون اللون ولا الرقمة ولا تعرفون المفسادير ولا المقاييس . فقال من اشترى الثوب كيف يمكن ان يحبل الانسان قامته ويمرفها آخر غيره . وقال صاحب اللون الاسود انما اردت اللون الاحمر وها أن ثوبك اسود ورفيقاى هذان يشهدان لي وها هو واضح السكل ذى عينين . فقال له البائع انت أعمى لا تميز الالوان ثم ذهب لياتيه بلماك ليكحله به فابى ذلك وقال لا بل انت عمه اعمى . وقال من اشترى السكر باس بدل الحرير هب ان البصري ففس افيخفى اللبس على الاعمى . فلج بينهم الجدال والعتاد وملأوا المسكان صخباً وضجيجاً . وفيها هم على ذلك اذا برجل اقبل يسعى وهو يلث بهراً وقد اندلع لسانه ووضع يديه على كشحيه . ها كاد يدخل الحانوت حتى سقط لا يستطيع حراكا وغدا يئن ويقول آه امرأتى آه امرأتى . ثم غشى عليه ساعة . فلما افاق ادار

نظره بمنة ويسرة فرأى غريمه . فلم يمالك ان وثب من مجثمه وقال
يا أهل الفساد . ومروجى السكاد . ومسبى الفتن بين المرء وزوجته
ومفرق الاب عن ابنه وابنته . وغابى الاغرار من الشارين . ومبرقى
وجوه المبصرين . كيف خل لكم من الله ان تغشوني وتبعموني ما لا
حاجة لي به . اني انيتكم بالامس اطلب منكم ان تبعموني لحما لا تأخذ منه
مرقا لزوجتي لانها عليلة منذ ايام . فبعموني كمر خبز وقلتم لى انه لحم
غريض . فلما اوقدت النار لاطبخه اذا به خبز . فبات امرأتى منى
غير ان تذوق شيئاً وقد اصبحت لاحراك بها الا بلسانها . فهى
لا تزال تلعن تلك الساعة التى رأتنى فيها قبل الزواج . وتسب القسيس
الذى كان السبب فيه . وقد حلفت انها اذا برئت من مرضها لتأمرن
النساء جميعاً بان يكن مع ازواجهن ضجماً مفسلات مناشيص (١)
وكانه لما قل ذلك فاردمه في دماغه فوثب من مكانه وكاد ان يبطش
بالبائع . لولا ان تداركه بعض الصناع في الحانوت ، فلما تخلص البائع
من يديه صعد منبراً وقال ،

اسمعوا ايها الخصماء ، ولا تعجلوا الى اللوم فانه من دأب اللؤماء ،
ان عيونكم قد غشى عليها فهى تبصر الاحمر اسود ، وذوقكم قد فسد
فعندكم ان اللحم خبز مفتاد ، وعقلكم قد رك وحرض فانتم تحسبون
الحرير قطناً ، والجوهر عمناء ، فما ينصفنا الا قيم السوق ، فها هموا اليه والا
فانتم من أهل الكفر والفسوق ، فلما سمعوا مقالته وعلموا ان محاكمته
لهم عند شيخ السوق شطط لسكونه اضعف منهم بصراً وبصيرة لهرمه
(١) الضجع جمع ضجوع وهى المرأة المخالفة لزوجها ، قلت وهو
غريب ون اشتقاقه من ضجع فكان يقتضي ان يكون معناه الطاعة
والمغسلة المرأة التى اذا اريد غشيانها قالت انا حائض لترده والمناشيص
جمع منشا ص للتي تمنع زوجها في فراشها ،

التهبوا غيظاً فجعلوا يركسون الامتعة ويشوشونها وبيعثرونها ويمزقون كل ما قدروا عليه ، ويطأون ما أمكن لهم وطؤه ، ويكسرون كل ما اصابوا من معد وصندوق وكؤس واكواب وخرجوا وهم سامدون ، ثم تواطأوا على ان يعقدوا مجلساً تلك الليلة ليتدبروا في امورهم ، فلما كان المساء اجتمعوا وقالوا قد اتضح لنا ان هؤلاء الباعة ظالمون غابنون ، وان حواسنا لم تر الشيء الا على ما هو عليه ، فشكراً لله واصحابه المندبل التي هدتنا الى هذا ، ففعلوا نستقل بامورنا ونعمل لنا مخازن ومعامل كما عملوا هم ثم اتخذوا لهم شيعة واخذاناً واصحاباً واعواناً ، واسهطوا عنهم من السهر ما امال اليهم كثيراً من الناس ، وقالوا لهم ان عهدنا اليكم ان نبيعكم البضاعة بمراى اعينكم ولمس ايديكم وذوق السننكم ، ومن لم يرض شيئاً اشتراه فانا نبدله له بما هو خير منه ، ثم بحثوا عن الدفتر ونشروه في جميع البلاد واستعملوا لذلك وسائل مختلفة ، وقالوا للناس ها وكم الدفتر الانور ، والدستور الاكبر . فلانشترا منا حاجة الاعلى مقتضى تسعيره . ولا تذهبوا الى شيخ السوق فانه هالك في غروره . فرضى الناس بما اشترط هؤلاء على انفسهم . وانفصلوا عن الشيخ المذكور وعن حزبه وغدا كل من الحزبين يكذب حريقه ويسوى عليه ويخطئه ويسفه ويحمره ويفنده ويخرفه ويلامنه ويكفره ويؤثمه ويفسقه . وسبحان من يدول الايام . بين الانام .

الكتاب الثانى

الفصل الاول

• فى دحرجة جلود

قد القيت عنى والحمد لله الكتاب الاول وارحت يافوخى من حمله . وما كدت اصدق ان اصل الى الثانى فاني لقيت منه الدوار . ولا سيما حين خضت البحر مشيعا للفاريق تفضلا وتكرما . اذ لم يكن مفروضا علي ان ارافقه فى كل مكان . وقد مضى علي حين بعد وصوله الى الاسكندرية والتمامه الحصاة من الارض ولسان قلبي يتمطق . ونفردواني مطبق . حتى عاد الي نشاطى فاستأنفت الانشاء ورأيت ان ابثدى هذا الكتاب الثانى بشىء ثقیل ليكون عند الناس اكثر اعتبارا . واطول اذكارا . وكما اني ابتدأت الكتاب الاول بما يدل على المسمى بشىء من العلويات ان كنت لما تنس ما مر بك . استحسننت الآن ان آخذ فى شىء من السفليات لاجل المطابقة . هذا ولما كان الحجر من الجواهر المنیمة المفيدة راق لى ان ادحرج منه هنا جلودا من اعلى قنة افكارى الى اسفل حضيض السامع . فان وقفت تنظر الى تصويبه من دون ان تتعرض له وتحاول توقيفه مر بك كما تمر السعادة علي . أى من غير ان يصيبك منه شىء . والا أى ان استسهلت حبسه عن منحدره كرعليك ودفعت تحته . والعياذ بالله مما وراء هذا الدفع . فانظر اليه هاهو متحرك للسقوط . هاهو متصوب فالحذر الخذر . قف بعيدا . واسمع من دويه ما يقول .

ان من نظر بعين المعقول الى هذه الدنيا والى ما اختلف فيها واختلف
من الاحوال والاطوار . والجواهر والاعراض ، والاطوار والاعراض ،
والعادات والمذاهب ، والمراتب والمناصب ، وجد ان كل شئ يمر عليه منها
يفوق كنهه ادراكه يفوت تأمله ، وان حواسنا وان تكن قد ألقت اشياء
لم تفادرا لالفة عليها محلا للتعجب منها ، الا ان تلكم الاشياء لاتنفك في نفس
الامر عن كونها معجبة بحيرة ، ومن تبصر في ادنى ما يكون منها حق التبصر
رأى نفسه كمن قد اهل اداء فرض أمين عليه ، انظر مثلا الى اختلاف
ضروب النبات في الارض فكم فيه من الازهار البديعة الصنعة المعجبة الكينة
من دون ان نعلم لها منفعة خصوصية ، والى اختلاف انواع الحيوان من
دبابات وهوام وحشرات وغيرها ، فان منها ما هو حسن الشكل ولا فائدة
منه ومنها ما هو قبيح والحاجة اليه ماسة ، وانظر في السماء الى هذه النجوم
دراستها كوكب درى ويضم متوقد متلالي ،

وخسها الخدس الكواكب كلها أو السيارة أو النجوم الخمسة الخ ،
ويانياتها الكواكب البيانيات التي لا تنزل الشمس بها ولا القمر ،
وتوائها توائم النجوم والرائ ما تشابك منها ،
وبروجها معروف ،

وتنينها التنين بياض خفى في السماء يكون جسده في ستة روج
وذنيه في البرج السابع الخ ،
ومجرتها باب السماء أو شرجها ،
ورجمها النجوم التي رمى بها ،
واعلاطها اعلاط الكواكب الدراى التي لا اسماء لها ،
واناثها الاناث صفار النجوم ،

وخسانها النجوم لا تغرب كالجدى والنقطب ونات نعل والفرقدين ،
وانواها النوء النجم مال للغروب أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر

وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق

التي يرجع البصر عنها وهو كليل . وإلى اختلاف سجن الناس ورؤسهم فانك لا تنكاد ترى سحنة بشر تشبه سحنة آخر غيره . ولا تجد بين رؤسهم اى عقولهم رأسا يشبه غيره . فن عباد الله هؤلاء من اختار الخالطة والمعارفة والمحاشرة والمزاحمة . والمضاغطة والمصادمة . والمباراة والمعاجة . والملاهسة والمداحمة . والمجاحسة والمداغمة . والمراعمة والمداهمة . والمساومة والمراهممة . على اختلاف فيها . وذلك كالنجار والنساء . ومنهم من قابلهم بضد ذلك فاختار العزلة والانفراد كالنساك والزهاد . ومنهم من جعل دأبه التفات على المين والافتراء . والغلو والاطراء . كالشعراء والمستأجرين لمدح الملوك فيما يطبعونه من هذه الوقائع الاخبارية . ومنهم من قابلهم بضده فآثر الصدق والتحري . والتحقيق والتروى . والقول الفصل والمطابقة بين الماضي والحاضر والآتى . وذلك كاهل الفلسفة والحكمة والرياضة . ومنهم من يعمل النهار كله ويكمد بكتنا يديه وكلتا رجليه وربما لم ينطق بكلمة واحدة . وذلك كاصحاب الصنائع الشاقة . ومنهم من لا يحرك يده ولا رجله ولا كتفه ولا رأسه وانما ينطق في بعض ايام الاسبوع بكلمات ثم يقضى سائر الايام مستريحاً متنعماً . مترفها متترفاً . وذلك كالخطباء والوعاظ والمرشدين إلى الدين . ومنهم من يفتك ويبطش ويبحر ويقتل كالجنود . ومنهم من يملأج ويدأوى ويشفى ويمجى كالاساة واولياء الله تعالى اهل الكرامات والمجرات . ومنهم من يستأجر للتطليق . ومنهم للتحليل . ومنهم للابلاذ ومنهم للالحاد . ومنهم للتفريق . ومنهم للتأليف بين الآحاد . ومنهم من يتكوى في بيته فلا يكاد يخرج منه الا لضرورة . ومنهم من يصعد الجبال والادقال . والمنابر والاشجار . ومنهم من يهبط الاودية والبوليع والمراحيض . ومنهم من يسهر الليالى في تأليف كتاب . ومنهم من لا يذوق النوم حتى يحرقه . ومنهم من يسود ومن يساد . ومنهم من يقود

ومن يفاد . ومع هذا التنافي والتباين فما آل مساعيهم وحركاتها كلها الى شـ
واحد . وهو ادخال الانسان ختابة غداة كل يوم في رائحة كريمة قبل
ان يستنشق روائح الازهار . ويتمتع بمتوع النهار . واعجب من جميع ما
مر بك من هذه الاحوال حالتنا اصحابنا السوقيين والخرجيين . فان حرفتهم
لما كانت لا تتوقف الا على استعمال اداتين فقط . اى الحيلة والقسم دون
افتقار الى آلة اخرى . وكان مورد اقوالهم . ومصدر جدالهم . ومبنى
انتحالهم . وجل رأس مالهم . قولهم يحتمل ان يكون هذا الشيء من
باب الحزاز الاسنادي او اللغوى . او من مجاز الجاز او السكتانية . او من
حمل الظير على النظير . او التمييز على التقيض . او من باب ذكر اللانم
وارادة الملزوم او بالعكس . او من قبيل ذكر البعض وارادة الكل او بالعكس
او من نوع اسلوب الحكيم . او من باب التهمك . او من طاقة التاميسج ، او
من كوة الالتفات ، او من خرق الحشو ، او من خرت الادماج ، او من
خصاص الاكتفاء ، او من شق الاحتباك ، او من سم عكس التشبيه ،
او من خلل سوق المعلوم مساق غيره ، او من فتخات التجريد ، او من
فرجة الاستطراد ، او من ثقب التورية ، لم يكن من اللائق بهم ان يخلطوا
هذه الاوات وتلك اللوات بشىء .

من العرادات	العرادت شىء اصغر من المنجنيق ،
والدبابات	الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل ا-
	فينقبون وهم في جوفها ،
والدراجات	الدبابة تعمل لحرب الحصار تدخل تحتها الرجال :
والمنجنيقات	المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة والمنة
	المنجنيق ،
والنفاطات	النفاطة اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط ،
والخطار	المنجنيق والذي يطعن بالرمح ،

السبطانة قناة جوفاء يرمى بها الطير .	سبطانات
جلد يغمى خشبا فيها رجال تقرب الى الحصون للقتال .	والضبر
جثة من خشب يدخل تحته الرجال يمشون به في الحرب الى الحصون .	والفقع
الذى يرمى به ونحوه البراقيل والبنادق .	والجلاهق
اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول المعسكر تعمل على مثال الحسك المعروف .	والحسك
قباة محشوة يتخذ للحرب وسلاح كانت الاكسرة تدخرها في خزائهم والدروع الفليضة .	والمردماي
آلة للحرب يلبسه الفرس والانسان .	والجفاف
الترسة او الدروع من الجلود .	واليلب
اسم جامع للدروع .	والسرد
التروس من جلود بلا خشب ولا عقب ونحوه الجحف .	والدرق
الرجالة وما يزين به السلاح .	والحرشف
العتلة العصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح يهدم بها الخائط .	والعتلات
المنسفة آلة يقطع بها البناء .	والمنسفات
مقطرة السجاج وهي خشبة فيها خروق على قدر سمعة الساق .	والفلاق
الخزرة قاس عظيمة يكسر بها الحجارة .	والخنازر
شيء من حديد يعذب به الانسان لا قرار بامر ونحوه .	والعذراء
المقطرة خشبة فيها خروق على قدر سمعة ارجل المحبوسين .	والمقاطر
المرداس آلة يدك بها الخائط والارض .	والمراديس
خشبستان يغمر بهما الساق .	والدهق

والصاقور	الفاس المظيمة .
والملاطس	الملطس المعمول الفليظ .
والمقاريص	المقراص السكين المعقرب الرأس .
والملاوظ	الملوظ عصا يضرب بها .
والمقامع	المقمة خشبة يضرب بها الانسان على رأسه
والمقافع	المقمة خشبة يضرب بها الاصابع .
والخدأة	الفاس ذات الراسين . *
والمقار	حديد كالفاس .
والمهامر	المهزمة المقرعة أو العصا .
والعراقيص	العرفاص السوط يعاقب به السلطان .
والخفافق	الخففة اندرة أو سوط من خشب .

ولا بالرمح الطاعنات والسيوف الباترات والنبال الصارقات والنصال
الندميات والمقادع المولات والممارع المضنيات والصلب المهلكات والخوازيق
التافذات والاغلال المصلصات والنيران المتاججات والفارات والقزوات
والنكايات والكبسات والاستلانات والافتضاضات والاثكالات
والعدوات والمشاحنات وآخر الجميع بالركاكات . فكم لعمري من دم
سفكوا وجند أهلوكوا وعرض هتكوا وحرمة انتهكوا وذوي اهل ربكوا
وعزب همكوا ونساء ايموا . واولاد يتموا . وبيوت خربوا . وأموال نهبوا
ومصون أذالوا . وحرز نالوا ومستور فضحوا . وحرام أباحوا . فهل فعل
ذلك من قبلهم سدة .

الانصاب الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها
ويذبح لغير الله تعالى .

والكعبات الكعبات أو ذو الكعبات بيت كان لربيعه كانوا
يطوفون فيه .

والربة كعية لمذبح .
 وبس بيت لعطفان بناها ظالم بن اسعد لما رأى قريشاً
 يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت
 وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة فرجع الى
 قومه فبنى بيتاً على قدر البيت ووصع الحجرين فقال
 هذان الصفا والمروة وأجترأ به عن الحج فآغار زهير بن
 جناب الكلابي فقتل ظالمًا وهدم بناءه .

وعبدة مرحب صنم كان بمحضر موت .
 والمعصب صنم .
 والمعصب صنم .
 ويغوث صنم كان لمذبح
 والبجة والسجة صنمان .
 وسعد صنم كان لبني ملكان .
 وود صنم ويضم .
 وآذر صنم .
 وباجر صنم عبده الازد ويكسر .
 وجهار صنم كان لهوازن .
 والدوار صنم ويضم .
 والدار صنم سمي به عبد الدار أبو بطن .
 وسعيد صنم .
 والاقيصر صنم .
 وكثرى صنم لجديس وطسم كسره نهشل بن الرئيس ولحق
 بالنبي صلعم فاسلم .
 والضمار صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه .

ونسر	صنم كان لذى الكلاء بارض حمير .
والشمس	صنم قديم
وعميلس	صنم لخولان كانوا يقسمون له من انعامهم وحروثهم .
والفلس	صنم لطيف .
وجريش	صنم كان في الجاهلية .
والخلصة	صنم كان في بيت يدعى الكعبة اليمانية لخنعم .
وعوض	صنم لبكر بن وائل .
واساف	صنم وضعه عمر بن لحي على الصفا .
ونائلة	صنم آخر وضعه على الروة وكان يذبح عليها (في قول) .
والحرق	صنم لبكر بن وائل .
والشارق	صنم في الجاهلية .
والبعل	صنم كان لقوم الياس عليه السلام .
وسواع	صنم عبد في زمن نوح عليه السلام فدفنه الطوفان فاستأشاره ابليس فعبده وبار له ذيل وحج اليه .
والكسعة	صنم .
والعوف	صنم .
وذى الكفين	صنم كان لدوس .
ومناف	صنم .
ويعوق	صنم لقوم نوح او كان رجلا من صالحى زمانه فلما مات جزعوا عليه فاتاهم الشيطان في صورة انسان فقال امثله لكم في محرابكم حتى تروه كلما صليتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحهم ثم تنادى بهم الامر الى ان اتخذوا تلك الامثلة اصناما يعبدونها .
والاشهل	صنم ومنه بنو عبد الاشهل لحي من العرب .

وهبل	صنم كان في الكعبة .
وباليل	صنم .
والبعيم	صنم والنمثال من الخشب والدمية من الصبرغ .
والاسحيم	صنم .
ونهم	صنم لمزينة وبه سموا عبد هم .
وعاتم	صنم .
والضيزن	صنم .
والمدان	صنم ،
والجبهة	صنم .
واللات	صنم لثقيف سمي بالذى كان يلت عنده السويق بالسمن ثم خفف وهو في حديث عروة الربة .
وذى الشرى	صنم لدوس .
والعزى	صنم او سمرة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عرق الى البستان بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه بسا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرة .
ومناة	صنم
والالاهة	الحية والاصنام والهلال والشمس ويتلث كالالية .
والطاغوت	اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والاصنام وكل ما عبد من دون الله .
والزون	الصنم وما يتخذ ويعبد — والموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزين .
والجبت	الصنم والكاهن والساحر والسحر والذى لاخير فيه وكل

ما عبد من دون الله تعالى .

او عبدة الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وفردود والعرقند والذبح والكتد والعواذ والحضار والاحور والزبرة والاظفار والعذرو المعرة والاعيار والنثرة والجوزاء والبرجيس والتياسين والميسان والسنيق والشرطين والفارطين والانافى والعيوق والمعوهة والصرفة والطرفة والابيض والضباع والهقمة والهنة والردف والمعلف والناقة والنسقين والسماكين وشهيل والشولة والعوكلين والمرزمين والسلم والبطيين والصدر والحية والتحايي والخراتين والحبا وسهى والشاة والعوا . وكوى .

فكان يجب عليهم ان يجمعوا رايهم على امر واحد ويقولوا من حيث ان حرفتنا لا تحتاج بحمد الله الى قياس وعدد كحرفة الطبيعيين والمهندسين والرياضيين . فانهم ايان طلب المناقش منهم دليلا بادروا حالا الى البرهان بالمقادير والمساحة والحساب . فانصبوا انفسهم وانفس سائلهم . كان حقا علينا ان ننهج منهاجا مريحا يقربنا ومعاملينا الى الفرض المقصود . وهو ان نيسر اسباب تعلم هذه الحرفة لكل مضطرب اليها منهم . فن شاء بعد ذلك ان يلبس قباء اوجبة مع سراويلات من تحتها اوتبان فليصنعها هو باى لون اعجبه وباى شكل راق له . اذ ليس من الرشد ان يعترض الانسان انسانا آخر مثله فى كيفية لبسه او فى ذوقه ومناحه . لان ابن ادم من يوم يستهل بالبكاء الى ان يبلغ اربع عشرة سنة يعيش مستغنيا عنا غير مفتقر الى ما رسمنا به عليه . اذ الغريزة تهديه الى ما يلائمه ويصلح له . الا ترى ان الطفل اذا خلى وطبعه لم يلبس الكتان الرفيع فى الشتاء وان كان مطرزا . ولا القرو فى القيظ وان كان مزركشا . وانه متى جاع طلب الاكل . ومتى نعس نام . وان طربته بجميع الات الطرب والانغام ومتى ظمى شرب . ومتى تعب استراح فهو فى غنى عنا من أصل الفطرة

حتى انه يمكنه بحول الله تعالى أن يعيش مائة وعشرين عاما وشهرا من دون رؤية وجه أحد منا أو مشاهدة تاجه وحلته الفاخرة وخاتمه النفيس وعصاه المفضضة . فلندع الناس اذاً في دعوتهم وسلامتهم وشغلهم . ولا نتطفل عليهم ولا نكلفهم مالا طاقة لهم به . اذ لو شاء الله أن يحوج الطفل الينا لآوحى اليه أن يسأل ابويه من وقت ترعرعه عن اسمائنا ومقامنا . وعما نحن عليه من المماحكة والجدال . والقبل والقال . والتشاحن والتشاجر . والتناقر والتناقر . والتلاعن والتهاثر . والتدابر والتهاجر . واحسن من تركه على هذه الحالة ما اذا عطينا بتأديبه وتربيته وتهذيبه وتعليمه صنعة تنفعه في تحصيل معيشته ومعيشة والديه . كالقراءة والخط والحساب والادب والطب والتصوير ، وما اذا نصحناه ان يسعى في خير نفسه وخير ابويه ومعارفه وجنسه وكل من صدق عليه انه انسان بقطع النظر عن هيئات اللباس وتفاوت الالوان والبلاد . لأن اللبيب الرشيد لا ينظر الى الانسان الا لكونه متصفاً بالانسانية مثله ، ومن اعتبر الامور الطارئة عليه كلالوان والطعام والزى فانه يتباعد عن مركز البشرية كثيراً ، وانما يتم حسن صنيعه هذا كله ما اذا صنعناه حسنة لوجه الله تعالى ، غير طالبي الجزاء والهدايا . ولا النذور والعطايا لان كثيراً من الاطباء يداورون المسكين محانا فسترى احدهم يغادر طعامه وفراشه ويذهب الى مريض محوم أو به جذرى أو طاعون احتساباً عند الله اذ الناس كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله

هذا ما كان ينبغي أن يقولوه . وهذا ما اقله انا . تأمل في خرجي اقبل يطوف البحار والامصار . ويجول في الجبال والفقر . ويعرض نفسه ونفس من يحتاج اليه للسب والقذف والعداوة والمشاحنة . وما ذلك الا ليقول للناس انه اعرف منهم باحوالهم واذا سئل عن دواء امين رمدت . أو ساق قرحت . أو اذرة انتفخت . أو اصبع دمت . أو اذا قيل له

ما ترى في من كثرت عياله . وقل ماله . وعظه زمانه . وجار عليه سلطانه .
فمنى بالجوع . وحجم الهجوع . واصبح عشى والناس ينظرون جهوته .
ويتجنبون خلطته . ولا يستعملونه ولا يستخدمونه . لما تقرر في عقولهم
من ان الفقير لا يحسن عملا . وقد اصبحت أولاده يكون ويتضورون .
وامرأته تشكو وتسترحم ولا راحم لها لكون شبابها قد ذهب في
تربية أولادها . أو قيل له هل عندك من ماوى لضييف عزيز . ماله من
نصير . قال ماجئتم بهذا واما قدمت اليكم لانظر في انوالكم التى تنسجون
عليها بضاعتكم وى الواها التى لا تشا كل ما عندى فى الخرج من اللون
الناصع . وما ان يهمنى النظر فيما فيه راحتكم وانما الراحة فيما به تمبكم . ولو
تمطلت جميع معاملكم لاقتصاركم على لوي الذى ابرزه لكم راموزا
وعنوانا واستوجبتم بذلك لوم التجار والحراس والحكام لم يكن علي فى
ذلك من شئ . وهذا سوقى بضع احدى عينيه على فم جاره والاخرى
على عينيه . ثم يقل يديه ورجليه ويقول له اليوم يحب عليك ان تنحس . (١)
لان شيخ السوق اصبح متخبا يشكو وجعا فى معدته وامعائه واضراسه
وهو نحس ، فينبغى ان نجاسه ونمسه معه ، لا يحل لك اليوم ان تنظر ،
لان الشيخ المشار اليه اضربه طول السهر البارحة مع ندمائه ونديماته
فقدوا وباحدى عينيه الكرىميتين رعد أو عمش ، لا يحل لك اليوم ان
تعمل بيديك ، ولان تحرك رجلك ولا ان تسمع باذنك ، أو تستنشق
تنخريك لان السوق اليوم لم تقم والبياعات لم تنفق ، ثم هو اذا قيل له
افلا تصلح بين زيد وزوجته فقد خاصمته بالامس بعد ان جاءت من
حانوتك العالى وتماسكا بالشعور ، وحلفت المرأة لتمنيه بحيزبون أو
لتشكونه الى احد اصحابك الضوارة الكبار . أو ان عمرا التاجر قد
حبس مذبومين لكونه دان بمض الامراء ولم يمكن له ان يحاكمه ويستوفى

منه حقه ، ففلسه القاضي واركة حمارافى الاسواق ووجهه الى دبر الحمار .
 أو ان فلانا قد مرض وزم فراشه لانه ناقش بعض خدام الامير فذكل
 به الامير ضربا بالعصى على رجله وصفعا بالنعال على القذال . فغدا
 لاحراك به وقد ورمت رجله وانتفخ قفاه . لم يكن منه الا قوله ما دام
 السوق وشيخه سالمين فالدنيا كلها سالمة والمصالح مستتبة والسوق مرفوعة
 وقائمة . والبطون ملأى والافواه لاقمه والاضراس خاضمه . والمعدة ضمه .
 والايدي قائمه . والافراح دائمه . والخيرات متراكمه . والرؤساء حارمه .
 والعناية عاصمه . والمادامات بالتذور متزاحمه . والوقوف شاملة عامه .
 ونغور الاماني باسمه . والسلامة خاتمه ، الى السوق ، الى السوق ، فهو حرز
 العلوق ، وذخر الحقوق ، فى الصندوق ، فهو اولى من الصبوح والغبوق ،
 وقد طاب الله امتلا هذا الصندوق ذهبا وجواهر ثم افرغ على تهارور هرات
 ومباحث فارغة وامور سخيفة ، فقد بلغنا ان بعض ضوطة السوق انفق فى
 مدة ست سنين قضائها بالبحث والجدال على شكل قبعة كذا وكذا بكرة
 من المال ، وتفصيل ذلك انه نظر نفسه ذات يوم فى المراة وكان قد تعلم
 مبادئ الهندسة والهيئة ، رأى رأسه مدورا كالبطيخة ، فرأى له ان
 يتخذ قبعة مدورة على هيئة رأسه ، لان المدور يلائم المدور كما تمر فى
 الاصول ، فراه بعض زمائمه من سوق آخر وكان اعظم منه قدرا ووجاهة
 وأوفر علما ، فسخر منه وقال له من وسوس اليك يا ابن قبعة ، حتى لبست
 هذه القبعة (١) ، مع ان شكل رأسك مخروط ، فقال له قد ضللت بل
 هو اكثر استدارة من رأسك كما يشهد لى بذلك شيخ السوق . قال كذبت
 بل هو مخروط وان كنت كثير العنس اليه وانى اهدى من شيخك واقوم
 طريقا . قال كنفرت وعميت عن معرفة نفسك فانى لك ان تعرف غيرك
 قال تبدعت بل انت عمه كمه وقد حقت وسفقت فى عدم قبولك النصيح

(١) ابن قبعة وقابعاء وصف بالحق .

فاليوم ترى الناس المدور من المحروط . والساوط من المسروط .
ثم تج بينهما العناد وتقاطعا بالازيق والجيوب والاقلاع . ثم بالجمم ثم
بالاعراض . فترق كل منهما عرض صاحبه اي عدوه . ثم صاحبا واستغاثا
وتشاكيا لدى الحاكم وتباهلا وتهاورا . فلما ثبت للحاكم ان فعلاهما فعل
الشبازفة (١) رأى ان مداوانهما بغرامة رابية . اولى من حصرهما في
الزاوية . فالتصرف كل منهما وقد غرم كذا وكذا بدرة . ثم ان الضوطار
الاول اتخذ له بعد ذلك قبعة بين بين . اى نصفها مدور ونصفها محروط
بحيث لا يقدر على تمييزها الا الجيهذ النحرير . والناقد الخبير . وآب الى
حانوته كمن ففل من غزوة أو أسر الدحية . (رئيس الجند) أو كذلك
الديك الغالب . وأول ما أطن على السوق امر جميع القبعيين ان يخرجوا
لملاقاته بالتقليس لا بالتقليس (٢) . فخرجوا على تلك الحالة وهم بضجون
ويقولون . اليوم عيد القبعة . اليوم يوم الفرقة . يا أمعه يا أمعه . فبصر
بهم اعوان الحاكم في ذلك الصنع فظنوا انهم خلعوا ربة الطاعة ، وشقوا
عصا الجماعة ، فبادر وهم بالاز والبخر والبخر والبخر والبخر والبخر والبخر
والجلز والحز والحفر والخز والدغز والرز والرفز والزز والشخز والشرز
والشفز والشكز والضخز والضغز والطغز والعرز والقغز والفلز واللاز واللرز
واللنز والسكز واللقز واللمز واللهز والحز والمرز والمهز والنحز والنخز والنغز
والنكز والنهز والوخز والوكز والوقز والوهز والهز والهزز والهمز والرهز
حتى جعلهم عبرة للمعتبر ، وفر الضوطار بقبعته وقد اوقع قومه في الخزي
والعار مما اصاب الرجال من الرزة ولحق النساء من الزيادة . ومع ذلك كله

(١) الشبازق من يتخبطه الشيطان من المس .

(٢) التقليس استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهوان يضع
الرجل يديه على صدره ويخضع . والتقليس مبالغة لقسه اى عابه ولقبه .

فلم يجد شيخ السوق المستعز به شيئاً . بل ظل مكباً على تعاطى الافيون
لطول ارقه وتبييته . وقد سد اذنيه ببعض اوراق دفاتر السوق لئلا يسمع
صراح المستجيرين به أو يوقظه احدهم سباته . فهو راقد الى هذا اليوم أى
يوم تدوين هذه الواقعة . فان افاق فللقارىء ان يقيد ذلك في آخر هذا
الفصل وقد تركت له محالا .

انتهت دحرجة الجاسود والحمد لواجب الوجود



الفصل الثاني

في سلام وكلام

عمت صباحا يا فاريق . كيف انت . وكيف رايت الاسكندرية .
 هل تبينت نساءها من رجالها فان النساء في بلدكم لا يتبرقن . وكيف وجدت
 ما اكلم ومشاربها وملابسها وهواءها وماها ومنازهها واكرام اهلها
 للغرباء . الم يزل برأسك الدوار . وعلى لسانك هجوا الاسفار . قال اما موقع
 المدينة فانيق لكونه على البحر . وقد زادت بهجة بكثرة الغرباء فيها فتى
 رؤس ناس مغطاة بطراير . واخرى بطرايس . واخرى بكام وغيرها
 بمقاعط . واخرى بيرانس وغيرها بمائم . واخرى باصناع وغيرها بمصائب
 واخرى بهمارات وغيرها بمداميج واخرى بنصاف وغيرها بقبعات واخرى
 بقلانس وغيرها ببراطل . واخرى بسبوب وغيرها باراصيص (١) .
 واخرى باراسيس وغيرها بمخنابع . واخرى بقنايع وغيرها بدنيات
 واخرى بصواقع ، وغيرها بصمد واخرى بصوامع . وغيرها بمشامذ واخرى
 بمشاوذ . وغيرها ببرانيط على شكل الشقيط والشبابيط والضمفار بط والضمارب
 والقلاييط والمصاريط والعذافييط والعماريط والعماغييط . ومنهم من له
 سراويلات مفرسخة تكس ما خلفه وما قدومه ومنهم من لاسراويلات له
 فيمنطه باد والناس يتمسحون بما امامه . ومنهم من له تبان . ومنهم من له
 اتب . ومنهم نور ومنهم بهميان . ومنهم برجل (السراويل الطاق) ومنهم
 باندرورد ، ومنهم بدقراة أو دفرور . ومنهم من يركب الحير والبغال ،
 وغيرهم على الخبل والخال ، والابل في ازدحام ، والناس في التظام ، فينبغي

(١) الارصوصة قلنسوة كالبطيخة

للسائر بينهم ان لا يفتر من الدعاء بقوله اللهم اجر، اللهم احفظ، اللهم
الطف، توكلت، على الله، استمنت بالله، اعوذ بالله، قاما براق النساء فهى
وان كانت تخفى جمال بعضهن الا انها تريح العين ايضا من قبح سائرهن.
غير ان تستر القبيحات اكثر. لان المليحة لا يهون عليها اذا خرجت من
قفصها ان تلير فى الاسواق من دون ان تمكن الناظرين من رؤية ملامحها.
لينظروا حسننها وجمالها ويكبروا لافترارها. فيقولوا ماشاء الله. تبارك
الله. جل الله. الله الله، حتى اذا رجعت الى منزلها اعتقدت ان جميع
اهل البلد قد شغفوا بها حبا: فباتت تنتظر منهم الهدايا والصلوات: والاشعار
والمواليات: فكما غنى مغن انصت الى غنائها وسمعت اسمها يتشبه
به: فاذا بكرت فى اليوم القابل الى الاسواق ورأت الناس مكبين على
اشغالهم تمجيت من بقائهم اصحاء قادرين على السمع والحركة:
فزادت لهم فى كشف مسافرهم. وقسامتها ومحاجرها. وفتنتهم باشارتها
وأيمانها. وراراتها وأيمانها. ورمزها ولزها. وهجلها وغمزها وغنجها
ودلالها. وتبها وعجبها. وزهوها وشكلها. وتدعها وتصغيرها.
ودعجتها ودغجتها. وتبغجها ودمعجتها وشزرها وخزرها وشنفها
وحدقلتها. وشفونها وأزلاقها. واستكفافها واستشفافها. واستيضاحها
واستشرافها. وخلاعتها وخيلاتها. وتمايلها وتهاديها. وتغدنها
وتماطفها. وتثنيها وتأودها وتدكلها ونحوها: وتذيلها وتميلها. وتفتلها
وتقتلها. وتذبلها وترفلها: وتبخترها وتخطلها: وتغختها وتدهكرها
وتبهكنها وتهذخرها: وتغلمها وتفككها: وميحها وحككها: وتدادها
وتغترفها. وتؤذنها وتفضفها: ودألها ووهازنها: والها وهوادنها:
وخيزلاها وخيزراها: وزأنيها وأوزاها: ومطيطاها وكردحها:
وهبيخاها وعجيساها. وهريذاها وحيداها: وهبصاها وجيضاها:

وفجلاها ودبلاها : وخبهاها ودفهاها : وعرةقلاها وهمقانا وعيملينا
 وقمطراها . وسبضراها ونبدحاها ورعها : وخذفتها رخررفتم . وخضررفتم
 وبادلتها : ريسراخها وببدلتها : ونحاحنها رحرقلتها : وشركاها .
 وهركاها : رراباتها ورقيهاها وهبلنها وكسملتها : رةبدلنها رخنكةها .
 وعرداها وهيتاتها . وخذعلتها ودرباتها رزيحلتها ووكركنها ووذودهم
 وذوذوتها وزوركتهم ررهوكتها ووركتها ومكككتها ووددنها : رركها
 وزهلقنها وبزفطتها وقرمطتها وحرقتتها وزهرمنها وحنلنها ودعمرنها
 ورهلقتمها وترهبقتمها رهمجمها وبهررسها وتمبررسها رررسها رررسها
 وتكدسها ورهوكها ونهالكها وتهكياها . ودركاها رزبررسها . وبهمها
 وانها . ورسمها وزوها . وزيفها وعوجلها . وحنكها وعشكها .
 وزيكاتها وروكتها ورفلاها رملداها . وزيفها وذالها رربساها
 وكثفانها . رمتهايساوترايبها : وهمذايبها وثرطلمها : ونمذلمها وتذزلمها
 وحنطلمها ولبطلمها : وبقرها وقمرها ومهرها معةلمة مدبرة : رزاد طلمها ايضا في
 الهدايا : قال وقد اطمعت في البرقع بيتين ما اظن احدا سبغني اليهما
 وهما :

لا يحسب الفر البراقع لاسا معا لمن عن التماذي في الهوى ،
 ان السفينه انما تجري اذا وضع اشراع لها على حكم الهوا
 فمارجاءا ان لا تترك سطوه على العرب وتجراً : حتى ان العربي لا يحل له ان
 يطر الى وجه تركي كما لا يحل له ان ينظر الى حرم غيره : وادا انفق في
 نوادر الدهر ان تركيا وعربيا تماشيا اخذ العربي بالسنة المفروضة وهي ان
 يتسنى عن يسار التركي تحتها خاشعا ذا كسا متحافرا متصانرا متضاثا لاقافا
 منقبضا متقبضا متدبسا متدبسا متحجعا متحجعا متعرجفا متعرجفا متكارلا متارحا
 متقرفعا متقرفعا مقرعنا منقعا منكنبا منقعا متعرجفا متعرجفا متعرجفا
 مقرنفا متعرجفا متعرجفا مرزوما مرزوما مقمنا مكبنا متحنبل متعاسا

ومثرة	ج مواراة مراكب تتخذ من الحرير والديباغ .
ورجاجة	مركب اصغر من الهودج :
وعريش	كالهودج
وعيط	مركب .
وحزق	مركب شبيه بالباصر .
وبلبلة	هودج للحرائر :
وحقل	هودج .
وتوأمة	من مراكب النساء ج توأمات :
وفودج	الهودج ومركب العروس .

ومن رحل وعجلة وعرش وشرجع ومزفة ومنصة وسرير ونعش
فوجدوها كلهم لا تصلح لهم :

ورأيت مرة تركيا يقود جوقه من العرب بخيط من الكاغد وهم كلهم
يقودون له . استغفر الله مرادى ان اقول يتقادون له : ولم ادر ما سبب
تكبر هؤلاء الترك هنا على العرب . مع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
عربيا . والقرآن انزل باللسان العربي . والائمة والخلفاء الراشدين والعلماء
كانوا كلهم عربا . غير اني اظن ان اكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقول شويله بويله . او بقالم قبالم . او

غطالقي قاب خي دها طغالقي باق بخ بلها
صفالقي باه خشت وكرد فصالقي هاب دركها
دخا زاوشت قلدي نك خدا شاوشت قردها
اشكروم كي والله قلاقلها بلايلها

لا والله . ما هذا كان لسان النبي ولا لسان الصحابة والتابعين والائمة
الراشدين رضي الله عنهم اجمعين الى يوم الدين امين وبعده امين .
فاما ماؤها ااحسن رأسه وانجمه . الا انه قدر الذنب تنجسه حيوانات

الارض باجمعها . وطيور السماء بجملتها . حتى ان سمك البحر اذا اصابته
هيمضة طفر الى رأس هذا الذنب فالقى فيه ما ائمله . فاما اكلمها فالقول
والعدس والخص والزنب والدوسر وانقر ينساء والحرفى والجلبان والباقل
والخنبل والدجر والطار والبلس والبقية والترمس والحرم والشبرم واللوبياء
وكل ما يحبطنى به البطن . وذلك ان اهلها لا يرون فى الخمائص حسناء .
حتى ان النساء فيما يلفنى يتخذن معجونا من الجمل وياكلنه فى كل غداة
لكى يسمن ويكون لهن عكن مطويات . واضر ما لاقيت فيها قيمر قيمار .
قدم اليها من بعض البلاد الحميرية وتعرف بجماعة من البصارى فيها .
فصار يدخل ديارهم ويسامرهم . فلما لم يجد عند احدهم كتابا اقام معه
بينهم مهام العالم فقال انه يعرف علم الفاعل والمنقول وحساب الجمل .
واتخذ له كتباً بمضها من غير ابتداء وبمضها بغير ختام وبمضها مخروم او
محمو . فكان اذا خاطبه احد فى شىء عمد الى بعض هذه الكتب ففتحه
ونظر فيه ثم يقول . نعم ان هذا الشىء هو من الاشياء التى تختلف فيها
العلماء . فان بعض مشايخنا فى الديار الحميرية يتجهجاه كذا . وبعضهم فى
الديار الشامية كذا . ولما يستتر رأيهم عليه فاذا استقر فلا بد من ان
يخبروني به . قال الفاريق وقد سمعت مرة من استغزاه باعث من الشغل
سأله عن الوقت . فقال له ساعة وخمس دقائق اما الساعة فقد اشتق
منها الساعى وعيسى . اما الساعى فلكون السعى كله يتوقف على الساعات
اذ لا يمكن لاحد ان يعمل عملاً خلوا من الوقت . فان جميع الافعال
والحركات محصورة فى الزمان كالمحصار — ثم ادار نظره ليشبه بشىء فرأى
كوذا لبعض الصبيان . فقال كالمحصار الماء فى هذا الكز . ثم رأى زنبيل
لصبي آخر فقال او كالمحصار غداء هذا الولد فى هذا الزنبيل . واما عيسى
فلكونه اشتمل على جميع المعارف والعلوم اشتمال الساعة على الدقائق .
ثم ان قولى خمس حقيقة معناه اربعة بعدها واحد او ثلاثة قبلها اثنان

ولك ان تمكس . واما قالوا خمس دقائق ولم يقولوا خمسة طلبا للتخفيف
والعجلة في الكلام . فان بطول الالفاظ يضيع الوقت . وقولي دقائق هو
جمع دقيقة وهو مشتق من الدقيق للطحين . اذ بينهما شبهة ومناسبة بجامع
النعومة . ثم ان هناك انه اذا كثرة آمل على الوقت وهي المساء والليل
والصبح والضحى والظهر والعصر والدهر والابد والحين والاولان والازمن .
اما الست الاولى ففيها فرق واما الاخيرة فلا . فاعترضه رجل من اولئك
الكبراء وقال قد رابى بالاستاذنا ما قلت . فان كلاما من جاريتي وستما لها
فرق . فضحك الشيخ من حماقته وقال له ان كلامي هذا فيا حواه الزمان
لا فيها حواه المكان . فمأله آخر قائلا ان جامع النعومة هذا الذي ذكرت
ان فيه الدفنى . فضحك ايضا وقال اعلم ان لفظ جامع تسمى عندها مناسبات
العلماء اسم فاعل اى الذى يتولى فعل شىء اى كان . لكنى طالما عزمت
على ان اناقشهم في هذه التسمية . لان من يموت او يسام مثلا لا يصح
ان يقال فيه انه فاعل الموت او النوم . فمدوا جامع على الماعدة المعلومة
عندها هو اسم لمن جمع شىء . حتى ان الكنيسة اسم من يطلق عليها لفظ
الجامع لا ياجمع الناس . فلما قال ذلك اكفهرت وجوه السامعين .
قال فسميت بعضهم بجامع قائل . ما اظن الشيخ مديح الاعتماد
ربن النصارى . فقد اصابنا اساقفتنا في حناهم الناس ان يتبحروا في
العلوم ولا سيما علم المنطق هذا الذى يذكره شيخنا

فقد قيل من تمنطق ترندق . ثم اندرف عنه الجميع ما مدين . وسأله
مرة فسبس عن اشتقاق الصلوة . فقال هى مشتقة من الاصل لان
المصلي يحرق الشيطان بدعائه . فقال له الانسيس اذا كان مأوى الشيطان
سقى من الوفاء سنين ولم يحترق فكيف تحرقه صلوة المصلي . فتناول بعض
الكتبة ايماس منه جواب ذلك فاذا به يعول قال احد علماء الرهبان
الاحتراق على نوعين احتراق حسي كمن يحترق بالنار . ومعنوي كمن

يحترق بحب العذرة ثم وقف وتاوه قائلاً . قد اخطأ سيدنا الراهب . لان العذراء يجب مدها . فقال الفسيس وقد حنق عليه كيف يجب مدها اذا لم تشاء . قال ويلى عليك انت الآخر لا تعرف المد والقصر في الكلام واطفال السارة في بلادنا يعرفون ذلك . قال بلى ان اقتصر الكلام مع من يخطى الرهبان مزية . ثم تولى من عنده مدهم أ .

قال الهارياق وقال لي مرة قد يظهر لي ان حق استعمال دعا اذا اريد به معنى العبادة ان تسمى بعلى . فيقال دعوت عليه كما قال . ليت عليه قال فليت له لا يارسى كوز فمل يوافق فعلا آخرني دعاء اريوافره في التسمية . ففنى بذلك ولم يفهمه . وشكا اليه مرة رجل من هاريفه اسهالا آله . ذل له ينالعه أو يسليه . احمد الله على ذلك ليتنى ذلك . قال كيف هو ان طال قتل راسه الى الجسم كله . فقال له انه منة من الله . لم تسمع كل سلموف يول يارب سهل . فقال التاجر انما اعنيت التسهيل بل الاسهال . فقال هـ ما يعنى واحد لان افعل وفعل كلاهما يأتان للتعبية . كما تقول انزلته وزلته . ولأن كلا من التسهيل واسهال فيه معنى السهولة . وكتب مرة الى بعض المضارين العظام . المعروض . بسندنا بهد . جميل اردافكم الشربة . رحل نعالكم الميفة الطيفة . الظريفة النفاضة الرصيفة الميفة المردوفة . المعروفة المحصوفة . قال فليت له ما أردت . بالارداف هنا . فقال هي في عرف المطران بمعنى الراحة . ثم لم يلبث ان بعث اليه ذلك المطران ببركة وكتاب اطرافه على علمه وفضائله جنانا ما كتب اليه .

قد تامل علي مكتوبكم الابني وانا خارج عن الكنيسته فما قرأته حتى دخلت الصومعة وارجلت فيها . فلما اتيت على اخرا علمت انك صاحب الفضول . مؤلف التصول . جامع بين الزروع والادول . طويل اللسان قصير اليدان . (عن المحرمات) واسع الجبين . عميق الدين . عريض الصدر . يحسوف الفكر . وكتب في آخره . اطمان الله بقالك . وقبالك .

وهناك وهناك . والسلام ختام . والختام سلام والبركة الرسولية تشملكم
أولاً وثانياً الى عاشراً . فجعل ييدى هذا الكتاب لجميع معارفه وخصوصاً
لمن كانوا خرجوا من عنده مقضبين لتقريره على لفظة الجامع . فلما وجدوها
فى كلام المطران زال عنهم الاشكال والريب فى صحة استعمالها .
وزاد الرجل عندهم وجاهة وجلالا .

فاما سؤالك عن كرم اهل هذه البلدة فانهم كانوا فى ظهور آبائهم على
غاية من السماحة والجلود . الا انهم لما برزوا الى عالم التجارة وخالطوا
اصحاب هذى البرانيط اخذوا عنهم الحرص والبخل والثامة والرتع .
بل برزوا على مشابجهم . وانهم اذا ضمهم مجلس لم يكن منهم الا الحديث
عن البيع والشراء . فيقول احدهم قد جاءنى اليوم جندى من الترك فى
الصباح ليشتري شيئاً فتطيرت من صباحه واستفتاحه . اذ لا يخفى عنكم ان
الجندى يستدين ولا يهضي دينه واذا تكرم بنقد الثمن فما يعطى التاجر الا
نصفه فقلت له ما عندى مطلوبك يا فندى . وانما اردت تفخيمه بهذا
اللقب ايتادب معى . فما كان منه الا ان دخل الحانوت وبعثر البضاعة
كلها وأخذ ما اراد منها وما لم يرد . ثم ولى وهو يسبنى . فيقول آخر وانا
ايضاً جرنى لى مع سيدة من نساء الترك واقعة . وذلك انها بكرت على
اليوم وهى تنوء بحليها . واقبلت باسمه الى وقالت هل عندك ياسيدى
حرير مزركش . قلت وقد استبشرت عندى . فقالت ارني المناع فاريتها
اياه فتداركتنى بالخف وقالت امثل يرى هذا . ارني غير ذلك . فاريتها
ما أعجبها فاخذته وقالت ابعت معى من يقبض الثمن . فبعثت غلامى
فتبعها حتى دخلت دارا كبيرة وأمرت حاجبها بضرب الغلام وإيلامه .
الا ان الحاجب لما كان من الترك ورأى الغلام امرد لم يطاوعه قلبه على
ضربه لكن انفذ فيه أمر سيدته بما أوصل اليه من الاذى والالام . وهكذا
ينفضى نهائهم بالمسكروه وليلهم بذكره . واظن ان التاجر يطرب بمجرد

ذكر البيع والشراء وان لم يكن فيه ربح .

فاما ما جرى لي بعد وصولي فاني نزلت عند خرجي من اصحاب صاحبي الاول . فتبوأت حجرة بالقرب من حجرته . فكنت اسمعه كل ليلة يضرب امراته بالآلة فتبدي الانين والحنين . والرنين والحنين . فكان يهيجني فعمله الى البطش به . وكثيرا ما فكرت في ان اقوم من فراشي لكي خشيت ان يصيبني ما اصاب ذاك الاعجمي المتططب الذي جاور قوما من القبط . وانه سمع ذات ليلة صراخ امرأة من جاراته فظن ان لدغتها عهر و ذلك لكثرة وجود المقارب في بيوت مصر . فقام الى قنينة دواء تأبطها وا قبل يجري . فلما فتح الباب وجد رجلا على امرأة يمالجها بأصبعه كما هي عادة القوم . فلما رأى الطبيب ذلك دهس فوقعت القنينة من يده وانكسرت . وكان هذا الخرجي ابيض اللون ازرق العينين مع صغر واستدارة فيهما . دقيق ارنبة الاقف مع عوج في قصبته . غليظ الشفتين . وانما تكلفت لوصفه لك ليمى نموذجاً عندك تميز عليه جميع من تراه من الخرجيين وغيرهم . وكان قد اتخذ فوق سطح منزله هرما صغيرا مرصوفا من قناني الخمر الفارغة . فكان سطحه اعلى سده لوح الجيران . قال ثم عن له يوما ان يكلفني اشياء خطبة في مدح الخرج لكي اتلواها في مخطب صغير كان قد استأجره . فلما فرغت منها عرضتها عليه فذهب بها الى قيعر قيعار . فقال له ما مرادك ان تصنع بهذه الاحجية الخرجية قال يتلوا منشئها على الناس فما رأيك فيها . قال هي حسنة الا ان عيبها هو ان لا يفهمها احد الا انا وهو . ونحن قد قرأناها فلا موجب لاعادتها فعدل عن ذلك .

قال واتفق لي وانا مقيم عنده اني خرجت في عشية من عشايا الصيف بالهجة وحدي ويبدى نسخة الدفتر . ولما كان رأسي قد حفل بالافكار فيما انا عليه من فرقة الاهل والاحباب وذكر الوطن . والتغرب عنه لغير

سبب من اسباب المعاش سوى الخصام سوقى وخرجى على قال وقيل
أوغلت فى المشى ف تبييت الى ظاهر المدينة وكان ياتمنى رجل قد رأى
نسخة الدفتر فعرفها ف ضمير ليميننى بداهية . فاقبل الى يكلمنى ثم عطف
ب يمنة ويسرة وهو يعالنى بالكلام حتى انتهيا الى مكان خال . فتركنى
عذك وقال لى ان على ان اغضى هنا مصلحة . فقلت الرجوع الى مفري
واذا بسرب عظيم من الكلاب جرت وهى تبححنى ودنت منى . فهولت
عليها بالكتاب فهجعت على هجمة السوق على الخرجى . ثم تحاصوا
جسمى زليانى والكتب فبعضهم يعض . و بهضم ادمى . و بعضهم جرح
بعضهم تهدد فى المرة الثانية . فلما كنت اتمس من بين ايدهم الاوثى
رجلانى ممزق على ممزق . وقد مزق الدفتر ايضا أوراقه وجارده . فلما
رجعت الى منزلى وراى الخرجى على هذه الحالة لم يكثر بسأى أو انه
م يرد من فرط اشتغاله بالخروج ، وانما علم انى رجعت خلوا من الدفتر
فاعتقد ان اعطيته لاحد ، ففرح بذلك جدا ورغب فى ان يعالنى عنده
فى مصلحة خرجيه . لكن رأى من الواجب ان يشاور صاحبه فمن ثم
كتب اليه فى شأى : فبى ذاك وقال لابد من سفيري الى الجزيرة . لان
لنية استمرت على هذا من قبل . وما حسن تغيير النيات . فعزم مضينى
على اجراء ذاك وما . منتظر السفينة :



الفصل الثالث

في انقلاع الفاريق من الاسكندرية

من بحس صاحبنا انه بعد سفره الى تلك الجزيرة لم تكن خاضعة لبحار
قد عرفت عند الافريج . فكان سفر البحر موكولا الى الریح ان شاءت
هبت وان شاءت لم تهب . كما قال الصاحب بن عباد :

واما هي ریح لست تضبطها اذ لست انت ، لیمن بن داود

من ثم ركب الفاريق في سفينة ريحية من هذا النوع وكان في مدة
السفر يتعلم بعض الفاظ من لغة اصحاب السفينة مما يختص بالبحرية والسلام
من جملة ذلك دعاء يقولونه عند شرب الخمر على المائدة وهو قولهم طابت
صحتك . الا ان لفظة الصحة عندهم يقرب من لهو جهنم فكان يقول
طابت جهنمك . فكأوا يضحكون منه وكان هو يسبهم بقابه ويقول .
قاتل الله هؤلاء العالوج انهم يغمون في بلادنا سنين ولا يحسون النطق
بلغتنا . فيلفظون السين اذا سبهم حركة زاياء وحروف الخلق وغيرها بحالة
ونحن لا نضحك منهم .

وقد سمعت ان بعض قسيسيهم الذين لبنوا في بلادنا سنين رام مرة
ان يحطب في القوم فلما صعد المنبر ارتج عاياه ساعة الى ان قال . « ايها
السكران كد فات الوكت الان ولكني اهتب فيكم نهار الاهد الكابل
ان شاء الله » . ثم سار الى بعض معارفه من اهل الدراية والعلم والنس
منه ان يكتب له خطبة يحفظها عن ظهر قلبه أو يلوها تلاوة . وحشد

الناس اليه فلما غصت بهم الكنيسة صعد المنبر فقال . « بسم الله الرحمن »
ثم كانه اتبه من غفلته وعرف ان ذلك لا يرضى النصارى وان الكاتب
انما كتب ذلك على طريقته . فاستدرك كلامه وقال . « لا لا ما بديش
ا كول مثلما بيكول الاسلام بسم الله الرحمن الرحيم بل يكاتكول النصارى
بسم الاب والابن والروح القدس : يا اولادى المباركين الهادرين هنا
لعماء هتتى . وكبول نسيهتقى وموهزتى : ان كنتم هدرتم وكلبكم مشكول
بلزات الأثم : اهروني هتى اكسر من هتابكم فلا يتدجر احد من توله ولا
يتالم : والا فهذى فرصة سنهت لى اليوم : اذكر فيها النساء والرجال
تزكير من لا يكشئ اللوم : رانزرم يوم الهسار والمساب يوم لا ينفا مال ولا
اسباب : ولا سهال ولا جواب : اياهموا رهمكم الله ان الدنيا زاياله :
ومتامها باتله : وهالاتها هاياله : ومهاليا سافله : فكونوا منها على هزر .
ولا يداكم ما اجب منها وما سر : اسرفوا انها نزرکم : ولا تألكوا بها
وترکم . افهسوا فيها كلبكم كبل ان تسندوا رؤسكم الى المهدة . ووازبوا
الى السلوات فى الديك والشدة : كدموا للكتايس نزرکم ولو كاياله :
واسمهم نواب الكديسين هال الفتيله . لنسكروا من المهن والمساب وتنفسوا من
الكرنب والنوايب (١) اهزموا كسييسكم واسا كفتكم ووكروهموا كفتدوا
هم . واركبوهم ولا هزوهم رشدوا بسايهم وركسهم ودابهم : يا أيها النصارى
ان ديننا هو الهك : وواده هو الاسدك . وكيره هو الاكدك : رسوكه
هو الاتنك : لا تكالتوا هؤلاء الكرجيين . الرين اندسوا فيكم مزهين :
يتزبيرن فى ادلالكم عن الزرات المستكيم : بما يزهرن لكم من الوراوالكك
الهليم الا انه هالرياب الكاتفة المتردنة بلباس الحملان . الجايلون فى كل كتر
وسك ينسبون الينا الريك والبهتان . وهم ازيك من سالك تريكا . واكذب من

كش سديكا . وكان رفيكا . الى ان قال ايها الكاركون في بهار الهتيا .
 تجنبوا ما يفدى بكم اليها فان أكتبها اليكم بلايا ورزايا . الا فاسرموا ازباها
 سرما . وكاوموا اركباها أزما . واستاسلوا جزرها رها . واكلاء وامكوياتها
 تنالوا ركزا . الازباب الازباب . فاكتاوا الازباب . حتى تهلسوا في يوم
 الحساب . من الكساس والازباب : « (اى أقطعوا الاسباب حتى
 تخلصوا في يوم الحساب من القصاص والعذاب) ومع ذلك فلم يصفعه
 احد من السامعين بل استمر الى آخر الخطبة على هذا النمط : الا ان امرأة
 لبيبة كانت قد تزوجت مذعهد قريب لا سمعت الفقرة الاخيرة غضبت
 وقالت . الا لا بارك الله في يوم رأينا فيه وجوه هؤلاء المعجم ففسد احتكروا
 خيرتنا وارزاقنا : وافسدوا بلادنا وسابقوا ناسنا الى تحصيل ازانهم من
 ارضنا وعلموا من عرفهم منا البخل والحرص والطيش والسفاهة : وما
 لعمرى حصلوا على هذا الغنى الجزيل الا لجشعهم وشحهم : فقد سمعنا
 ان الرجل منهم اذا جلس على المائدة مع أولاده ياكل اللحم ويرمي بالماظام
 اليهم ليتمششوها . ولكونهم حراميين غباين في البيع غشاشين : وقد
 بلغنى ان اخوانهم في بلادهم انجس منهم وافسق : وهذا التحس الان
 يفري بمولتنا بارتكاب الفاحشة لتخلوله الساحة فيفعل ما يشاء : فاني
 اعلم عين اليقين ان هؤلاء المنابريين انما يقولون باقواهم ما ليس في قلوبهم
 وانهم ليعلمون الناس الزهد في الدنيا والجب وهم احرص الثقلين عليها
 واقرم المخلق الى البعال . فا جزاؤه الآن الا قطع لسانه حتى يعرف
 الم القطع : لعمرى ان الانسان لايهون عليه احيا ان يقطع لسانه لكونها
 منه : ولذلك كانت اخواتنا نساء الافرنج ير بين اظفارهن ويفتخرن بها
 مع انها لا تلبث ان تنبت . فكيف يجوز قطع ما يعمر به الكون : (طيب
 الله انفاسك يا حديثه عهد بالزواج . وعتيقة نقد للعلاج ليت النساء
 كلهن مثلك وليتنى الهم شفيتك) ثم لما خرج القسيس من الكنيسة اذا

بالتناس جميعا امرءوا لتفصيل يده وذيله وشكروه على ما افادهم من المعاني
البنية بتطوع النظر عن غيرها لما تعررن عمولهم من ان من خراسدين
المنماري ان تمكن كتيبه ركيكة فاسدة ما امكن لان قوة الدبن تفتضيه
البحر بل المداية كما افاده المتران انداسيوس التتويجي الحايي البشكاي
الارقي المشواني الانتافي النشافي المنسهي اللطاعي الطاعى المصنوى
الوتيلي الارشي التتوي التتوي التتوي الامعى فى بعض زلثاته المسى
(بالحكاكة فى الركاكه)

قال الناريق واذا قد ابتلاني الله بهترة هؤلاء اللثام فلا بد لي من
مخاضهم ومخاضهم الى ان يمن على بالنجاة منهم . قلت وحيث قد مر ما قاله
الناريق فى سفرته الاولى فلا موجب الآن لاعادة ذكر شكواه هنا من
الم البحر واء . نذول انه فى خلال ما فاته ومفاساته حلف لا يركب بعدها
فى شىء من مراكب البحر من

الجفاء السفينة الخالية ذكره صاحب القاموس فى المهمور

والمزباب السفينة العظيمة أو الطويلة

والزبب ضرب من السفن

والبارجة السفينة الكبيرة للقتال

والخليج سفينة صغيرة دون العدوى

والطراد السفينة الصغيرة السريعة

والمعبدة السفينة المقيرة :

والقائد السفينة المشحونة كالآمد :

والدسراء السفينة تدسر الماء بصدرها مع دسر :

والزرزور المركب الضيق :

والزنبري الضخم من السفن :

والقرقور السفينة الطويلة أو العظيمة :

والكار	سفن منحدره فيها طعام :
والمرهور	ضرب من السنن .
والعندس	السفينة العظيمة :
والبوصى	ضرب من السفن
والصناعة	السفينة الكبيرة .
والنهبوغ	السفينة الطويلة السريعة الجرى البحرية ويغال لها
	الدونيغ معرب :
وذات الرفيف	سفن كان يمر عليها وهي ان تضد سفينتان أو ثلاث
	للمراكب
والشندف	مركب م بالحجاز
والحراقة	ج حراقات سفن فيها مرامي نيران
والزورق	السفينة الصغيرة
والبراكية	ضرب من السفن
والعدولية	سفن منسوبة الى عدولىة بأبحرين أو —
والجرم	زورق يبنى
والخن	السفينة الفارغة
والشونة	المركب المعد للجهاد فى البحر
والتلوى	ضرب من السفن صغير ذكره فى ت ل و
والجفاية	السفينة الحالية ذكر فى ج ف ي
والخلمية	السفينة العظيمة أو التى تسير من غير ان يسيرها ملاح
	أو التى يتبعها زورق صغير
والشذا	ضرب من السفن
الى الركوة	الزورق الصغير
والقارب	السفينة الصغيرة

والرمث خشب يضم بعضه الى بعض ويركب في البحر
والطوف قرب يفتح فيها ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح
يركب عليها في الماء ويحمل عليها
والعامة عيدان مشدودة تركب في البحر ويعبر عليها في النهر
ويقال لها ايضا العامة

وانه بعد وصوله الى مرسى الجزيرة اعد له فيه مكان حسن لتطهير
انفاسه به مدة اربعين يوما اذ قد جرت المادة عنهم بان من قدم اليهم
من البلاد المشرقية وقد استنشق هواها فلا بد وان ينثره في المرسى قبل
دخوله البلد فاقام فيها يا كل ويشرب مع اثنين من اعيان الانكليز ممن
ركبوا في السفينة ؟ وطاب العيش لهم معها لانهما كانا قد ساحا في بلدان
كثيرة من المشرق واخذنا عن اهلها الكرم ؟ ثم بعد انقضاء المدة جاء
الخرجى واخذه الى منزله بالمدينة ؟ وكان المذكور قد فمذزوجته من يوم
نوى تسفير الفاريق اليه ! فلزم الحساد والتعشف ؟ ولزمته الكتابة
والتاسف ؟ وان لا يأكل غير لحم الخنزير اعلى الله شأنك عن ذكره ؟ وانما
امر طباخه بان يتفنن فيه ؟ فيوما كان يطبخ رأسه ؟ ويوما رجليه ؟
ويوما كبده . ويوما طعاله . حتى يأتى على جميع أرايه ثم يستأنف من
الرأس : وانت خير بان نصارى الشام بما كون المسلمين في كل شى وميا
خلا الامور الدينية . فمن ثم كان لحم الخنزير عندهم منكرا : فلما جلس
الفاريق على المائدة وجاء الطباخ يارب من هذا الحيوان الكريه ظن ان
الخرجى يمازحه بآرائه اياه شيئا لم يعرفه ، فامتنع ان يأكل منه طمعا في ان
ينال من غيره ، واذا بالخرجى قضى فرض الغداء وشرع حالا في الصلوات
والشكر للبارى تعالى على ما رزقه فقال الفاريق في نفسه قد اخطأ والله
صاحبى فانه وضع الشكر في غير موضعه اذ التناه على الخالق سبحانه
لاجل فاحشة او اكل سحت لا يجوز وفي اليوم الثانى جاء الطباخ بمضو

آخر فالتقمه وشكر عليه ايضا فقال الفاريق للطباخ لم يشكر الله صاحبا على اكل الخبز قال ولم لا وقد اوجب على نفسه ان يشكر له على كل حال وعلى كل شيء كما ورد في بعض كتب الدين حتى انه كان يتنضي هذا الفرض بعد ان يبديت مع زوجته قال وهل شكر له على موتها قال نعم فانه يعتقد انها الان في حضن ابراهيم قال اما انا فلو كان لى امرأة لما أردت ان تكون فى حضن احد ثم ان دولة الخنزير اعترت وعظمت ومصارين الفاريق ضويت وذوت فكان يقضى النهار كله على الخبز والخبز

ثم بلغه ان خبز المدينة يخبز بالارجل ولكن بارجل الرجال لا النساء فجعل يذلل منه ما أمكن حتى اضر به الهزال وصدئت اضراسه من قلة الاستعمال فوقع منها اثنان من كل جانب واحد وهذا أول انصاف فعله الجوع على وجه الارض اذ لو كانا وقعا من جانب واحد لثقل احد احد الجانبين وخف الاخر فلم تحصل الموازنة فى حركات الجسم

اما المدينة فان القادم اليها من بلاد الشرق يستحسنها ويستعظمها ؛ والعامد اليها من بلاد الافرىج يحتفروها ويسبغونها ؛ واعظم ما حمل الفاريق فيها على العجب صنفان صنف الفيسيين وصنف النساء ؛

اما الفيسيون فلكثرتهم فانك ترى الاسواق والمنازله عاصه بهم ؛ ولهم على رؤسهم قبعات مثلثة الزوايا لاتشبه قبعات السوقين فى الشام ؛ وسراويلهم اشبه بالتباين فانها الى ركبهم فقط ؛ وسيفانهم مغطاة بجوارب سود ؛ والظاهر انها عظيمة لان جميع الفيسيين فى هذه الجزيرة ملفون سمان وقد جرت المادة عندهم ايضا بان الفيسيين واهل الفضل والكمال من غيرهم يحلقون شواربهم ولحاهم ؛ وانما يجب على الفيسيين خاصة ان يلبسوا سراويلات قصيرة مزينة حتى يمكن للتاظر ان يتبين ما وراءها ؛ فاما النساء فلاختلاف زينهن عن سائر نساء البلاد المشرقية والافريقية ؟

ولان كثيرا منهم لمن شوارب ولحي صغيرة ولا يحلمنها ولا ينتفنها ،
وقد سمعت ان كثيرا من الافرنج يحبون النساء المتذكرات . فلعل
هذا اخبر الغريب بلغ ايضا مسامعن ، كيف لا واهواء الرجال لا تخفى
عن النساء ، والحسن فيهن قليل جدا ، وانقيادهن الى الفسيسين غريب .
فان المرأة منهم تؤثر قسيسها على زوجها واولادها واعمالها جميعاً
ولا يمكن ان تتخذ طعاما فاخرا من دون ان تهديه باكورتها حتى اذا
اكل منها اكلت هي وقد بلغني ان امرأة سونوية متزوجة اى من حزب
شيخ اسوق رأت رجلا جميلا من الحرجيين فاستخمرت به فيهم وغالت
لو دخل هذا الرجل كائننا لزادت به هجة وروفا فاسلته اليه
عجرا زعره اليها فلبى العتي دعوتها لان عداوة السرقين بالخارجيين
انما هي مصورة على الضوامة والتجنيين والخزفيين لا مبلغ لها عن الرجال
والنساء ففاضت مني الحديث الى ان دالت له ان كنت نجمع ضرب هذا
فاني امكنك من نسبي ولا أمنع منك شيئا فدل لها الشاب

اما المذهب الى الكنيسة داهور ما يكون تلى لسكوها بريية
من منزلي

واما الاعتماد فكيفني اني نيتي فان آنف من هذا الاعتراب ادى
كيفكم به الوسيسون من اهل كنيسةكم

وليس من طبعي الكذب والتدليس حتى اعترف للسيدس بالصعائر
واكتم عنه الكبائر كما يفعله كثير من السوقيين أو أدكر له ما لم افعله
واخفى عنه ما فعلته فتأوهت المرأة عند ذلك واطرته وهي تفكر
وتحرك رأسها

ثم قالت لا بأس اذا لي كنيتنا منك الطاهر كما افادنيه سيدي ثم انما
ونعاشقا وجعل يتردد عليها وعلى الكنيسة معاً

حتى ان الزواني في هذه الجزيرة متهوسات في الدين فانك تجد

في بيت كل واحدة منهن عدة تماثيل وصور لمن يعبدونه من الصديسين والعديسات . فاذا دخل الى احدها من فاسق ليفجر بها قلبت تلك التماثيل فادارت وجوها ان الحائط لكيلا تنظر ما تفعله فاستهد عليها بالفتجور في يوم الشور .

قال ومن خصائص اهل هذه الجزيرة اهم يبغضون الغريب ويحبون ما له وهو غريب . فان مال الانسان عبارة عن حياته ودينه وذاته . حتى ان الانبياء اذا سألوا عن كمية ما يملكه الانسان من المال قالوا كم قيمة هذا الربل . فيه مال قيمته مثلاً الف ذهب . فكيف يتأتى لاحد ان يبغض آخر ويحب حياته . واهم يتجاذبون كل غريب قدم اليهم . فيأخذ واحد منهم بيده اليمنى ليريه النساء . ويسمكه الآخر بالآخرى ليريه الكنائس والدولة لمن غلب .

ومن خصائصهم ايضاً اهم يتكلمون بلغة قدرة طفسة منتنة بحيث ان المتكلم يشم منه رائحة البخر اول ما يفوه . والرجال والنساء في ذلك سواء . واذا استنكحت امرأة جميلة وهي ساكتة نشيت منها عرفاً ذكياً فاذا استنططتها استعالت الى بخر .

(ومنها) انه اذا اصبحت احدى النساء بداء في احد اعضائها ذهبت الى الصائغ وامرته بانه يصوغ لها مثال ذلك العضو من فضة او ذهب لتهديه للكنيسة . ومن كانت معسرة صاغته من الشمع ونحوه .

ومن ذلك ان حلق اللحي والشوارب مندوب وحلق ما سواهما محرم . حتى ان الفسيسين يلحون على النساء في السؤال كثيراً حين يعترفن لهم عن قضيتي التنف والحلق ويحزوهن من ارتكاب ذلك .

ومنها ان لاهل الكنائس عادة ان يخرجوا في ايام معلومة بما في كنائسهم من الدمى والتماثيل على ثعلها وضخمها . يحملونها على اكتاف المتحمسين في الدين فيجرون بها في الشوارع وهم ضاجون . واغرب من

ذلك انهم يوقدون امامها الشموع حين يود كل انسان ان يأوى الى كهف
فى بطن الارض من شدة توهج الشمس . وغير ذلك كثير مما حمل الفاريق
على العجب . لان اهل بلاده مع كونهم سوقيين ولهم حرص زائد على
عداوة الخرجيين لانفعلون ذلك . وح ثبت عنده ان الخرجيين هم على
الهدى الا فى اكل الخنزير . وان السوقيين على ضلال ماعدا استحسان
نسائهم لغيسانى الخرجيين . الا انه ليس من طريقة فى الدنيا الا وفيها
ما يحمد وما يذم . وان الانسان تراه فى بعض الامور عاقلاً رشيداً وفى
غيرها جاهلاً غوياً . فسبحان المتصف وحده بالكمال . وانما ينبغى
للقائد المنصف ان ينظر الى الجانب الانفع وبما يله بغيره فان رأى نفعه
اكثر من ضرره حكم له بالفضل . لا ان يبنى نفسه بان يجد شيئاً من
الاشياء كاملاً قال الشاعر

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً من تعد معاييه
هذا وكما ان الجوع اسقط من فم صاحبنا الضرس المستجيع خرسين .
كذلك اسقطت مشاهدة تلك الامور من رأسه اعتبار السوفيين وبني
عمهم من كلا جانبي الدين والرتاد . فظهر له ان افعالهم اخرى ان تكون
افعال المجانين . فلماذا ضاق صدره فى بلادهم وعيل صبره . مع احتياجه
الى الطعام الطيب الذي كان الفه فى الشام والى لباس يليق به . فان
الخرجى افاده ان المقدين على السلع الخرجية لا ينبغى لهم التحفل
بالملبوس . اذ المقصود من الخرج انما هو حمله فقط . مع ان السوقيين
يحبسون ان الخرجيين يستجلبون اليهم المقدين بالمسال والهدايا
فلماذا كان الفاريق دائماً الحزن والاسف . فلم يمكنه وقتئذ ان يتعلم
إنسان الخرجيين وانما تعلم منهم بعض الفاظ تخص ترويح السامعة
ومط .

هذا وقد كان عند الخرجى المذكور خريجى لثيم . شكس الاخلاق

اصفر الوجه . ازرق العينين دقيق ارنبة الانف كبير الاسنان . رأى
الفاريق يوما ينظر من طاقة له الى سطوح الجيران فنزعه الشيطان ان يسمر
الطاقة . فلما رآها الفاريق مسمرة تغال بانها خاتمة النحس . وهكذا كان .
فانه مرض بعدها بايام قليلة . فاشار الطبيب على الخروجى بان يسفره الى
مصر . فسافر من ثم ومعه كتاب توصية الى خروجى آخر .

الفصل الرابع

في منصة دونه غصة

ما زال "بحر بحرا . دابرت الريح ريحا . ما انفك طالع الفاريق هابطا .
ما فتىء لسانه فارطا . فلما بلغ الى الاسكندرية وجد في محل الخرجي
القديم خرجيا آخر قد دخل في مضايق ذميمة لم رض الشيخ خليل بن
ايبك الصفدى ان يدخل فيها . فتخلف عن تقدمه وخبئت ريحه بين
اقرانه . والحامل له على ذلك انه رأى هواء البلاد شديد الحرارة عليه .
فارتأى ان يتخذ له هرمين يتسلفهما حين يحتر . كما ان سلامه اخذ هرما
من الدنان . فافرح عليهما من اللجين ما يسيل به واد . فشاع امرافه
هنالك . ومله اصحابه . ثم سافر الفاريق من الاسكندرية الى مصر وادى
كتاب التوصية للخرجي . فانزله في دار رفيق له وكانت محاذية لدار رجل
من الشاميين كان يجتمع عنده كل ليلة جماعة من المغنين والمازفين بالات
الطرب . فكان الفاريق اسمع الغناء من حجرتة . فهاج به الوجد والغرام .
وتذكر أوقاته بالشام . وحن وصبا الى مجالس الأئس . وخيل له انه انتقل
من عالم الجن الى عالم الانس . واسفرت له الدنيا عن لذات مبهكرة .
وشهوات مدخرة . وافراح صافية . واماني وافية . فسمى ما كبده في
البحر من الدوار والفتاق . وفي الجزيرة من الجوع ونسيم الطاق . وما
اصابه من بحج التفديد . وترح التمليد . ورأى لدولة مصر بهجة ورونقا .
وفي عيشها رغدا مقدقا . فكان الناس كلهم معرسون . أو مفاخرون
ومنافسون . ولنسائها كياسة وظرفا وحملا . ولطفها ولينا ودلالا . وتيها
واختياللا . مخطرون في الطرق بالحير كالمنشآت . فيجعلن مجموع الهم على

القلب فى شتات . وما انا باول واصف لمن انهن خلايات للعقول . غلابات
للفحول . فقد وصفهن بذلك كل ناظم ونائر . وذكر محالهن كل من حاولهن
من الاكابر والا صاغر .

وفى المثل السائر : تراب مصر من ذهب . وغيدها نعم اللعب . وانها
لمن غلب . واعجب ما يرى من احوالهن . حين يخرجن من حجالهن .
ويتفلتن من عكالهن . ما اذا ركن الحمر القاهرة العالمة ، واسنوين فوقها
على منصة مضمخة بالغالبة ، فترى عرفهن قد ملأ الخياشيم ، وحوار عينهن
بذكر الناس بحور جنات النديم . فكل من ينظر حورية منهن يكبر عند
رؤيتها . ويستصغر الدنيا بحال طلعتها . ومنهم من يهمل لا لتفتتها .
ويسبح عند حركتها . ومنهم من يتمنى ان يكون ممسكا بركابها . أو
ماسا لجلابها . أو حاملا لانعالمها . أو رافعا لاذيالهها . أو بطانة لخبرتها .
أو بوابا لخبرتها . أو رسولا بينها وبين عاشقها . أو تبعها لتبعها زمرافقها .
أو مشاطا يسوى فرقها . أو خياط يرقع خرقتها . أو صائغا يصوغ لها
سوارا . أو حدادا يصنع لها سمارا . أو بلاليا يدلك بدنها : أو هنا
آخر يدانى هنها . وهى من فوق تلك المنصة تميز وتجمع . وتشفن
وتتطلع . فترمى هذا بنظرة فتدنيه . وذلك بعزيمة فتصبيه وتساميه . فتعطل
فتعطل على التجار اشغالهم . وتبلسل من ذوى البطالة بالهم . حتى كان
الحمار من تحتها يعرف قدر من حمل . ويدرى ما غرض من كبر لرؤيتها
يهمل . فهو لا ينهق ولا يسمع له شخير ولا يكرف كسائر الخمر . بل
يسمد على الخيل كبرا . ويمشى الخيلاء زهوا وفخرا . اما قائد الحمار فانه
رى ان قائد الجيش دونه فى المنزلة . وان الناس لفى اهتمام اليه وهو الذى
لا بد له من عائد وصلة . كيف لا وهو الموصوف بالسياسة . والقيادة
والفراسة . وهنا قضية نسيت ان اذكرها . فلا بد من ان اقيدها فى
هذا الموضع واحررها . وهى ان القلوب برؤية المتبرعات . أو لعل منها برؤية

المسفرات . وذلك ان العين اذا رأت وجهها جميلا وان يكن رائعا شائعا غاية ما يمكن . فان الخيلة تستفر عليه وتسكن . فما عند تبصر الوجه المحبوب . مع اعتقاد القلب بان صاحبه من الجنس المحبوب . ولا سيما اذا قام الدليل عليه بحلاوة العينين . وبالهدب وبزجج الحاجبين . فان الخيلة تطير بالافكار عليه . ولا تجد لها من امد تنتهي اليه . فيقول الخاطر

(انتهى السجع لانه ملاء الصفحة) لعل هذا الوجه

أثمباني الاثمبان والاثمباني الوجه الفخم في حسن وبياض .

أوذوا نسبات يقال في وجهه انسابات اى طول وامتداد .

أوهو مصفح المصفح من الوجوه السهل الحسن .

أو مثمعد المثمعد من الوجوه الظاهر البشرة الحسن السحنة .

أو مدر يقال مدر وجهه تدنيرا تلالا .

أو ملوز الملوز من الوجوه الحسن المليح .

أو مخروط المخروط من الوجوه ما فيه طول .

أو ساجع الساجع الوجه الممتدل الحسن الخلفة .

أو عنمي الوجه الحسن الاحمر .

أو فدغم القدغم المثلج الحسن

أو ذو كلثمة الكلثمة اجتماع لحم الوجه بلا جهومة .

أو مسنون يقال رجل مسنون الوجه ملمسه حسنه سهله .

ولعله جامع لجميع سمات الوسامة فاشتمل على خدين اسيلين . اسجحين

أو مكملين ، وفي كل خد اذا ضحكت غزمة أو هزمة أو شجرة أو عكوة

أو غرمة أو فحصة أو فيها

علطة العلطة والاعطاة سواد تحطه المرأة في وجهها زينة .

أو في كل منها حال عم حسنه . وعزفتنه .

أو فيها أو في احدهما خداد (ميسم في الخد) أو ترخ (الشرط اللين) .

او وحص أو عد أو ظبظاب . الوحص بئرة تخرج في وجه الجارية
المليحة والظبظاب بئر في وجوه الملاح ومثله العد .

واشتمل أيضا على ثغر مصب . دي شنب ورتل ووحبب . ثغر مصب
مستوى النبتة والشنب ماء ورقة وبرد وعذوبة في
الاسنان أو نقط يياض فيها أو حدة الانياب كالغرب
تراها كالنشار والرتل يياض الاسنان وكثرة ماؤها والحبب
تنضد الاسنان وما يجري عليها من الماء كقطع
القوارير .

أو على تقليج في ثنايا من الدر . ذات اشتر ووشر . اشتر الاسنان واشرها
التحزير الذي يكون فيها خلقة أو مستملا يقال اشترت
المرأة اسنانها واشرتها والوشر تحديد المرأة اسنانها
وترقيقها .

او ان لها عترة . نهالت في حبها عترة . العترة اشتر الاسنان ودقة في غروبه
ونفاء وما يجرى عليه — والريقة العذبة وهي ايضا
نسل الرجل ورهطه وعشيرته الاذنون ممن مضى وغير .
أو ان بذقة نونة تعوذ بسورة ن . ان شفتها ريا او حواء أو نكمة .
أو ان فيها لعسا أو ذببا . أو يتصبب منها العسل تصببا .
او ان فيها زرملة . شفى من الواله . الزرملة النقرة في ظاهر الشفة العليا
والنكمة من الشفاء الشديدة الحجرة .

أو ان في طرمتها طرمأ . الطرمة النبوة وسط الشفة العليا والطرم الشهد
والزبد والعسل .

أو ان لها ترفه . اشهى واعز من الترفه . الترفه هنة ناتئة وسط
الشفة العليا خلقة وهي ايضا النعمة والطعام الطيب والشيء
الطريف تخص به صاحبك .

او ان لها عرعة . على مثلها تهون العرعة . العرعة ما بين المنخرين .

او خورمة . تطيب بها النفس عن الخرمة . الخورمة مقدم الانف أو ما بين المنخرين والخرمة واحدة الخرم وهو نبت كاللوييا ينفسجى اللون شمه والنظر اليه م ح جداً ومن امسكه معه احبه كل ناظر اليه ويتخذ من زهره دهن .
•
ينفع لما ذكر .

او ثرة . عليها تنثر البدرية . الثرة الخيشوم وما والاها او القرعة بين الشاربين حيال ورة الانف .
وان لمراعفها غفرا . يكسر شوكة الاجرا . المراعف الانف وحواليه والمفرز زهر الثوب .

أرا لها خنعية . تشد العظام الوردية . الخنعية النوزة أو الهنة المتدلية وسط الشفة العليا أو الشق ما بين الشاربين حيال الورة ويقال فيها انضا الخنعية .

أو عرتبة . تصح بها القلوب الوصبة . العرتبة الانف أو ما لا منه أو الدائرة تحنه وسط الشفة أو طرف ورة الانف .
او عرمة ، هي للحسن سمه ، العرمة مقدم الانف أو ما بين ونزله والشفة أو الدائرة عند الانف وسط الشفة العليا ومثلها المربعة ،

أو ان على ملامظها وملاغمها لغا . ينقى سدما . ويشفى سهما . الملامظها حول الشفة والملاغم ما حول الفم كالملاج واللغم الطيب المليل .

أو لعل لها نيرة . هي تمام النضرة . النيرة وسط النورة في ظاهر الشفة والنضرة الحسن .

او نفرة . يطيل الصب عليها زفرة . النفرة مثلثة الاول النفرة في وسط الشفة العليا .

او حنطرة . تذرا القلوب بها مغرمة . الحنطرة الدائرة تحت الانف وسط الشفة العليا او الارنية أو طرفها .

او وتيرة . تقدي بالف وثيرة . الوتيرة حجاب ما بين المنخرين . او ان لها خيشوماً يبره كمها . ويطرى ومها . الخيشوم من الانف . ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها من خشارم الرأس . والومه شدة الحر .

او قسامه . بمعنى بها العاشق اقسامه . القسامه الحسن والوجه . او الانف وناحيته أو وسط الانف الخ .

او ان ذلقا . يصح دنقا . الذلف صغر الانف واستواء الارنية أو صغره في دقة أو غلظ واستواء . في طرفه ليس بحد غليظ . أو خنسا تغيب له الخنس . الخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنية وهي خنساء والخنس الكواكب كلها أو السيارة .

او كان انهما مصفحا المصفح من الانوف المعتدل القصبة . او اشم . الشم ارتفاع قصبة الانف وحسنها واستواء اعلاها وانتصاب الارنية .

او ان به قنى . قنى الانف ارتفاع اعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه او نو وسط القصبة وضيق المنخرين هو اقنى وهي قنياه .

او ان به غرضين . يلهميان عن التفريض واللجين . غرضها الانف ما احدث من القصبة من جانبيه حميماً والتفريض اكل اللحم الغريض والتفكه .

أوان لها ناظرين . تقديمها بالناظرين . الناظران عرقان على حرفي
الانف .

أو ناحرتين . نذيل لهما النحور والمقلتين . الناحرتان عرقان في اللحى
وضلعان من اضلاع الصدر أو هما الواهنتان والترقوتان .
أو حافرا . يشرح قلبا حازنا . ويتلحزله الشاعر تلحرا . الحافز
حيث ينثنى من الشدق وقلب حازر ضيق والتلحز
تخلب فيك من اكل رمانة حامضة ونحوها شهوة لذلك
كالتلحز .

أوان ختابتيها . تحوم القلوب عليها . الخن' بتان طرفا الانف .
أوان لها صامغين . هما قررة العين . وري الغين . الصامغان والصامغان
والصامغان جانبا الفم وهما ملتقى الشفتين مما يلي الشدقين
وهما ايضا الصامغان لغة في الصاد والغين العطش . ويأليت
شعري هل يتكون فيهما صمغ شهد حتى سميا بهذا
وهل هما منطبةان أو مفتوحان وهل يتلحز لهما الشاعر
المسكين كما تلحز من الحافزين الله اعلم .

ثم يقول أوان لها حثرة . يديم الصب اليهما حثره . الحثرة مجتمع الشدقين
والحثر تحديد النظر . فهل من تلحز معه .

أو لها ماضفين . يعوذان من العين الماضغان اصول اللحيين عند
منبت الاضراس .

أو غنية . تهنئ الخلى سنبه . الغنية على مافي القاموس واحدة الغنب
وهي دارات أو ساط اشدق الغلمان السلاح . لكني
رأيت ربة البرقع أو نى بها فلا عكاس ولا مكاس . على هذا
الاختلاس . والتهنيد التصبي والشويق والسنبه الدهر .
رأيت غارضاها . يتيم معارضاها . المعارص صفحة الخد وجانب الوجه .

أو ان لها علاطا . يشغف من ناظره نياطا . العلاط صفحة العنق
والنياط الفؤاد .

أو بلدة . تفتن اهل البلدة . البلدة نفاوة ما بين الحاجيين ونفرة النحر
وما حولها أو وسطها .

أو ان لها حاجر . تباع لها الحاجر . الحاجر من العين ما دار بها والحاجر
الثانية ما حول القرية .

أو اسارير . يعنق لها من جالس على السرير . الاسارير محاسن الوجه
والخدان والوجنتان .

أو ان طليتها تبرى الطلياء . الطلية العنق أو اصلها والطلياء قرحة كالقوباء
ولديدها اللدود . اللديدان صفحتا العنق دون الاذنين واللدود وجع
ياخذ في القم والحلق .

ولزبها اللز . اللز بمجتمع اللحم فوق الزور واللز الطعن .
ومقاهرها اعز الى ذى مسغبة من الفهيرة . المقاهر لحم الصدر والفهيرة
محض يلقى فيه الرضف فاذا غسلا ذر عليه الدقيق
وسيط .

وأن سالفتيها تغنيان عن السلاف . السالفة ناحية مقدم العنق من
لذن معلق الصرط الى قلت الترقوة .

ونحرها عن نحر النهار . نحر النهار والشهراوله .
وترائبها عن الاتراب . الترائب عظام الصدر أو ما ولى الترقوتين منه
والاتراب واحدها ترب وهو الدة . ويصح ان تكون
ايضاً كسر الهعزة مصدر اترب الرجل اى كثر ماله
فليسال القائل عن ايها اراد .

الى غير ذلك من الاحتمالات التى لا بد منها لخصيف العقل المستحكم
الرأى . وانما اطلت الكلام هنا لكوني ناقلًا له عن تبصر الوجه المحجوب

ودهش عن الإصابة فسألته سمايب .

وعاية ما أقول له أنا ان من تساع امرأة ليلا ولم يرها كما جرى
لسيدات يعقوب عم رفع له ما ونفع لصاحبنا هذا المسكن من العملات
والامات والاوات . ولئلا ان يقول ان هذه القضية معكوسة في شأن
المرأة الملبسة . فان النظر اذا وقع عليها وهي تستر وقمت معه الحيلة عند
حدها . بخلاف امرئانة فان الحيلة والعلب عند النظر اليها بطيران عليا ولا
يسمان حل حد فالحيز . تتصور اشياء والغلب يشتهي اشياء اخرب .

وللمجيب ان يقول ان ذلك اما نتا عن الفرق الحاصل بين اوجه
والجسم . فان الجسم من حيث كونه اكبر من الوجه انضى طيران الحيلة
اليه . وحومان الغلب عليه .

ورد هذا القول بتاعة منهم الصباياني والمبا على والقرى وابو أر بان
كبر الجسم هنا ليس سببا للطيران والحومان . اد لو لم يمد منه الا موضع
واحد لكفى . فبقى الاشكال غير مدفوع .

واجيب بان المسئلة في ذلك انما هي لكون الجسم جميعا
والوجه وجها .

وسفه هذا القول فانه تحصيل للحاصل .

وقيل اما هو لكون الوجه محلا لاكثر الحواس . ففيه مخزن الشم
والدوق والبصر وقريب منه محرن السمع . وارتضاء جماعة منهم العزهي
والتيتهى والذوذخي .

ورد بان هذه الحواس لا مدخل لها هنا . فان المراد من كونية المرأة
لا يتوقف عليها اصابة فهي مستغنى عنها .

وقيل انما هو لكون الجسم يحوى اشكالا كثيرة . ففيه الشكل
المعقمى والزمانى والقرموطى والاطارى والحسانى والقبي والعمودى
والهدفى والصادى والميمي والمدرج والخروط والهلالى ومنفرج الزاوية .

ورد بأنه كفول من قال انه اكبر من الوجه وجوابه كجوابه .
وقيل انما هو لكونه العادة الاغلبية هي ا . يكون الوجه حاسرا
والجسم مستورا . فذا رأى الانسان ما خالف العادة هاجت خواطره
وطارت افكاره . وقيل غير ذلك والله اعلم . ويحتمل ان هذه القاعدة التي
استدركت ذكرها غير صحيحة فيما يتني نسبتها فان ذكرها اوجب المناقشة
بين العلماء .

والحاصل ان الغرام البرقي لما باض وفرخ في راس الفارق غردت
اطيأه عايه لان يتخذ الآلة هو . فما عثم ان تابط له طنبورا صغيرا من
السوق . وجعل يعزف به في شباك له مطن على دار رجل من القبط
وكان عند الخرجى خادم مسلم قد عشق ابنة الهبطي فغار عليها من الطنبور.
فسمي بالفاريق الى سيده قائلا اذا سمع المارون في الطريق صوت الطنبور
من دارك ظنوا انها دسكرة أو حائنة أو ذكينة (مركز الاجناد ومجتمعهم
على لواء صاحبهم الخ) لادار للخرجين . لان هذه الآلة لا يستعملها غير
الترك . فشكره الخرجى على ذلك واستصوب ما قاله واعرز الى الفاريق
بالغاء الآلة . فلغاها وجعل يفكر في التملص من ايدي هذه الزمرة التي لم
يبرح اذاها واصلا اليه من كل شباك سواء في الجزيرة والارض . ثم بعد
ايام قليلة هرب الخادم بالبيت وتزوج بها بعد ان اسلمت والحمد لله رب
العالمين .

الفصل الخامس

في وصف مصر

قد وصف مصر كثير من المؤرخين المتقدمين . ومدحها جم غفير من الشعراء العبرين . وها انا اليوم واصفها ومدحها بما لم يسبقني اليه احد من العالمين فاقول :

اها مصر من الامصار . أو مدينة من المدن . أو مدرة من المدر . أو كورة من الكور . أو قصبه من القصب . أو بحرة من البحر ، أو ماهرة من الماهات . أو قرية من القرى . أو قارية من القوارى . أو عاصمة من العواصم . أو صمع من الاصقاع . أو دار من الديار . أو بلدة من البلاد . أو بلد من البلاد . أو قطر من الاقطار . أو شىء من الاشياء . غير ان اهلها يقولون اها مصر الامصار . ومدينة المدن . وعاصمة العواصم . و شىء من الاشياء الى آخره . وما ادرى فرق ذلك ، وكيف كان فانها مدنة غاصة باللدات السائغة ، متدفقة بالشهوات السابغة ، توافق المحرورين من الرجال خلافا لما قاله عهد اللطيف البغدادى ، يجدها الغريب ملهى وسكنا ، ويسمى عندها اهلا ووطنا ،

ومن خواصها ان ما يذهب من اجسام رجالها يدخل في اجسام نسائها ، فترى فيها النساء سمانا كالافط بالسمن على الجوع . والرجال كالحشف بالشيرج على الشبع . ومنها ان اسواقها لانشبه رجالها البتة . فان لاهلها لطافة وظرافة وادبا وكياسة وشمائل مرضية واخلاقا زكية . واسوافها عارية عن ذلك رأسا . ومنها ان ماءها لا يشبه عيشها أى خبزها . فان عذب والثاني تافه .

ومنها ان العالم فيها عالم والاديب اديب والفقيه فقيه والشاعر شاعر
والفاسق فاسق والفاجر فاجر .

ومنها ان نساءها يعيشن تارة على الارض كسائر النساء وتارة على
السقف وعلى الحيطان .

ومنها تذكر المؤنث وتأنث المذكور مع ان اهلها متقنون للعلم وأي ائمان .
ومنها ان حماماتها لا تزال تقرأ فيها سورة او سورتان من القرآن فيها
ذكر الاكواب والطهنيين بها فلخارج منها يخرج طاهرا وجنبا . واعجب
من ذلك ان كثيراً من رجالها ليس لهم قلوب . وقد عوض الواحد منهم
عن قلبه بكتفين وظهريين واربعة ايدي واربعة ارجل .

ومن ذلك ان كثيراً من البنات اللاتي يغسلن اقمصتهن في بعض بحارى
الزيتونة ممن بقمصانهن بعد غسلهن ويعشن عريانات .

ومنها ان قوماً منهم باعقن ان نساء الصين يتخذن او بالحري يتخذ
لهن قوالب من حديد لتصغير ارجلهن عن المقدار المهود . فجمعوا
يشذبون اصابعهم واعتقدوا ان اليد اذا كان بها اربع اصابع فقط كانت
اخف للممل وانفع لصاحبها . مع ان الاصابع والكفوف عندهم ليست
مما يكسى حتى تقضى عليهم بزيادة النفقة . كما هو شأن الافرنج الذين
لا ينادرون عضواً من اعضائهم الا ويكسونه احتفالاً به وتفخماً له أو
حذراً عليه من العدوى .

ومن ذلك أى من الخواص لا من الاعضاء ان البنات اللاتي يستخد من
فى الميرى لجل الآجر والجبس والستراب والطين والحجر والخشب وغير
ذلك . يحملنه على رؤسهن وهن فرحات جاحات راحات سباحات
صادحات مادحات مازحات . غير أحات ولا ترحات ولا دالحات ولا
رازحات ولا كالحات ولا ناحات . ومن كان نصيبها من الآجر نظمت

عليه موالا اجريا . أو من الجبس غنت له اغنية حبسية . كأننا هن سائرات
في زفاف عروس .

ومن ذلك ان فيها ديوانين عظيمين يقال لكل منهما الديوان المحمى .
فالديوان الاول قيمه رجل يجهز للرجال ما يلزمهم لتبريد فرشهم من هو .
والديوان الثاني وهو دونه في القدر والشأن قيمته امرأة تجهز لهم ما يلزمهم
لتسخينهم من هى . واصل منشى . الديوان الاول عجمى . وقد صار
الآن من الشجرة والنباهة عند العرب بحيث انك لا تزال تسمع بذكره
والثناء عليه في كل مقام ولا يكاد يخلو منه مجلس انس او غناء او أدب .
ومن ذلك ان البرنيطة فيها تنمي وتمظم . وتلفظ وتضخم . وتوسع
وتطول وتعرض وتمحق . فاذا رأيتها على رأس لا يسها حسبتها شونة
قال الفاريقي وكثيراً ما كنت اتعجب من ذلك وافول كيف صح في
الامكان وبدا للعيان ان مثل هذه الروس الدميعة . الصئيلة الذميعة .
الخسيسة اللثيمة . المهينة المليحة . المستنكرة المشؤمة . المستمذرة المهووعة
المستفحجة المستفظة . المستمجة المستشعة . المستدلة المستهشة . تقل
هذه البرانيط المسكرمة . وكيف انماها هواء مصر وكبرها الى هذا المقدار
وقد طالما كانت في بلادها لا تساوى قارورة الفراش . ولا توازن ناقورة
الفراش . وكيف كانت هناك كالترب فاصبحت هنا كالنبر . ياهواء مصر
يانارها ياماءها ياترابها صيرى طربوئى هذا برنيطة وان يكن احسن منها
عند الله والناس وافضل . واجل . وامثل وللعين ابهى واكمل . وعلى
الرأس اطبق . وبالجسم ليق . وغير ذى قرون تتملق لتتملق . ويزرق
عليها لترزق . قال فلم يغن عنى النداء شيئاً وبقي رأسى مطربشاً . وطرف
دهرى مطرفشاً .

ومن ذلك ان قوما من الهككاه المهايك فيها يمرأون ويبرقمون
لحام ريزاحون ذوات الברاقع على مورد الانائية . فتراهم يتحففون

ويهللون ويتبazon ويوكوكون ويوزوزون ويياغمون وهم اقبح خلق الله

ومن ذلك ان لضابط البلد شفعة زائدة على اهلها تقرب من حد الظلم وذلك انه يأمر جميع السالكين في طرقها ليلا ان يتخذوا لهم فوانيس وان كانت الليلة مغمرة . خيفة ان يمروا بشيء في اسواق المدينة فيسقطوا في هوة أو جب فتتكسر ارجلهم او تنزق اعناقهم . ومن وجد ليلسا يطوف من غيمذوي البرانيط وليس بيده فانوس غلت رجله الى يده . ويده الى عنقه . وعنقه الى حبل . والحبل الى وتد . والتد الى حائط . والحائط الى ناكر ونكير . وتصلية سمير .

ومن ذلك ان لبنى حنا فيها اسلوباً في الكتابة لا يعرفه احد الا هم ولهم حروف كحروفنا هذه الا انها لا تقرأ الا اذا ادخلها الانسان في عينه كذلك رأيتهم يفعلون .

ومنها انه اذا مات منهم احد فلا يزال اهل الميت يتدبونه وينوحون عليه حتى يؤوب اليهم ووطبه ملائ من الطريق . ومن خصائصها ايضاً ان البقات بها يستنسر . والذباب يستصقر . والناقة تستبعر . والجحش يستهم . والهر يستنمر بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة .

ومن ذلك ان كثيراً من اهلها يرون ان كثرة الافكار في الرأس . يكثر عنها الهموم والا كندار أو بالعكس . وان العقل الطويل يتناول البعيد من الامور . كما ان الرجل الطويل يتناول البعيد من الثمر وغيره . وان تلك الكثرة سبب في الاقلال . وهذا الطول موجب لقصر الاجال . وأوردوا على ذلك براهين سديدة . قالوا ان العقل في الرأس كالنور في الفتيلة . فادام النار موقدا فلا بد وان تنفذ الفتيلة ولا يمكن ابقاؤها الا باطفاء النار . او كالماء في الوادي . فاذا دام الماء جاريا فلا بد وان ينضب او ينصب في البحر حتى حفر بني .

او كالفلوس في الكيس . فما دام الفلوس اى صاحب الفلوس يمد يده الى كيسه وينفق منه قتي ما عنده . الا ان تربط يده عن الكيس او تربط الكيس عن يده . او كالتيس التازى . فانه اذا دام نزوه نزلت مادة حياته فهلاك فلا بد من نجفة . فمن ثم اصطالحوا على طريقة لتوقيف جريان العمل في ميدان الدماغ حينئذ من الاحيان ليتوفر لهم في غيبه . وذلك بتسرب شيء من الحشيش او بمضقة او بالنظر اليه او بذكر اسمه . فحين يتماطونه تغيب عنهم الهموم ويحضر السرور . وتولى الاحرار . ويرقص المسكان . فمن يرم على هذه الحالة ود لو يكتب في زمرة ويدخل في دائرتهم وان يكن قاضي القضاة .

ومن ذلك ان طرفها لا تزال عاصة بالابل المحملة . فيذبني للسائر فيها اذا رآها مقبلة ان يحل لها الطريق . او لا فلا يامن ان يفقد احدي عينييه . وقد ينشأ عن هذا الزحام فوائد كما في حكاية المرأة التي سارت مع امها لتحضر عرس اختها وطالما من حملها .



الفصل السادس

في لاشيء

قد كنت لما ظن انى اذا تركت الفارياف واخذت في وصف مصر استريح
فادا هو هى أو اياها . فينبغى لى الآن ان امكث في ظل هذا الفصل الوجيز
قليلا لا نفص عى غبار النعب ثم اقوم ان شاء الله تعالى .

الفصل السابع

في وصف مصر

قد سمت حامدا لله شاكرا . فاين القلم والادواة حتى اصف هذه المدينة السعيدة
الحديرة بالمدح من كل من رآها . لانها بلد الخير ومعدن الفضل والكرم
اهلها ذوو لطف وادب واحسان الى الغريب . وى كلامهم من الرقة
ما يغنى الحرين عن التطريب . ادا حيوك فقد احيوك . وان سلموا عليك
فقد سلموك . وان زاروك زادوك شوقا الى رؤيتهم . وان زرتهم فسحوا
لك صدورهم فضلا عن محاسنهم . اما علمائوها فان مدحهم قد انشرف
الافاق . وفات صخر من سوام وفاق . بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض
الجناح وبشاشة الوجه مالا يمكن المبالغة في اطرائه . ولكل نوع من الناس
عندهم اكرام يليق به سواء كان من النصارى أو من غيرهم . وربما خاطبهم
بقولهم ياسيدى ولا يستنكفون من زيارتهم ومحالطتهم ومعاشرتهم خلافا

إعادة المسلمين في الديار الشامية . وبذلك لهم الفضل على غيرهم . وكان هذه المزية وهى حسن الخلق ورقة الطبع امر مركز في جميع اهل مصر فان لعامتهم ايضا مخالفة ومحاملة . وكلهم فصيح اللهجة بين الكلام سريع الجواب . حلوا المفاكهة والمطارحة . واكثرهم ميل الى هذا النوع الذى يسمونه الانقاط . وكأنه المجاززة وهى مفاكهة تشبه السباب وهو اشبه بالاحاجى . فان من لم يكن قد تدرب فيه لا يمكنه ان يفهم منه شيئاً وان يكن شاعرا . وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة وغاوم اشجى ما يكون . فلا يمكن لمن الفه ان يطرب بغيره . وكذلك آلتهم فانها تكاد تنطق عن العازف بها . واعظمها عندهم هو العود وقل اعتناؤهم بالناي . ولهم فى ضرب العود طرق وفنون تكاد تكون من المغيبات . غير انى اذم من غنائهم شيئاً واحدا . وهو تكرير لفظة واحدة من بيت أو موال مرارا متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام . ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن . وامكس ذلك طريقة اهل تونس فان غناءهم اشبهه بالترتيل . وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب فى الاندلس .

ومما ينبغى ان يذكر هنا ان النصارى المولودين فى بلاد الاسلام الناهجين منهمج المسلمين فى العادات والاخلاق هم ابدا دونهم فى الفصاحة والادب والجمال والكياسة والظرافة والنظافة . الا انهم انشط منهم على السفر والتجارة والصنائع واكثر اقداما وجلدا على تمساقى الاعمال الشاقة . وذلك ان المسلمين اهل قناعة وزهد وفى النصارى شره عظيم الى اتخاذ الديار الرحبية . وفنية الخيل النجيبة . والجواهر النفيسة والمتاع الفاخر لاحد لها . فاذا دخلت دار نصرانى من التمولين بمصر رأيت عنده عدة خوادم وخادمين ونحو عشرين قصبة للتبغ من اغلى ما يكون . وقدر نصفها من الاراكيل الثمينة . وثلاث غرفات مفروشات باحسن ما يكون من القماش . وآيسة فضة للطعام والشراب والرائحة . وامرة عالية وطيفة وثيابا فاخرة وغير

ذلك . ومع هذا فلا نجد عنده كتابا . ولو ان مشتري شاء ان يشتري شيئا من
تاجر مسلم لوجد سموره ارخص من بضاعة النصراني بربع الثمن . ولكن
وجود هذه الشراة انما هو في الغالب عند النصراني الغرباء . فاما القبط
فلانهم اشبه بالمسلمين . وقل من تعاوى المسجر منهم ،

اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت في الذروة العليا من الابهة والعز
والفخر والكرم والمجد . فكان للتسمين بخدمتها مرتب عظيم من المال
والكسبي والشحن مما لم يعهد في دولة غيرها . وكان واليها يولى المراتب العالية
وسمات الشرف السنبة لكل من المسلمين والنصارى ماعدا واليهود . خلافا
لدولة تونس فان شرفها عم الجميع . ومع عظم ما كان يكسبه التجار واصحاب
الحرف وما يناله اهل الوظائف من الرزق المعيم فكانت الاسعار بمصر
رخيصة جدا فلماذا كنت ترى الناس قصر بهم وعميهم مقبلين على الشغل
واللهو معا . فالبساتين غاصة باهل الخلاعة والقصوف . ومحان القهوة مجمع
للاحباب . والاعراس مسموع الغناء وآلات الطرب من كل طرف . والرجال
يخطررون بالحز والديباج . والنساء يتؤون بما عليهن من الحلى . والحيل
والبنال والحمر مسرجة ومكسوة بالحري المرركش . الا ان صاحبنا الفارباق
لم يكد يدخل ارضا سميدة الا ويخرج منها وقد تفسر حالها . فارجع
معي الآن لنخلصه من ايدي الخرجيين . فاني تركته يحاول ذلك منذ حين .



الفصل الثامن

في اشعاره انتهى وصف مصر

١
قد غادرنا اى انا وجماعة المؤلفين الفاريقي يحاول ان ينفذ الخرج
عن ظهره . وانى الان من دونهم علمت انه بات ليلة وهو يفكر في ان
كل شىء اثبتته الصنعة فلا بد من ان تملأه الاحوال . فمن ثم عزم على
القلقة . فخرج في الصباح من معزفه واخذ يطوف في الاسواق ويحرك
كتفيه عند كل خطوة ويقول . لا قلبه لا طرخته . لا ركسته لا بدحنه
انه انقض ظهرى اى قرح اى عقر . هل انا اليوم حمار لحمار بالنكر .
فراه بعض الطرفاء وهو يحرك منكبيه فعال لا بد لهذا من شأن فاقبل اليه
ولطف له المقال حتى استخرج سره من سرته . وعلم حاله وسبب سفرته
فقال له لا عليك فان مصر حرسها الله معدن الخير والبركة . ولكن لا بد
للفوز من حركة . قال وى حركة اعظم مما ترى . قال بل الامر دون
ذلك . الاك ادن واعية . وفكرة مدركة وقدم ساعية . قال اجل . قل
فاسمع اذا ما أقول لك . ان بهذا المصر شاعراً معلماً من النصارى له
وجاهة ونباهة عند جميع الاعيان . قال ما هذه صفة شاعر وما ارى كلامك الا
متناقض الطرفين . فكيف فك هذا المعنى وتاويل هذه الاحجية . قال
لا تناقض فانه شاعر بالطبع لا بالصنعة . والفرق بين ذلك ان الشاعر
بالصنعة هو من يتكسب بشعره فيمدح هذا ويكذب على هذا حتى
ينال منها شيئاً . فاما الشاعر بالطبع فانما هو الذى يقول الشعر لباعث
من البواعث دون تكلف وانتظار للجائزة . قال ليس هذا الفرق .

ذكره الأمدى . قال ابعت الأمدى الى أمد واسمع منى . قال فد امدته
فما الرشد . قال نصيحي لك ان تكتب كتابا الى هذا العلامة رتلتمس
منه فيما تطرى به عليه مواجهته . فاذا تكرم بذلك فاذكر له ح ما انت
تعانيه واستجد به . فلا بد من ان يحبك . فانه رجل متصف بمكارم
الاخلاق ويحب دغدغة الافتخار . ولا سيما انه يرغب فى محاسبة
ذوى الادب وتيسير اسباب معيشتهم . فتلطف اليه فى المال . وانا
ضامن لك ان تفوز منه بالمال . فشكره الفارق على نصيحته ورجع
الى محله راضيا مستبشراً . فلما جن الليل اخذ العلم والقرطاس وكتب
ما نصه :

اهدى سلاماً لو تحمله النسيم لطر الافاق . ولو جعل للبدر هالة لما
اعتراه الحاق . ولو مرجت به الصهباء لما اعقب شربها صداعا . ولو
استفقه مريض أو لعمقه لما لقي برحاء وواجعا . ولو علق على شجرة
لزهت فى الحال اورافها ولو فى الخريف . ولو سقيه الروض لانبث من
كل زهر بهيج طريف . ولو جعل على اوتار عود لا طربت دون عازف
ولو تفنى به فى مجلس لا غنى عن المشوم والمعاذف . ولو علق فى الآذان
لسكان شنوفا . ولو صقل به سيف كليل لجاء رهيباً ولو مثل لسكان
حدائق ورياضا . وسلسبيلا ومحاضا . ولو نيط بالمام . لا غنى عن
الندائم . ولو نخم به ولسان لاجزأه مجزأ السلوان . ولو كتب على رجام
لا لهى الثا كل عن النواح . او على خصر هيفا لمام لهما مقام الوشاح . او
على انف مزكرم لما احوجه الى السعوط . او على ساق اعرج لسكان له من
ققزه سبق وفروط . او على لسان ابكم لانحلت عمدته . او على كف
بخيل لهان عليه فى البذل ذهبه وفضته . او على اجاج لمام فراتا . او على
رمل لانبث الريحان نباتا . وتحيات فاخرة . ذكية عاطرة . ارق من
النسيم . واحلى من التسنيم . واشمى من العافية على بدن السميم . واجلى

للعين من الائمة . واغلى للناقد من المسجد . واصفى من الماء الزلال
واعلق بالقلب من امل الوصال . واشغل للبال . من هوى ذى دلال .
وازه من نور الصباح . وازهى من نور الافاق واعبق من شذا الراح .
واثمن من الجوهر النفيس . واعز عند البسنى من التمجيس . وعند ابي
العتاهية من الزهديات . وعند ابي نواس من الحمريات . وعند الفرزدق
من الفخريات . وعند جرير من الغزليات . وعند ابي تمام من الحكم
وعند المتنبي من جزل الكلم . تهدي الى الجناح السكرم . المقام
المحترم . ملاذ الملهوفين . مستغاث المضامين . ثمال المطومين . ملجأ
المهضومين . منهل القاصدين . مورد الطالبين . ادام الله سمعه .
وخلد مجده .

وبعد يا سيدى قاني قدمت هذه الديار وانا حامل لخروج قد انهض
ظهرى . وعيل به صبرى . ولم اجد من زحزحه عني ولو قليلا ،
واست اجد بنفسى الى التخلص منه سبيلا . وقصد هديت الى نور
معروفك فى جنح هذا الهماس . وانبتت انك انت وحدك معتقى من هذا
الارتباس . دون سائر الناس . فهل تسمح لى بان ازور ناديك الكريم
وابت اليك مشافهة ماى من البث المقيم . والضر الاليم . فانك اهل لان
ناخذ بيد من لاناصر له . وان تصطنعه لك بالتفاتة تحقق امله . وتنبيله ما
امله . وان تتخذ له لك ما عاتى رهين شكر . ممنون برك . فهو
يرجو ذلك منك رجاء من لاذ بعروة فخرك . فان رأيت ان تفعل فذلك
من احسانك . وطول امتنانك . والسلام .

وكتب عنوانه يشرف بانامل سيدى الاكرم الاحسب الافخم الاوحد
الافضل الاسعد الامثل الارشد الاكمل الامجد الاجل الخواجا فلان
ادام الله بقاء بالمر والنعم .

فلما بلغت هذه الرسالة الى الخواجا المذكور وطالع ما فى شرح السلام

من التشابه المتكلفة لم يمالك ان ضحك منها وقهقه . وقال لبعض جلسائه
 بمن ألم بالادب . سحان الله قد رأيت اكثر الكتاب يتهوسون في
 هدهاء السلام والتحيات للمخاطب كما هم مهدون له عرش بلقيس او
 خاتم سيدنا سليمان . فتراهم يشبهونه بما ليس يشبهه . ويفرقونه في
 الاغراق ويغلوونه في الغلو حتى يأتي مبلولا محروقا . وربما جاءوا بفقرتين
 سائلتين في المعنى كقول صاحب هذه الرسالة الان ثمال المظلومين ملجأ
 لمضومين . ثم اذا انتقلوا من السلام الى الغرض اجادوا الكلام الى الغاية . و
 ما ادرى ما الذي حسن لارباب فن الانشاء ان يضيعوا وقتهم بهذه
 الاستعارات والتشبيهات المبتذلة . وينظم الفقر المتألهة في المعنى .

مع ان العالم يتأني له ان يبدي علمه بعبارة واحدة اذا كانت رشيقة
 اللفظ بليغة المعنى . وهذه الف ومائتا سنة قد مضت ومازلنا نرى زيدا
 يلوك ما انفضه عمرو . وعمرا يمتنع ما قاله زيد . فقد سرى هذا الداء في جميع
 الكتاب اما تفخيم المخاطب في العنوان بالاجل والاعجد والاسعد والاوحد
 وما اشبه ذلك فله وجه . وذلك انه لم تجر العادة في بلادنا بان يكون
 تبليغ الكاتب على يد البريد . وانما تبعث مع اشخاص ليست لهم خبرة
 بالطرق ولا بالديار فانما كما لا يخفى عاطلة عن التسمية خطأ . فاذا حملها
 رجل لا يعرف القراءة طفق يسأل كل من لقيه في الطريق عن اسم المخاطب .
 فان لم يكن العنوان دالا التبس على القارىء . فان كثيراً من الناس
 مشتركون في الاسماء وان كانوا مختلفين في المكارم والاخلاق . وفضلا
 عن ذلك فقد يتفق ان مبلغ الكتاب بعد ان يكون قد اضعاف نصف
 نهاره في البحث عن الطريق ، فلا يكاد يهتدى اليه الا ويجد عونا يترصده
 حتى اذا لمح تلفقه وبعثه الى احدى الجهات التي اراد . فيسمى الكتاب
 عنده ثم ينتقل منه الى غيره . وربما لقي غيره ما لقيه هو فينتقل الكتاب الى
 آخر وهم جراً . فكان لابد من الاستقصاء في العنوان عن صفات المخاطب .

فقال له جليسه اذن يجب ياسيدي ان يذكر في العنوان جميع الصفات
فيقال للمخاطب مثلاً اذا كان جميلاً كبشاً غنياً رشيقاً القد كبيراً العمامة
عريض الحزام : الجميل الكيس القفى الى آخره .
فقال اما وصف انسان بالجمال والغنى فهو من الموبقات له . واما بغير
ذلك ككبر العمامة وعرض الحزام فليس من الصفات المحصنة اذ الناس
في ذلك سواء .

وما حالف ذلك ما اولاه بالاستعمال وسأراه عن قريب مستعملاً اذ
شاء الله . وهو وان يكن احياناً من المضحكات وذلك كان تصف رجلاً
مثلاً بالزبيبة والكشية والحنطاوية والشرنبية والكرنيهية والزلبية
والزخرية والسنطبية والعريزية والعنجبية والعظيبية والجحوطية والازطية
والسناطية والفسحمية والجهمضية والبرطامية والحرمية الا انه احسن من
ابقاع اللبس في صفات المخاطب . وقد بلغنى ان كثيراً من الكتّاب التي
تضمنت مما تعد مهمة لما يدل عنوانها بالنص والتوقيف على ذات المرسل
اليه فتحت ليمعلم صاحبها . فكانت سبباً في ضرر المرسل والمرسل اليه .
انتهت محاولتهما

واعلم !! ان الحواجا المذكور لما بلغته الوكة القاريق كان مريضاً
فلهدا لم يجبه على الفور . فبقى القاريق ينتظر جوابه اياماً حتى اعته دار
سجده كله ذهب باطلا . اد لم يكن يعلم السبب وكان في خلال ذلك دائم
التفكير والقلق . فاما الان ادعه في هذه الحالة منتظر الجواب . وادع
صاحبه يدعى حتى يطيب . واعرج قليلاً على منازل الالقاء والقاء
المسئلة المتداورة وقتئذ بشرط ان تسمحو الى بان اتعمل الى فصل
اخر وهو .

الفصل التاسع

فيما اشرت اليه

حد اللفب عند المشرقين انه هنة نائثة او زئمة او علاوة زائدة متدللة
 تناط بكونية الانسان . وعليه قول صاحب القاموس العلاقي الالهاب
 لانها تعلق على الناس . وعند المغربيين اى الافرنج انه جليدة تكور في
 الجسم . وشرح ذلك ان الهمة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة وكذا
 الزئمة وكذا العلاوة يمكن ركسها وقلبها . فاما الجليدة فلا يمكن فصلها عن
 الجسم الا بايصال الضرر الى صاحبه . وحاشية ذلك اذ الشرح لا بد له من
 حاشية ولو لاولها لم يفهم له معنى . ان الزئمة عند اهل الشرق غير مورثة
 الا ما ندر . فان لكل قاعدة شذوذا . والجليدة عند الافرنج متوارثة
 كابرا عن صاغر . مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندى والاغا بل
 الملك انما هو محصور في ذات الملقب به فلا ينطلق منه الى ولده . فقد
 يمكن ان يكون ابن الوزير أو الملك كاتباً أو نوتياً . فاما عند الافرنج فلا
 يصح أن يقال لابن المركز مركيزاً أو مركيزي . وقد يجتمع مطلق الزئمة
 والجليدة في جهة بقطع النظر عن كون الاولى متناهية . والثانية غير متناهية
 وذلك ان اصل كل منهما في الغالب اكل يحدث في ابدان ذوى الامر
 والنهى لهيجان الدم عليهم . فلا يمكن تسكين هذا الهيجان وحك هذا
 الاكل الا باحداث الهنة او الجليدة . ويبان ان الملك اذا غضب مثلاً
 على زيد من الزيدين لدنب اقترفه . ثم بعث اليه ذلك الزيد بشفييع
 عرين ليرضاه سكن هذا الاستشفاع ثروة ذلك الغضب . واختلطت

الكيفية الهيجانية بالماهية العربية فاصبحتا جليده لمن كان يخاف سلخ جلده فتحلى بها بين اقرانه حلية موبدة ولم يخف من تداول العرون عليه .
والغالب في الجليدة ان تحتاج الى جسمين . جسم مضروب عليه وجسم شافع فيه . والغالب في الهنة ان تحتاج الى جسم واحد فقط . ومن الهنات هنات كائنسية وهي على نوعين . ترابية وهوائية . فالترابية ما كان لها مستعرا أو اصل في التراب فتتمى فيه وتثمر . وذلك كان يكون جانليق من الجنالة مستقراً في دار أودير . وله امرة على ناس يودون اليه عشورا ونحوه . فهو يأمر فيهم وينهى ويحكم ويقضى بحسب الاقتضاء أو بحسب ما ينعن له . ولا بد وان يكون عنده كاتب يعي اسراره . وطباح يشد فقاره . وخازن يخزن ديناره . وسجن يحبس فيه من خالفه في رأيه أو انكر عليه اطواره . وما أشبه ذلك . والهوائية عكس ما تقدم وذلك كهنة المطران انناسيوس التتوني صاحب كتاب (الحكاكة في رككاكة) فان سيده قلده هذه الهنة ليحكم بها في مدينة طرابلس الشام . غير انه ليس في هذه المدينة احد من اهل مذهبه حتى يؤدى اليه عشورا او يطبخ له طعاما او يكتب له رسالة . فهو متقلد بها لمجرد الزينة فقط جريا على عادة بعض المتقدمين الذين كانوا يطلقون هنة الامير . على راعي الحمير . وزنما الملك . على شيخ قرية عفاك . والغرض من ذلك كله انفراد شخص عن غيره بصفة ما . واذا قد عرفت ذلك فاعلم ان الخواجه والمعلم والشيخ ليست القابا معدودة في الهنات ولا في الجليدات اذ ليس في تحصيلها ما يحتاج الى شفيح أو اختلاط الكالي بماهية عربية . وانما هي خرقة تستر عورة الاسم الذي اطلق على المسمى وهي غير محيطة فيه ولا مكفوفة ولا مشرحة ولا ملعوفة بل هي كالبطاقة شدت الى لابستها ليعرف بها سمره . الا انه كثيرا ما يقع الغلط في الصاقها بمن ليس بينه وبينها من علاقة . فاهل مصر مثلا يطلقون لفظة معلم على نصارى القبط . وكلهم غير معلم ولا معلم

إذا قلنا انه مشتق من العلم فاما اذا كان اشتقاقها من العلامة فلا مشاحة
ولفظة خواجا على غيرهم واصل معناها كالمعلم فبقى الاعتراض في محله .
فاما لعظ الشيخ قانه في الاصل صفة من اسن . ثم أطلق على من تقدم
في العلم وغيره مجازا عن تقدم في السن . فان الطاعن في السن يستحصف
عقله ويستحكم رأيه وان اسكره النساء . فنقلت مزبته الى من باشر العلم
والذى يظهر لى بعد التأمل ان في الهنات والجليدات لضررا عظيما على من
تحلى بها وخلا عنها . الدليل الاول ان المتصف بها يعتقد بمجامع قلبه انه
أفضل من غيره مخلقا وخلهآ . فينظر اليه نظر ذى القرن الى الاجم .
ويستكفى بهذه السمة الظاهرة عن ادراك المناقب المحموده والمزايا الباطنة
ويخلد بها الى البلادة واللذات الموبقة . الثاني انه لو نشبت فيه رغبة زحل
يوما من الايام ودارت به دوائره فان لم يجد ذات جليدة مثله لم يمكنه
الجلد مع غيرها . وربما كان يهوى جارية عنده جميلة في المطبخ أو فى
الاسطبل فيحرمه منها أبوه أو منصبه أو أهله أو أميرة فيقع تعطيل على
أهل الجال . وهو أمر مكروه بل قد جزم بتحريمه جميع العلماء . الثالث
انه قد يتفق ان يزوج بذات جليدة معسرة مثله غير موسرة . فاذا ولدت
له اولادا لم يمكنه ان يحضر لهم شيخا يعلمهم فى داره . ويستحى ان يعلمهم
الى المكتب ليعلموا مع جملة اولاد الناس . فتعدو اولاده من العجافات
ويتسلسل ذلك فى ذريتهم الى ما شاء الله . الرابع أن الهنة والجليدة تقتضيان
على المتصف بهما بنفقات لاقة : وتكاليف شاقة تفضى به الى التفریط
والاسراف . والتهالك والاشراف . وربما اوصلته اخيرا الى الشوطة حبل
من مسد . الخامس ان الانسان من اصل الفطرة ليس له هنة ولا جليدة
فاحداثهما فيه بعد ذلك امر مغاير للطبيعة . أو فى الاقل من الفضول او
من البطر . وهناك ادلة اخرى اضربنا عن ايرادها خوف الاطالة . فقد تبين
لك ان الخواجا المشار اليه كان غير ذى هنة ولا جليدة . ولعله كان يحصل
على احدهما لولا ميله بالطبع الى الادب . ولكن لكل شىء آفة .

الفصل العاشر

في طيب

مصحح الله ما بك من السقم يا خواجا ينصر او مسيح او مزح . على حد من قرا الصراط والسرراط والزراط . ومن قال اجعلني فديتك بصاقا او بساقا او بزاقا . انك غادرت القاريقي في وسواس وبلبال . فهو ينتظر الجواب منك في الغدو والاصال . قال اني ليحزنني كثيرا ان قد بلغتني كتاب صاحبك وانا محموم موجع الرأس فلم يمكن لي ان اجعل اليه بالجواب . وكان بودي لو افعل ذلك مما كنت اعانيه غير ان الطبيب رسول عزرائيل منعتني من الحركة . ولكن لا بد من ان اسمع قصتي مع هذا القرنان . وهي اني اختمت يوما من اكلة برغل اخذتها بهذا فيرها فاصبحت وبني غثيان . واتفق ان زارني في صباح ذلك اليوم بعض الامراء الذين ينبغي ان يقال لما اثبتوه نعم في موضع لا ولما نفوه لا في موضع نعم . فرآني على تلك الحالة فقال ما بك . فاخبرته الخبر . فقال عليك بطيبي الساعة فهو امهر الاطباء لانه قدم من باريس منذ ايام . ولولا ذلك لما اتخذته طبيبا لي ولا هلي . قلت من عادي ان اصبر على المرض الخفيف اياما واستمعين على معالجته بالاحتماء والتوقي فقد يكون في ذلك ما يغني عن العلاج . فاني ارى هؤلاء الاطباء يعالجون الامراض بالحرص والتخمين . فما يهتدون الى العلة والمعلول الا بعد ان تبلغ الروح الحلقوم . فيجربون مرة دواء ومرة اخرى غيره . قال لولا ان المرض قد بلغ منك ما قلت هذا الكلام فلا بد من احضاره الان . وما زال بي حتى بعثت اليه حذمي حياء وخجلا . ثم خطر ببالي ان الادب

عندنا من فرط كرمه قد يجبر المذدوب على الاكل . وربما القمه بيده ما نأفاه نفسه . ولكن لم اسمع ان احداً تكرم بان يجبر غيره على علاج . فلم أتما لك ان ضحكك . قال ما اضحكك . قلت لا شيء . قال ما احد يضحكك من لا شيء . فلا بد وان يكون هناك شيء . قلت فكبرت في ذلك الطبيب الذى عاد مريضاً فقال لاهله أجركم الله في مريضكم . فقالوا انه لم يموت بعد . قال يموت ان شاء الله . فضحكك . قال لا عليك فان هذا الطبيب ليس مثل ذاك . وبعد فانك عزب ليس لك اهل حتى يقول لهم ذلك . ثم ما هم الخادم ان جاء به وهو اشد منى مرضاً ونحولاً . فالظاهر انه لم يكن له شغل حتى يخرج من داره . فلما ان دخل جس نبضى ونظر الى لساني ثم زوى ما بين حاجبيه واطرق الى الارض وهو يمس اى يحدث نفسه . ثم رفع رأسه وقال لخادمي هات الطست . قلت ما تريد ان تفعل وانا صاحب جنتي افلا تشاورني . قال انه القصد او الرمس . قلت هداك الله يا شيوخ انها اكلة برغل مع اللحم مما تسميه الناس كبيبة . قال انا اعرف ذلك انا اعرف . انكم يا اهل الشام كلكم نموتون بهذه الكبة . فقد شيعت بها حين كنت في بلادكم اكثر من مئة جنازة . نعم هي الكبة . قلت في عجانك ان شاء الله . قال لا تدخل الكبة في عجيني مطلقاً . فالتفت الى الامير وضحكت فظهر لى انه هو ايضا لم يفهم . وفي الاختصار فانه مازال هو والامير بخطان رأني حتى استسلمت للهلسكة ومددت يدي فاعمل فيها مبضعه اعمال السكين في بطيخة . فخرج الدم متبعقاً حتى دخل في عينيه فاطلق يدي وذهب ايمسل وجهه . ثم جاء بعد هنيهة وقد غشى على . فتداركني خادمي بما الزهر وغيره والامير ناظر الى دخان تبغهِ والطبيب يساره . فلما افقت ربط يدي وخرج مع الامير وقالوا احترز لنفسك فانا نعودك عن قريب . فقلت في عسى لا اعادكما الله . فلما كان الغد جاء

المطبيب متابطا اعشابا . فقلت ماهذه الاعشاب . قال حقنة قلت تكفيني واحدة . قال ان الامير يقول لك ينبغي ان تحتقن ان لم يكن لنفك فلاكرامه فقلت في نفسي لا باس باكرامه في الحقنة . الا انه قد خالف العادة مرة اخرى فان عادة المزور ان يحاف الزائر باسم الله واسماء ملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالبعث ان ياكل او يشرب شيئا على اسمه ، وهذا زائر يلج على بالاحتمقان ، ثم استعملت الحقنة ، ثم واقاني اليوم القابل ومعه حقنة ، فقلت وما بيدك ، قال مسهل مما اصنعه للامير . فاستفقتة . ثم جاني في القد وليس بيده شيء . فاستبشرت وقلت له قد وهنت مني القوى بقوة المسهل . قل ينبغي ان تتخذ اليوم حماما في غاية السخوة لكي تعرق وقد جربته في ذوى الامير فوجدته بعد المسهل انفع ما يكون . ثم تولى هو بنفسه نسخين الماء وازلني في مغطس كنت انخذته لنفسي ، فلما دخلته لمحنى حره حتى غشى على بعد ان سمط جلدي ، فأخرجت منه على رمق من الحياة ، فتداركني خادمي بالمشحومات حتى افقت ، ثم جاني في القد وليس بيده شيء فقرحت ايضا وقلت لعله قد نفذ ما في وطاب علاجه وكان الحمام آخر ما عنده ، فسألني عن حالى ، فقلت هو كما ترى ، قال عليل ، قلت واى عليل ، قال ينبغي ان تفحص ، فسمط على كلامه كجلمود صخر حطه السيل من عل ، وقلت كاذك هم باعادة مصنعه اولاً فتى ينتهى هذا الدور ، قال لا بد ان احد هذه العلوج (جمع علاج) يزيل مابك ، قلت اجل اما الاول فهو انت واما الثاني فهو دمي او روحي . ثم تجلدت وتمنعت وقلت له قل للامير اني والحمد لله عزب فلانى سبب يحاول تفسيرى سرى ما فلم يفهم . وقال اني اريد ان 'فصدك' لا ان انقلك ، قلت فانا لا اريد فارحنى اراحك الله . فاولاني كتفه وولى . ثم ليبت ان يبعث الى برقة الحساب وتعاضاني فيه خمسمائة غرس . فانه زعم ان عنده ناسا في الريف من الفلاحين يحجمون له تلك

الاعشاب مع انها مما ينبت على حيطان ديار القاهرة ، وما كفاه ذلك حتى
توعدني بانى اذا تأخرت عن قضائه كما تأخرت عن الفصل الثاني يرفع
القضية الى ديوان قنصله . فتقدمته المبلغ المذكور بتمامه وقلت لا بارك الله
فى الساعة التى ارتنا وجوه العجم وادبارهم . وها انا اليوم والحمد لله احسن
حالا . ومرادى ان اجتمع بصاحبك . واسكن لا بد من اكرامه قبل الزيارة
ثم انه امر غلامه بان ينتقى تحتاً من الثياب الفاخر وان يتوجه بها الى
الفارياق . فانه كان موقتئذ مبرطاً . ثم كتب له رسالة وجيزة مع ابيه . ات
فليلة تتضمن استدعاءه الى مجلسه فى اليوم القابل . وتفصيل ذلك يأتى
فى الفصل التالى .



الفصل الحادى عشر

في انجاز ما وعدنا به

كان للفاريق ص'حب من الديار الشامية يتردد عليه .. فلما وفد الخادم بالرسالة وتحت الثياب كان هو حاضرا . فقال للفاريق انا اذهب معك الى الخواجا ينصر فقد سمعت بذكره غير مرة واحب ان اراه . فقال له الفاريق ولكن اعل في الازواء اساءة ادب في حق المزور . (١) فان المدعو لا يليق به ان يستصحب احدا معه . قال لابس فان هذه عادة الافرنج فاما في مصر فيمكن للمدعو ان يستصحب ايا شاء . وللمستصحب ايضا اذالقى واحدا في الطريق من معارفه ان يستصعبه . ولهذا ايضا ان يستصحب آخر وللآخر آخر حتى يصير واسلسلقة اصحاب . بحيث لا يكون في السلسلة حلقة اثوية . وكلهم يكلمون المزور من دون محاشاة وينالوا منه الاكرام ويترحب بهم . ولا يمكن ان يسأل احدا منهم فيقول له واث ما حاجتك وأى كتاب وصاة عندك الى . وما اسم زوجتك أو اختك وما سنهن . وفي أى حارة بسكن كما تفعل اصحابك الافرنج . فلا تخش من الرجل جبها . وبعد فان لنا عليه دالة الادب . فهي تفنيئا عن دالة النسب . فاجابه الى ذلك وسارا اليه مع . والفاريق يرقل بنياه وقد اتخذ له عمامة كبيرة . فتذكر يومئذ عمامته باشام وسقائه تلك المشؤمة . فلما استفرا بمجلس المشار اليه بعد الترحيب والتلقى بالبشر والبشاشة . وبعد معاينة اوحشتنا لا نستنت . ومداركة^٢ نستلنا ووحشتنا . ومواترة سلامات طيبين . وموالاة طيبين سلامات . كما جرت العادة عند الخاصة والعامة . قال الخواجا للفاريق قد مررتي قدومك الى هذه الديار والله سبحانه وتعالى قد اسبغ

(١) ازوى رجل جاء معه آخر

علي نعمته لا شريك فيها . فقد قال الشاعر
 قالوا البعال ألد شيء يشتهي فاجبتهم هذا ضلال به
 اسداء معروف الى ذى حاجة اشهى وابقى وهو امر هين
 على انى لا اقول ان بك حاجة الى لكنى خنت من شكراك اذك محتاج
 الى ذى مرؤة وآسيك أو يسليك أو يتوجع . وقد وحب على الميام بما
 يسليك ما انت معانيه . سواء كان ذلك بالمواساة أو النصيحة . ولا سبما
 انه قد ظهر لى انك تنضم فى طلب العلم . وقد عانيت القريض . ولكن
 فى كلامك ما اتعمده عليك . وليس هذا وقت نهد وغميد . وانما اسالك
 أى كتاب من الادب قرأت . فابتدر صاحبه وقال قرأ كتاب بحث
 المطالب . فقال له لمد عجلت فى الجواب . فان هذا الكتاب فى النحو
 لا فى الادب . الا انكم ياتلاميذ الجبل تحسبون ان من فرأ هذا الكتاب
 فكافا قد استوعب العربية كلها دون افتقار معه الى نبي . من كتب اللغة
 والادب والشروح . وان الطالب منكم اذا أراد ان يحق كتابا أو خطبة
 فانما يستعمل بهض اسجاع مبتذلة ساكنة الروى . خيفة ان يلتبس
 عليه المرفوع بالمنصوب . ويتطال الى بعض اسعارات باردة . وتشبهات
 جامدة . حشوها الالفاظ الرقيقة والمعاني المتقلة لئلا من دون معرفة ما يستعمل
 من الفعل ثلاثيا أو رباعيا وما يتعدى به من حروف الجر . فعند قوله
 هذا نذكر القاريق قول المطران لقيمر قيعار واوجت فيها . فذكرها
 للخوaja المذكور فغلب عليه الضحك حتى فحصى الارض برجله . ثم
 قال نعم وان لى كتب الكتيبة كلها اغلاطا فانجحة من هذا النوع . فقد
 قرأت فى كتاب منها عن بعض الرهبان انه كان من لتواضع على جائب
 عظيم حتى انه كان كلما مر عليه رئيسه يعوم وينتصب عليه . أيله . وعن
 آخر انه يلقه عن راهبة ما انها كانت ذات كرامات ومشاهدات . فكان
 يستمنى دائما ان يراها . أى يتمنى وعن آخر انه كان خرج من دبره

وغاب عنه مدة طويلة ثم رجع فوجد رئيسه الاول قد مات وولى رئاسته احد اصحابه : وانه بعد ان تفاوضا وتباشرا قلده الرئيس خدمة تهيبب الرهبان ليلا . أى ايقاظهم من هب اذا قام : وعن بعض المطارنة انه كان اذا وعظ فى الكنيسة يتمط له كل من يسمعه : أى يتمط : وغير ذلك مما لا يحصى بل قد ورد فى الانجيل وكلام الرسل كلام فاسد المعنى ومنشاه فيما اظن جهل المعربين . فمن ذلك ما ورد فى انجيل متى خطابا عن المسيح عليه السلام احذروا لا يصلحكم احد فانه سيأتى باسمي كثيرون قائلين انا هو المسيح فلا تصد قوم . والمراد ان يقال ان كثيرا ينتحلون اسمى قيدعى كل منهم بانه هو المسيح . وشتان ما بين الكلامين . وفى رسالة مار بولس الى طيموثاوس . ولتكن الشمامسة ازواج زوجة واحدة . ومقتضاها اشتراك الشمامسة فى بضع واحد . معاد الله ان يكون كلامى هذا ازدرأه بالدين وانما اوردت ذلك شاهدا على جهل من عرب والى من اهل ملتنا . نعم ان بعض المطارنة قد القوا تأليف مفيدة جودوا عبارتها وحرروا معانيها . الا ان الجمهور من اهل الكنيسة جهال اغبياء لا يفهمون الا الكلام الفاسد الركيك . ولقد افضى بنا هذا الاستطراد الى غير الغرض . فلنعد الى ما كنا بصددده وهو اسمافاك ايها الحدين بما يريحك من حمل الخرج ، هل لك فى ان تكون كاتبا عند رجل من السراة الاغنياء يريد ان ينشئ ممدحا يكتب فيه بلغات مختلفة مساعيه ومعاليه ، فيكون شغلك فيه فى كل يوم نظم بيتين او اكثر بحسب الاقتضاء ، قال فقلت انى ياسيدى ما بلغت من العلم ما يؤهلنى الى هذه الرتبة ، ونحن هنا فى بلد العلم والادب فاخشى ان يتصدى لى قوم زيفون كلامى ويخطئوننى ، فاخجل والله بعدها من ان انظر الى وجه مخلوق من البشر ، فاني رجل احب الخمول وان بضاعتى فى ذلك لمزجة . قال لا تحس من ذلك فان اهل مصر وان كانوا قد تفصوا حد العلم وبرعوا فى 'مضل والادب على غيرهم . الا انهم لا يمتنون على الناظم او الناثر بلفظة

يخل فيها عفوا . او بمعنى يخطى فيه سهوا . فانهم اهل سماح ومياسرة .
على ان من نبغ في الشعر ان لم يلق من ينتقد قوله مرة ومن يخطئه اخرى
فلا يمكنه ان يصل الى مرتبة الشعراء المجيدين . ولو بقى ينظم ابيانا ويودعها
سمعه فقط لما عرف الخطأ من الصواب قط . فلا يكاد احد يصيب الا
عن خطأ . وقد جرت العادة بين الشعراء بان ما يستهجنه امضهم من
الاماني والالفاظ يستحسنه البعض الآخر .

فلا يزال الشاعر والمؤلف بين اثنين عادل وعاذر ومخطىء ومصوب .
ومفسيق ومبرى . ومعترض ومناضل . ورائق وفائق ومزق وراقى
وخارق وراقع . وحاضر ومسوخ . ومضيق وموسع وقائل لم وقائل لان
حتى ترجح حسناته سيئاته . وتداول الناس ابياته . وقد طالما حاول
الشهرة اناس بالقول المردود . والكلام المقصود . فمنهم من نظم ابياتا مهملات
اي عارية عن النقط فاهملت . ومنهم من التزم فيها الحبك بان يجعل في
اول كل بيت منها حرفا من حروف اسم الممدوح فتركت والغيت .
ومنهم من جعل دابه التجنيس والتوريث البعيدة فردت وزيفت .
واكتفوا من ذلك بمجرد الشهرة بين قومهم ولم يبالوا بالتمرض للوم
والتعنيد . وانى اعيد ذلك من ان تعد في جملة هؤلاء . فاي رأيت في انشائك
زوات افكار لطيفة تدل على قريحة جيدة : وسليقة متوقدة : وبعد فن
ذا الذى ما ساء قط . قال فقلت والله ان لك على لمنتين عظيمتين . الاولى
عنايتك بمعاشى . والثانية تنشيط اباى الى النظم . فقد كنت جزمت بان
لا اقول الشعر الا مكتوما عن الناس وها انا لك ياسيدي من الشاكرين
وبكرمك من الزائرين . ثم انصرف من عنده داعيا له وقد اضمر مفارقة
الخرجى في اليوم القابل .

الفصل الثاني عشر

في أبيات سرية

لم يكن لصاحبنا الفارياق عند انخراجه من الاثقال الاجتهاد فقط .
 فلذا تابعه طنبوره ووصع دواته في حزامه . وقال له . قد اغاثني الله واراني
 طريقاً غير التي طرقتها الى انت وحزبك انخرجيون . فانا اليوم مفارقتك لا
 محالة . قل كيف نفارقتني وما اسأت اليك في شيء . قال هذا الطنبور .
 يشهد عليك بانك سؤتني . قال ان العازف به لا تهمل له شهادة فكيف يصح
 شهادته هو مع كونه سبباً في جرح شهادة صاحبه . قال بل تصح كما
 صحت شهادة حجر البائن . وانه لينطق بمساويك كما نطمت اثنان جدله .
 ويدنه حتمون عنفاً شريك كما دله المدن بوق رببك . قال ما هذا
 الكلام . قل وحي والهوام . قال لا بأس في ان اعرف به فقد علمت
 ان الخادم عن حسد شكك . قال بل ابي عازف به عند من
 يقولون في زدد وبعاد واحسنت والله لا عند عجم لا يذكرون اسم الله
 لا في الابتهال . قال ثم خلعت راسططت . قال قد فرطت وقسطت
 فقال ان كنورد . قال انت من ايهود . ثم رلى عنه وهو سامد الرأس
 جحظ العينين من الغيظ . وساروا كثرى محلا آوى فيه الطنبور وتوجه
 الى الممدوح . فلما استقر به المجلس الا وورد بشير اليه وبه رقة فيها بيتان
 يراد ترجمتهما . فلما عرضا على مترجمي اللغات العجمية واديت ترجمتهما
 في جيبه الممدوح انتهت النبوة اخيراً الى الفارياق . فاخذ العلم وكتب
 ركب السري اليوم خير جوان . يايمته منا امتطى اكتافا

اذ ليس فينا راح اذ رافس بل كلنا يغدو به رافا
فلما قابل الجهمذ هذين البيتين بالاسل وجدتهما يشتملان على المعنى
اشتمال البطن على الجنين او الامعاء على العفج . مع عدم اخشوا بالالفاظ
التي يستعملها الشعراء غالبا لسد ما في ابياتهم من الخلل . فاعجب بهما
جدا وقال . هما حريان بان يفضلوا على الترجمة العجمية . فاي لا أرى
فيها الا معاملة الفاظ ولكن لعل هذه عادة العوم قد علم وعادهم . غير
انه لما اشتهر البيتان عند اهل الهند اعترض بعض ان قوله راح او رافس
من الالفاظ المترادفة فتكون الاولى او الثانية لغرا . فالاولى ان يقال
جاح او راح وفيه مع ذلك سجع . واجيب بان للفظ راح معاني كثيرة
منها الثور له قرنان واسم فاعل من رح اذا طعن بالرح او صار ذا رح .
ورح البرق لمع . ورد بان الثور ليس له مدخل هنا بقرنيه . فان الناس
لا تركب التيران وان اشار اليه المتنبي في الغيب . واسم الفاعل بمعنى طاعن
لا يناسب المعام . لان الموكوب لا يكون طاعنا . ثم ورد في اليوم القابل
بشيران معه رقعة فيها بيتان اخران فقال الفاريابي .

قام السري مبكرا لصبوحه فارتجت الارضون من تبكيره
او ما ترى ذى الشمس من شباكه مدت اليه شاعها لسروره
فاعترض على البيت الثاني انه غير لائق للاول . واجيب بانه متفرع
عليه ومرتبطة به . لان الارضين لما ارتجت وخشى العالمون سطوته ترضته
الشمس بشاعها . ورد بان ترضى الشمس كان متاخيا عن ارتجاج الارضين
فلا يفيد . واجيب بان الترضى حاصل على اى حال كان . فان الشمس
لا يمكنها ان تطلع قبل وقت الطلوع . وضحك قوم من هذا التعليل . ثم
ورد في اليوم الثالث بشير آخر فقال الفاريابي :

نام السري مهتئا بالامس لم يخطر بحاطره الشريف هموم

ان نام نامت امة الثقيلين او ان قام قامت والكرى جريم
فاعترض على لفظة الثقيلين انها ثقيلة . وان امة حقها ان تكون امةا .
ورد بان اللفظة خفيفة ولا عبء في كونها مشتقة من الثقل . ثم ورد في اليوم
الرابع بشير آخر فقال

شرب السرى خل شرب المسكر فاستغن عن فتوى الفقة المنكر
وانا اصر على الخلاف محرم فاعمد الى حد الحسام الابتر
فاعترض عليه انه مبالغة قبيحة تفضي الى الكفر وتعطيل الشرع .
واجيب عنه بانه طبق الاصل . ثم ورد في اليوم الخامس بشير آخر فقال
خرج السرى مع السربة ماشيا غلسا الى الحمام كي يتنمعا
من كان يدعك مرة جسميهما خلقت يداه على المدى ان تلتما
فاعترض عليه ان الاولى ان يقال ماشيين . ورد بانه لا يخطور منه
فان السرى هو الاصل بدليل تغليب ماشيين . ثم اعترض ان الافصح
ان يقال جسمهما او اجسامهما . واجيب بان الافصح لا ينفي الفصح .
ثم قيل انه ارتكب ضرورة بحذف حرف الجر في المصراع الاخير اذ حق
الكلام ان يكون خلقت يداه بان . على ان تثنى اليد هنا لا معنى لها فان
الناعك لا يدعك بكنتا يديه . واجيب بانه لا مانع من حذف الجر مع
ان . وان التثنية للايدان بان كل الجوارح مخلوقة لخدمة الممدوح . ثم ورد في
اليوم السادس بشير آخر فقال

خلع السرى اليوم نعليه على مثن عليه مبالغ في مدحه
فاستبشروا يا عصابة الشعراء من هذا السخاء يمينه وبسنحه
فاعترض عليه بان النمين والسنح بمعنى واحد . واجيب بانه كقول الشاعر
والننى قولها كذبا ومينا . ثم ورد في اليوم السابع بشير آخر فقال
حك السرى اليوم اسفل جسمه باظافر ظفرت بكل مؤمل
فالتاس بين مصفر ومرتل ومدقف ومزمر ومطبل

فاعترض عليه صرف اظافر ، واجيب بان ذلك غير محذور لاسبابها وقد
وليتها قوله ظفرت . ثم ورد في اليوم الثامن بشير آخر فقال
طوبى لمن في الناس اصبح حالقا رأس السرى الا جلس المحوسا
لا زال محفوقا بلطف الله ما حلت له شعراً شريفا موسى
فاعترض عليه بان المحوس غير وارد في صفة الرأس ، واجيب بانه لا
باس به هنا للجناس ، ثم قيل ان محفوقا مع ذكر الرأس ثقيلة ، واجيب
بانها خفيفة بالنسبة الى راس السرى ، قلت وكان الاولى ان يعاب عليه
قوله طوبى لمن ، فانه مطلق لا يفيد ان السرى حلق راسه في يوم معين ،
غير ان الجناس في المصراع الثاني شفع في البيت كله ، ثم ورد في اليوم
التاسع بشير آخر فقال

بسم الزمان عن المني وتنورا لما استبحم سرينا ونورا
ان المعالي من اسافله زهت والشعر بالشمرء اكسب مفخرا .
فاستحسن هذان البيتان جدا لما فيهما من المطابقة والجناس التام وغيره
الا قوله مفخرا ، ثم ورد في اليوم العاشر بشير آخر فقال

قحب السرى واى شههم ماجد بين البرية مثله لا يقحب
ذى سنة فرضت على كل الورى ان الخالف منهم ليصاب
فعيب عايه لفظة قحب واجيب بانها فصيحة بمعنى سعل ، ثم ورد في
اليوم الحادي عشر بشير آخر فقال

عطس السرى فكلتا يبكى دما وارتاعت الارضون والافلاك
حرس لاله دماغه عن عطسة اخرى تموت برعبها الاملاك
ثم ورد في اليوم الثاني عشر بشير آخر فقال
فسى الامير فامى عرف عاطر فى الكون فاح واى مسك دبقا
يليت اعضاء العباد جميعهم تغدو لنشوة ذا العبير انوفا
وعيب عليه قوله فسى . اذ التكثر هنا لا معنى له . واجيب بان القليل

المنسوب الى السرى كثير . وعليه بظلام للعبيد . فان اذن ما يكون من
نقد في حق السرى تعالى كثير . ثم ورد في اليوم الثالث عشر مبشر ان
مات .

حبلى سرى اليوم في وقت الضحى واجواد كن ليس يسفر عن شرق
يتبعها . رت 'رجله' اريجه . فكان من حبلى له عرف الحبلى
فانه يحسنه لا فيها من التحنيس . ثم ورد في اليوم الرابع عشر مبشر ان
اخرا ن فقال .

ور اسهل اليوم 'سرى' فكلنا فرح فنى اسهاله التسهيل
فاسهاله سيرا خرا اليه مطرزا وتساهوا ان البطيء قتيل
فاسهاله حسن ثبيت الاول للجناس . وعيب عليه قوله مطرزا . اذ
المتعارف هنا لاه وجب له بل فيه ايلام . واحيب انه طبق الاصل . وان
حق الترجمة ان لا يزيد على الاصل المترجم منه في المعنى ولا تنقص عنه
ولا سمي في الامور الشبهة الخطيرة . وقد كان يجب ان يعاب عليه قوله
. كذا فرح وان علمه بمولده فنى اسهاله التسهيل . اذ المتبادر ان التسهيل
سبب عن حشف المذوح وكان الجناس شفع فيه .

ثم اب 'نقرايق' بعد امضا . هذه المدة الدكية رأى من الواجب ان
يرور . مع . ونزعه 'جرى' له . فلما شرف بمجلسه ساهه الخواجا عن
حاله . 'لله' قد كنت و . سيدى ان ازورك قبل الان لكن خشيت
ان يعلق به 'ديث' اثر من الرائحة الى شملتني .

فقال له لا خير في ذلك ولا سيما اذا تعودت عليها . وان نادى لا
يرج كل يوم يعقبه امثالها من زيرة امثال السرى . وهذا شأن ام دقار .
ولكن كيف حالك من جهة المعيشة . قل قد اكثرت لى دارا صغيرة
رشتريت حارا . وتعتت حادة تصالح لى الدار . وحادما ليصلح الحار .

وانا الان يجاهدن وفضلك في احسن حال ثم انصرف من عنده
زاعياً له .

(سر ينى وبين القارىء)

قد كان طبيب الجزيرة نصيح للفاريق ان يجانب النساء اى يتعد
عنهن لا انه يلصق بجنبنهن فان في قربهن حينا له فالنق قوله كذبا ومينا .



الفصل الثالث عشر

في مقامة مقعدة

لا يمكن لى ان ايت الليلة مستريحا حتى انظم اليوم ممامة . فقد عودت فلمى في هذا الموضع موالاة السجع . وترصيع الفقر الرائعة للعفل الرائقة للسمع . الشائقة للطبع . فاقول .

حدث الهارس بن هشام قال . بينا انا امشى في اسواق مصر واسرح ناظرى في محاسنها . واتهافت على النظر الى جمال شوافنها . فتدركنى جمال مدائنها . فالطأ بقرار حائط واضباً باخر . واجعل يدي تارة على عيني وتارة على ما هو اصغر منها او اكبر . اذ اوما الى فتى من حانوت له عليه لوانع هيبة ومنزلة . وحبوبة في الترائب متخللة . غير متحجلة . فعال ان شئت ان تصعد الى هنا الى ان ينفض زحام الابل . وتنساع غصمة هذا الازل الارل . فانك لدينا لمن المفر بين : وانى باكرامك لمعين . فوجدت دعوته كدعوة الداعى يحى على الفلاح . وقلت ما يابى السماح . الا من فاته انصلاح : وعمه عن النجاح : كيف لا وقد اوشكت جوارحى ان تعود محروجة : وضائق باجمال ابلكم الارض وهى فسيحة : فابتسم ابتسامة اسعرت عن لحن للعول سريع . وطبع انى ايلاء المعروف ذريع ثم صمدت اليه فوجدت عنده نفرا عليهم عمام مختلفة . ولهم وجوه مؤلفة . فلما سلمت متوددا . وتبوت ما بينهم مقعدا . قال رب الخانوت هل لك فى ان تنتظم معنا فى سلك جدال قد شغلنا من انضحى . وجعلنا له الاذان كغفال الرحى ، فهو دار على كل منا بالمنابوه .

ومستدرك ختامه باوله بالمعاقبه ، دون درك ومعاقبه ، اذ ليس فيه افضاء الى البحث في الاديان ، وانما هو امر مباح لكل انسان ، فقلت ان كان مرجعه الى العقل فقد كلفتموني ادا ، وشططتم في انتظامي معكم جدا ، اذ لست بصاحب اسفار ، بل حليف تطواف واسفار ، وان كان الى الطبع فان بي لطبعا سليما ، وخلقنا قويمًا ، قال هذا الثاني هو مركز دائرته ، وفيصل محاورته ، فلت فاملاً اذني اذاً من جدالك . وألقى على إعدال عدالله ، قال اعلم . فرج الله عنك كل غم . اني انا والحمد لله من المسلمين المؤمنين بالله وبرسوله . وبوحيه وتنزيله . وان صاحبي هذا الودود . واشار اني احد القعود : هو من النصراري والآخر من اليهود . والآخر امعة ما له اعتماد ولا جحود . وانا قد تنازعنا كاس البحث في الزواج . وافضنا فيه كما تفيض من عرفات الحجاج . أما النصراني فانه يزعم ان طلاق المرأة مفسدة من اعظم المفاسد . ومنذمة تمنى المطلق بالنقص والمكاييد . ووجه غسادهما على مقتضى زعمه . وقد رفهه . ان الزوجة اذا علمت انها تكون عند زوجها كالمتاع المنتقل . وكثوب المبتذل . موقوفة على بادرة تفرط منها أو هفوة تنقل عنها . لم تخلص له سريرتها . ولن تمحض له مودتها . بل تعيش معه ما عاشت في انقباض وإيجاس . ووحشة وإبتاس . ونكد ويأس . وتدلّيس والبأس . واذا انزلته منزل مبتاعها . واعتقدت ان متاعه غير متاعها . وانه لا يلبث ان يلاعنها أو ييسارثها . أو يخالعهما أو يكسوها ثياب النجمة . ويقول لها الحقى باهلك . أو استفلحي بامرك . أو انت على كظهر امي . أو حبلك على غاربك ، وعودى الى كناسك ، عند اهلك وناسك ، فما انت لى باهل ، وما انا لك بيعل ، لم تحرص له على حاجة ولا على سر ، ولم يهبها ما ينزل به من الشر : وربما خائنه في عرضه وماله وكادت له مكيدة فضحته بها بين اقرانه وامثاله . وهنالك محذور آخر . ادهى وانكر . وانكى واضر : وامض وامر : وهو ان المرأة اذا فركت زوجها

وحرضت . واعناق دقت . وعيون لقت . واسنان هثمت . وأنوف شرمت
وشعور ندفدت . ولحى نفقت . وايدق طعت . وانساب ضيعت . وكتائب
كثبت . وكنب كتبت . (حاشية من جملتها هذا الكتاب) وخيل
ركضت . وسيوف ومضت . ورماح شرعت . واحزاب تترعت . وجبال
دكت ونسفت . وبيوت اقوت وعفت . واملاك حربت . وملوك
استخربت . وبلدان خربت . بل امم تهاكت وفيت . وقرون اندرجت
ونسيت . ثم تأوه وقال وسعة نفدت . ودانير نهلت . قال الهارس فعلمت
انه قد صدعه الصدع بساله . وعظه ناهاته عند تغلفه فيه وابغاله .
ولذلك كان يفيض في حديثه ويخوض فيه . ايعذر هل من مصاب مثله
وعنده علم ما يشفيه . ثم التفت الى مستمعياً . وقال وانت ما ترى . قلت والله
انها لاحدى الكبر . ومعضلة تفيض لها العبر . قد طالما ارتبك فيها العالم
النحرير . وضل عن علمها اللبيب الخبير . لا جرم ان معرفة الافلاك
وكواكبها وايشاء معادن الارض وعجائبها . واسرارها وغرائبها .
لاهن على من اقول فى هذه المسألة نعم أولا . فا ارى الا سكوتى عنها
أولى . ثم بينا هم يوجهون ويسلبون . ويوجزون ويسهبون . اذ بالقاريق
مر عليها راكباً على حمار قاره . سامد سامه . فلما بصرت به قلت له نزال
نزال . وحي على هذا العدال . فانرى غيرك جديراً يا صاحبه . وبشفائنا
من صاحبه . قال فى أى امر مريخ كنتم تخوضون . وعن أى ذكر مشيخ
انتم تخوضون . قلنا له فى الزواج . فهل العلاج . فبتدروقال . على ارتجان .

مسألة الزواج كانت ثم لا تزال اول انهر امرا عضلا

ان يكون الطلاق يوما حللا للزوج اين ابتغاه فعلا

فليس عندى رشد ان تحفلا زوجته عنه ولا ان تمضلا

ان لم يصيبا للوافق سبلا فدعهما فليفعلا ما اعتدلا

ايان شاءا طلما وانفصلا

قال فضحكنا من افتحاره ما لم يذكرك في المكتب . وقلنا له الى حمارك
عن كئيب . فما نرى رأيك الا بدعا . ولقد اسأت جابة بعد ان اصبحت
سمعا . ثم تفرقنا كما اجتمعنا . وعجبنا مما سمعنا .

هـ

الفصل الرابع عشر

في تفسير ما عارض من الفاظ هذه المائة ومعانيها

ليس في لغتنا هذه الشريفة ولا في لغة امة اخرى من الامم اعطت دل
على فاعل ومفعول أو فاعلين اشتركا في فعل واحد للذاتهما ونفعهما .
واحتماجا الى من يدخل عليهما ليتعرف منهما أى رفع ونصب يجري
بينهما . وبيانه ان لفظة الزواج عندنا معناها ضم واحد الى آخر حتى
يصير كل واحد منهما زوجا لصاحبه ولكن من دون قيد مكان ولا زمان
فلو تزوج زيد بهند في سهل أو على قنة جبل أو في كهف في يوم واحد
أو الاثنين أو السبت بشرط التراضي بان يكتب الرجل للمرأة صكاً مقدونا
بزواجه بها أو يشهد على ذلك رجلين لصح . هكذا كانت سنة نساء
المتقدمين من الانبياء وغيرهم كما هو مسطور في تواريخهم . بل لم يكونوا
يقسمون انفسهم لا بالصك ولا بالشهود . أما لفظ النكاح فعند احرار
امراة على أى وجه كان . وذلك لان عرب الجاهلية لم يكن عندهم آداب النكاح
ونظام وغيرهما حتى جاء الشرع فعرّفه وميز الحلال من الحرام منه .

قال ابو البقا في الكليات — ولكن لم اجد في فصل النون فان رأيت في غيره انجزت ما وعدت به . وكنت اريد استشهد بكلامه على ان اسم الشكاح لم يزل الى الآن مستعملا وانه في كتب الفقه اكثر من ان يحصى . وهو حجة على من انكره من النصارى وعلى من استعاض من ذكره . وانما استعملته العلماء من دون محاشاة لاسباب . الاول انه استعمل قديما من الجاهلية فابنته العاقلية . الثاني لوروده في القرآن . الثالث لاشتماله على اربعة احرف وفقا للطبائع والناصر والجهات ؟ الرابع لورودها في اسرار سور القرآن : فالنون في ن والفلم وما يسطرون والكاف في كهيمص والالف في الم والحاء في حم . الخامس انك اذا قلبت هذه اللفظة بدا لك منها معنيان شريفان . الاول اسم فاعل من حيى والثاني فعل امر من كان . وبه برزت الموجودات الى العيان . وتجلت الحقائق لذوى العرفان السادس نخفة اللفظ وحلاوته . السابع لكون اوله يدل على آخره وآخره على اوله . وقد سمي هذا النوع بمضهم دلالة الاول على الآخر وبالعكس قال وفائده انه لو استشهد القاضى احدا على فاعله فنطق بالنون والكاف ثم غنى عليه أو على القاضى لمحزا لذلك . عرف من بقى غير مفشى عليه الخمس انقاضى ما ارادته . وكذلك لو طرأ عليه اداء الشهادة ما قطعه عن الكلام شوقا وهيبة فلم يسمع منه الا الالف والحاء لدل هذا الجرح الاخير مع قلة حروفه على جميع ما يراد من المدلول . قلت وهو تعليل بديع غير ان هذه التسمية لا توجد في كتب البيانين والبديعيين . ولست احب الالفاظ الطويلة فالاولى ان ينحت له لفظ من تلك الجملة بحيث يسم الطرف . فان قلت بل قد استعملت الفاظا طويلة جدا في وصف البرنيطة بقولك المستنبحة المستقطعة مع انه كان يمكنك ان تصفها بالفاظ قصيرة . قلت كان ذلك من باب مراعاة التنظير . فان طول البرنيطة يقتضيه . فاما مدلول اللفظة بدى نحن صدده فانه قصير . ثم اني كنت ابتدأت كلاما في اول

هذا الفصل ولم انه فان القلم زلق بي الى معني آخر على عادته . واظن ان الجنب الرفيع أو الحضرة السنية لم يفهما فنم اقول الآن .

انه اذا كان المراد من الزواج ان كلا من الزوجين يزواج صاحبه لنفسه لا لاهل البلد والمعارف والاصحاب كما كان عليان يا كل فعذ الدجاجة لام على . لم يكن من المعقول ان يدمق عليهما ذو قبعة فيقول للمرأة لا تتزوجي هذا لكونه لم يسم بطرس . ثم يقول للرجل لا تزوج هذه لانها لم تسم مريم . او ان يقول هذا يوم الاحد لا يصح فيه الزواج . وهذه حجة لا يحل فيها البعاء . واذا لم يصح ان يقول لها اني اتيك في السكينة ومثل هذا الكلام لعمري لا يليق باحد ان يقوله او يكتبه . ثم ان المرأة هي من الاشياء التي لكثرة تكرار النظر اليها كالشمس والقمر لم يود العقل حق اعتبارها . وبيانه ان الله عز وجل خلق المرأة من الرجل لتكون بمنزلة معين له على مصالحه المعاشية ومونس له في وحشته وهمومه . الا انا نرى ان هذه العلة الاصلية كثيرا ما تستحيل عن صيغتها الاولوية حتى ان بله الرجل وهمه ووحشته ونحسه وشقاوته وحرمانه بل هلاكه يكون من هذه المرأة . فتقلب تلك الاعانة احانة . وتلخيصه ان الانسان ولد في هذه الدنيا محتاجا الى اشياء كثيرة لازمة لحفظ حياته : وذلك كالاكل والشرب والنور والدفء . والى اشياء اخرى غير لازمة للحياة وانما هي لتقويم طبعه حتى لا يخل . وذلك كالضحك والكلام واللهو وسماع الفناء واتخاذ المرأة . الا ان هذا الاخير مع كونه جمل في الاصل لتقويم الطبيعة اذ يمكن للرجل ان يعيش حينما ما من دونه . فقد غلب على سائر اللوازم المعاشية التي لا بد منها . ان ترى ان من يحلم بالمرأة يجد منها في الحلم ما يجده منها في اليقظة . وليس كذلك من يحلم بانه اكل عسلا او شرب سلافا . بل وقوع هذا نادر جدا حتى للجائع والعطشان . وقد طالما رضى اصحابنا الشعراء بطيف الخيال من المحبوب . وما احد منهم رضى على

جوعه بان يبعث اليه ممدوحه بكاس مدام في الحلم او تريده . واذا تناون
 الانسان طعاما طيبا لونا كان او لونين بقى عدة ساعات مكتفيا بما ناله غير
 مفكر في القدر ولا فيما يقتدر فيها . حتى يعاوده الجوع فيطلق ح يفكر
 في تناول طعام آخر . ولكن لم يسمع عن احد من الناس في حالتي الجوع
 والشبع انه كان كلما رأى طائرا في الجو اشتهى ان يمع على سفوده في
 البيت حتى يسترطه . او انه كان لا يزال يخصص في دكاكين الطباخين
 والبدالين والزياتين ويلالوص من ثقوب اففاهم ومن خصاص ابوابهم
 وشقوق حيطانهم على ما عندهم من اصناف المأكول . نعم ان الجائع في
 بلاد بحسب كل مستدير رغيفا كما يقال . وفي بعض بلاد الافرنج ربما
 حسب ايضا المستدير والمطاول وذا شق كظلال الشاة وذلك لتغنيهم في
 اشكاله . غير ان الجائع الى الساء ليس له شكل ينتهي اليه . وكذلك قضية
 الشرب فان القائل بعد ان يروى غليله بالساء فاذا جىء اليه بكاس من
 التسبم عافه . وكذلك البردان المحتاج الى اندف . فانه متى لبس ما يدفعه
 من الثياب ويحمله بين الياس لم يتطال بعد ذلك الى كل ثوب ينظره في
 دكاكين السجمر معرضا للبيع . ولو رأى مثلا قوس قزح او روضة مدبجة
 بالازهار البهيجة لم يتمن ان تكون الوانها في سراديله او قميصه . وانه
 يراها ويستحسنها مجرد استحسان من دون ان يشغل بها خاطره ولبه .
 ولا حلم ليلته تلك انه رأى روضة انيقة او يتصور وهو متوسد على فراشه
 انها لو كانت حيال مخدته لزاد ذلك في تنعيمه او عمره . وقس على ذلك
 انما اذا نام كفايته على فراش غير وطىء . فان منظر الفراش الوثير بعدد لاهمه
 والحاصل ان للانسان عقلا في يافوخه يدله على ما ينفعه ويضره
 ويسوءه ويسره . وان في كل من معدته وحلقومه ميزانا قويا يزن به ما هو
 محتاج اليه من الطعام والشراب وبه يدري مضمون قوهم رب الكفاية
 حرمت الكلات . فاما في امر المرأة فالقانع العزوف يغدو شرها رغيبا .

والرشيد غويا : والحليم سفيها : والمهتدى ضالا : والحكيم عمها : والعالم
جاهلا : والفصيح عيبا : وبالعكس . والصبور جزوعا ولا عكس .
الفتى شيخا ولا عكس . والفتى فقيرا وبالعكس . والفظ لطيفا ولا
عكس . والسمين نحيفا وبالعكس . والمعافى مبتلى ولا عكس . والمتنبت
متفشمرا وبالعكس . والبخيل كريما ولا عكس ، والساكن متحركا
وبالعكس ، والطرد هكسا وبالعكس ، وهلم جرا . واذا رأى امرأة تبغضه
فربما أحبها . او تحبوه كلف بها . او تعرض عنه تعرض لها . او تملق
اليه وتعلمته فتن بها . او ترميه بحقيبتها على ثقلها جن بها . الا ولو حضر
مجلسا كان فيه ،

امراة وضيفة	حسنة نظيفة .
وهيئة	حسنة الهيئة ،
ومحياة	الجارية المخدرة لم تزوج بعد :
وذباة	الجارية المهزولة المليحة الخفيفة الروح :
وجرباء	الجارية المليحة :
ورخبة	ضخمة :
وخرعوب	الشابة الحسنة الخلق الرخصة او البيضاء اللينة الجسيمة اللحيمة الرقيقة العظم .
ورخبة	الجارية الغنجة الرخيمة :
ورطبة	معروف :
وسرربة	المرأة الجسيمة الطويلة :
وشطبة	الطويلة الحسنة الخلق
وشطبة	الجارية الحسنة الغضة الطويلة
وشنبا	ذات شنب وقد ذكر تحت البرقع
وصقبة	الطويلة التارة

وصهباء	الصهب حمرة او شقرة في الشعر كالصهبة والصهوبة
وعجباء	المرأة يتعجب من حسنها
وقباء	الدقيقة الخصر الضامرة البطن
وكبكاية	المرأة السمينة
ومكدوبة	التقية البياض
وكاعب	التي نهت ثديها
ولعوب	الحسنة الدل
ووطباء	المظلم - الندي - الرطب الندي العظيم
وهدياء	الكثيرة شعر اهدب
وذات صلوة	الصلت الجبين الواضح وقد صلت ككرم
وصموت الخلعالين	غليظة الساقين لا يسمع لها حس
وخوئا	الحدثة الناعة
و بلجاء	البلجة نقاوة ما بين الحاجبين هو ابلج وهي بلجاء
ومبهاج	حسنة
وجائعة الوشاح	ضامرة البطن ومثلة غرني الوشاح
وخدجة	المرأة المثلثة الذراعين والساقين
ودعجاء	الدعج سواد العين مع سمها
ورجراجة	يترجرج عليها لحمها
وزجاء	الزجاج محرك دقة الحاجبين في طول والنعت
	وزجاء ،
وممذجة	المثلثة الناعمة الحسنه الخلق ،
ومفلجة الاسنان	الفالج تباعد ما بين الاسنان .
وييدح	بادن ونحوه بلدح .
ودحوح	عظيمة .

و ذات سجاجة	سحج الخد سهل ولان وطال في اعتدال .
ودملحة	الضخمة التارة ؛
وصلوحة	عريضة وكذا ساطحة وصلطحة .
وقفاح	المرأة الحسنه الخلق .
ووضاحة	البيضاء اللون الحسنه .
وييدحة	ترة
وبلاخية	عظيمة او شريفة
وصمخة	المرأة الغضة
وطباخية	انسابة المكثرة
وفتخاء الاخلاف ناقة فتخاء الاخلاف انفمت اخلافها قبل بطنها ذم وفي	
المرأة والضرع مدح	
وفرضاخه	ضخمة عريضة او طويلة عظيمة التدين
وقفاخ	المرأة الحادرة الحسنه الخلق
ولباخية	لحيمة
وهبيخة	الناعمة التارة
ومجنداة	المرأة التامة القصب كالبحندى
وبرخداة	الجارية الناعمة التارة
ومبرندة	الكثيرة اللحم
ونأدة	المكثرة الكثيرة اللحم
ونوهدة	السمينة التامة الخلق وكذا الشهودة والفوهدة
ونهمد	السمينة العظيمة
وجداه	الصفيرة التدين
وجيداه	الطويلة الجيد الدقيقة
ربضة المجرد	بضة عند التجرد

وخبنداة	جارية خبنداة تامة القصب او نارة ممثلة او ثقيلة الوركين
	وساق خبنداة مسنديرة ممثلة
وخرید	الخرید البكر لم تمس او الخفرة الطويلة السكوت
	الخافضة الصوت المسترة كالخريدة والخرود
	تنبيه — (المرأة الحشوب الدردحة الضمزر اللهرة العكبرة القعسوس
	الجباعة التدمة اكثر دلا وغنجا من جميع هؤلاء)
ورخودة	الليانة العظام السمينة
ورعدبد	رخصة
ورهيده	الشابة الرخصة الذعمة
وعبرد	الجارية البيضاء الناعمة ترتج من نعمتها
وعضاد	المرأة الغليظة العضد
وعمدة	الشابة الممتلئة شبا بالعهودانيه
وغادة	المرأة الناعمة الليانة البينة الغيد
وغيداء	المتنمية لينا
ومقصدة	المرأة التامة العظيمة تعجب كل احد والقي الى القصر
ومأدة	الحارية الناعمة
ومسودة	محدولة الخلق
واملود	المرأة الناعمة الليانة
وناهد	كاعب
وبهيرة	السيدة الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة وكذا البهيلة .
وبشيرة	جميلة
ومباشرة	الحسنة الخلق واللون
وتارة	ممتلئة الجسم
وترة	الحسناء الزعناء

وجحاشة	الضخمة الحادرة الحسيمة العيلة المفصل العظيمة الخلق
وجهره	مؤنت الاجهر وهو الحسن المنظر والجسم التامة
وحادة	والاحول المليح الحولة
واحورية	السمنية او الحسنه الجميلة
وحوارية	اليضاء الناعمة
وحوراء	• الخواريات نساء الامصار
	الحوران يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها
	وتستدير حدقتها وزرق جفونها ويبيض ما حوالها
	او الخ
وذات تدهكر	ترجرج
ومدمرة	المرأة المكتلة المجتمعمة
ومزرة	طويلة جسيمة
وزهراء	المرأة المشرقة الوجه
ومسبورة	الحسنة الهيئة
ومسمورة	الجارية المعصوية الجسد غير رخوة اللحم
وشغفر	المرأة الحسناء
وصيرة	الحسنة الصورة
وعبقر	تارة جميلة
وعبيرة	الريقة الدشرة الناصمة البياض والسمنية الممتلئة
	الجسم كالمبهر والحاممة للحسن في الجسم والخلق
وعجنجرة	المكتلة الخفيفة الروح
ومعصر	التي بلغت شبابها وادركت او دخلت في الحيض او
	راقت العشرين
وغراء	بيضاء وكذاقراء

وذاث افتار	افتر ضحكك ضحكنا حسنا
وفزراء	المعتلة لحما وشحما او التي قاربت الادراك
وقفاخرية	النييلة العظيمة من النساء
ومرمورة	المرمورة والمرارة الجارية الناعمة الرجراجة
	ومشرة الاعضاء ريا
ومطرة	لازمة للسواك او للتنظف والاعتسال
وذات مكرة	المكرة الساق الغليظه الحسنا
ومكورة	المطوية المخلق من النساء والمستديرة الساقين او المدبجة
	المخلق الشديدة البضعة
ومارية	بيضاء براقة (من مار)
وذات فضرة	حسن وبهجة
ووثيرة	الوثيرة الكثيرة اللحم او الموافقة للمضاجعة
تذنيه - (المرأة الرينة الدفصة الدفصة القنبصة الصعلة الطهمل	
الضلفع الضوكة الرصماء القشوانة الكرواء اكثر دلا وغنجا من جميع	
هؤلاء) .	
وهذكر المرأة التي اذا مشت حركت لحما وعظامها .	
وهيدكور	الكثيرة اللحم والشابة الضخمة الحسنة الدل كالهذكورة
وبلز	المرأة الضخمة او الخفيفة .
وعكوزة	الحادرة التارة
وغمازة	الجارية الحسنة الفمز للأعضاء
وكناز	كثيرة اللحم صلبة
وآنسة	الجارية الطيبة النفس
ويهس	الحسنة المشى
وخروس	البكر في اول حملها

وخنساء	تقدم ذكرها تحت البرقع .
ومركس	الجارية طلع نهدا فاذا اجتمع وضخم فقد نهد .
وعيطموس	المرأة الجميلة او الحسنة الطويلة التارة كاطموس .
وعلمطيس	الجارية التارة الحسنة القوام .
وعانس	التي طال مكثها في اهلها بصد ادراكها حتى خرجت من عداد الابكار .
وقدموسة	ضخمة عظيمة .
وقرطاس	الجارية البيضاء المديدة القامة .
وكنيسة	المرأة الحسنة .
ولعساء	من في لونها دنى سواد .
وليس	الينة الملمس .
وعشة	المرأة الطويلة القليلة اللحم او الدقيقة عظام اليد والرجل .
موخر بصة	المرأة الشابة التارة .
ودخوص	الجارية المتلثة شحما .
ورخصة	معروف .
وبضباضة بضبة	الرخضة الحسد الرقيمة الحلد المتلثة .
وخر بضة	الجارية الحديثة السن الحسنة البيضاء التارة .
ورضراضة	في معنى رجراجة .
وغضة غضبضة الطرف	الغضة الناضرة من الطرف الفاتر .
وقارض	ضخمة .
وفضفاضة	الجارية الاحيمة الحسية الطويلة .
ومفاضة	الضخمة البطن .
وخوطانة	جارية خوطانة وخوطانية كالغصن طولاً وبعمه .
وسيطرة الجسم	حسنة القد .

وشطة	حسنة القوام طويلة .
وشناط	المرأة الحسنة اللون . والقوام .
وذات عنط وعيط	طويلة العنق حسنة .
وذات شناط	مكتنزة اللحم كثيرته .
وملعة	الجارية السمينة الطويلة الجسيمة .
و بقاء	اشديدة المفاصل والمواصل من الجسد .
وبريعة	فائقة الجمال والعمل .
وزيعة	ظريعة مليحة كيسة .
ومتلع	الحسنة لانها تتلع راسها تتعرض للناظرين اليها
وسايعه	اخيملة اللينة المفاصل اللطيفة العظام .
وشبعى الخللخال والسوار	ضخمة تملأها سمنا .
وشموع	مزاحة لعوب .
وصمعا	الصفيرة الاذن والاذن الصفيرة اللطيفة المنضمة الى الرأس
وخرعاه	عظيمة الضرع .
وفرعاه	قامة الشعر .
ولعة	عفيفة مليحة .
ولاعة	التي اغازلك ولا تمكنتك (قلت لانها تليع مغازلها بذلك)
واثيف	عليه رائحة الانف .
وخنخرف	امرأة الضخمة اللحمية الكبيرة الثديين .
وذلقا	تقدم ذكر الذلف تحت البرقع .
وذات سجنف	السجنف دقة الخصر وخماسة البطن .
وسرعوف	المرأة الطويلة الناعمة .
وسفيانة	الطويلة المشوقة الضامرة .
وظريفة	الظرف اتسا هو في اللسان او حسن الوجه والهئية او

يكون في الوجه واللسان او النزاعة وفكا القلب او	
الحذق او لا يوصف به الا الفتيان الازوال والفتيات	
الزولات لا الشيوخ ولا السادات .	
الفرصافة من النساء التي تتدحرج كأنها كرة .	وفرصافة
المرأة الضخمة .	وقصاف
واحدة اللف للجوارى السمان الطوال .	ولاء
وحسنة المعارف والموقنين المعارف الوجه وما يظهر من المرأة والموقفان	
الوجه والقدم او العينان واليدان وما لا بد لها من اظهاره	•
ضامرة البطن دقيقة الخصر .	ومهففة
الهيء ضمير البطن ورقة الخاصرة .	وهيفاء
الحسناء لها بهجة وبريق كالابريق	وبراقة
المرأة الحمراء جدا .	وبهلق
نعت محمود للمرأة عند الجماع .	ومحاروق
الطويلة العظيمة او السريعة المشى .	وخرباق
حسنه القد لطيفته .	ورشيقة
التي كان الماء يجري في وجهها	ورقراقة
حسناء تعجب	وروقة
الطويلة الساقين او الحسنتهما .	وسوقاء
المرأة التي اذا تطيبت بادنى طيب لم يذهب عنها ايما .	وعبةقة
الجارية اول ما ادركت .	وعائق
طويلة ليست بضخمة ولا مثقلة .	وعشمة
واسهتهما شديدة سواد سوادهما	وغبرقة العينين
امرأة غرائق وغرقة شابة ممثلة .	وغرائق
غزل بالعينين .	وذات غرقة

- وذات لمة غرائفة ناعمة تفيثها الريح .
وفتق جارية فتق ومفتق منعمة .
ولبعة الحسنه الدل واللبسة .
وملصعة الضيقة المتلاحمة .
ولقة شديدة البياض .
- تنبيه — (المرأة الطرطبة المتخبضة الزغادية المكبازات الحردبة والسنتبة
البلعثة الخرنا الخنطوب المكبرة المثدنة الخطلا أكثر دلاً وغنجا من جميع
هؤلاه) .
- ومشوقة خفيفة اللحم .
ورودكة حسناء في عنفوان شبابها .
وضبرك المرأة العليمة الفخذين .
وضكضاكه قصيرة مكنتزة .
وضناكه الصلبة المنصوبة اللحم .
ومعروكة متداخلة .
وعكوكه القصيرة الملززة أو السمينة .
وعصنب اللهاء التي ضاق ملتقى فخذيهما مع ترارتهما .
وعاتكة المرأة المحمرة من الطيب .
ومفلك التي استدارنديها .
ومككاكه المككاكة والككاماة القصيرة المجتمعمة الخلق .
وهبركة الحارية الناعمة .
- وسيلة احسن الاسيل من الحدود الطويل المسترسل .
ومبيلة الحيلة كاهما بتل حسنها على اعضائها اى قطع والتي لم
يركب بمض لحما بعضا وفي اعضائها استرسال .
ومبلك المرأة الغضة الناعمة .

وجمول جملاء . الجمول السمينه والجملاء الجميلة والحسنة الخلق من كل حيوان .
 وخدلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها أو الممتلئة الاعضاء لحما
 في دقة عظام كالخدلاء .
 وخلة المرأة الخفيفة .
 ودحمة الضخمة النارة .
 ودحمة السمينه أو الحسنة الخلق .
 ومكسال نمت للجارية المنعمة لانسكاد تبرح من مجلسها مدح .
 ورخيمة رنحت الجارية صارت سهلة المنطق فهي رخيمة ورخيم
 ورقيمة المرأة العاقلة البرزة وفي ب رز امرأة بررة بارزة المحاسن
 أو متجاهرة كهلة جليلة الخ .
 وميسانة الضحى مدح وعوه تؤوم الضحى .
 وحسنة الخفيين أى صوتها وائر وطئها يقال اذا حسن من المرأة خفيها
 حسن سائرها .
 وغانية المرأة التى تطلب ولا تطلب والى غنيت بحسنها عن الزينة .
 (تنبيه المرأة القرزح القيلع الخنجل الخزمل الحكمة الخ مثل الجملة الجميلة
 الخنكلة الفيطة اكبر غنجنا وتدعبا من جميع هؤلاء ،
 وسيأتى تنمة وصف الحسان فى الفصل السادس عشر من الكتاب
 الرابع اذ لم يبق لى من حراك وقوة لذلك واحسب القارىء نظيرى . وانما
 اقول . نعم لو كان فى ذلك المجلس السعيد جميع هؤلاء الحسان على
 اختلاف الوانهن لود ان ينظمن كلهن فى سلك واحد ويجعله فى عنقه
 كسبحه اولياء الله المفردين . ومن مارأتى فى ذلك رجعت الى قصة سيدنا
 سليمان عليه السلام فانه مما اوتي من الحكمة وما ادراك ما الحكمة . فقد
 كان سلكه يشتمل على الف امرأة . منهن ثلثمائة سريرات والباقي سريرات .

فكان له كل يوم امرأتان ونصف وكسور . الا ولو انه أى الرجل رأى الشمس طالعة والبدر بازغا والكواكب مضيئة لكان اول ما يخطر بباله ان يقول .

لقد تزينت هذه السماء بهذه النيرات البهية . فتى تزين حجرتى بواحدة من اخواتهن او باثنتين او ثلاث او بعشر او بالسبعة كلها . ولو رأى غوطة او روبة او جبلين متناولين او نوقا او حشة او هذفا او شقبا او قوزا او دعصا او كونلا او خوطا يناود او بحرا يتموج او عوطبا او طاووسا او نقاحا او رمانا او عقد در منظوم او شيئا آخر يروق العين لسبق وهمه الى امرأة . بل ربما تصور واحدة لم يكن قد رآها قط ولا وجود لها فى الاعيان ولو رأى سفينة مآخرة فى اليم وعليها شراعها اشبهها بامرأة ترفل بشياها فى الطرق كما كان داب احدا لخرجين المتورعين . ولو رأى حمامتين تتزاقان وتتلاسنان قال ليت الى الآن من ازقها وتزقنى والاسننها وتلاسننى وانقرها وتنقرنى . ولو رأى ابا برائل (١) بين ضغادره يلتمهن مما لديه . و يصفق لهن بجناحيه ويحثل اليهن ويتجفل ثم يحلج بينهن لود ان يكون نظيره . وحسبك بذلك من دناءة واهابة هذه الصورة البشرية التى يقال فيها انها خلقت على مثال الخالق تعالى عن الشبهة والنظير . الا ولو انك القيت فى جب سيدنا يوسف . وفى فلك سيدنا نوح . وفى بطن حوت سيدنا يونس . وعلى ناقه سيدنا صالح . ومع اصحاب الكهف . لصرخ قائلا المرأة المرأة . ومن لى بالمرأة . ولو انزلته فى

بناتة الروضة المعشبة .

ورقمة الروضة وجانب الوادى او مجتمع مائه .

ودقيرة الروضة الحسناء العميمة النبات

(١) ابو برائل كذا هي فى نسخة القاموس التى عندي بالفتح الا ان قوله البرائل كما لبط ماستدار من ريش الطائر حول عنقه يقتضى انه مضمو.

ووديفة	الروضة الخضراء .
وغلباء	الحديقة المائكة .
وعلجوم	البستان الكثير النخل .
ومخرقة	البستان .
وحديقة	الروضة ذات الشجر .
وفي حجرة وعلية وغرفة ومقصورة وخدر وحجلة ومنصة .	
وسدار	شبه الخدر والموصد الخدر .
وحشة	القبة العظيمة .
وجنبذة	كالقبة .
وعرش	الخيمة والبيت الذى يستظل به كالعرش .
وكرح	بيت الراهب ومثله الكرح
وكوخ	البيت المسنن من قصب .
وصومعة	بيت للنصاري .
وربع	الصومعة .
وفنر	بيت يتخذ على خشبة طولها نحو ستين ذراعاً للربيعة :
وهو	البيت المقدم امام البيوت .
وحلة	جماعة بيوت الناس أو مئة بيت والمجلس والمجتمع .
وفسطاط	السرادق من الابنية ومثله المضرب .
وكبس	بيت من طين .
وحفش	البيت الصغير جداً .
وجنز	البيت الصغير من الطين .
وخص	البيت من القصب أو — .
وردهة	البيت الذى لا اعظم منه .
ومجلوه	البيت الذى لا باب فيه ولا س :

وَأُمُّ	البيت الدفء .
وَأَقْنَةُ	بيت من حجر .
وَطَرَافُ	البيت من آدم .
وَوَسْوَطُ	بيت من بيوت الشعر أو هو اصغرها .
وَوَطْنَفُ	السقيفة تشرع فوق باب الدار .
وَوَزْلُ	ماهيء للضيف ان ينزل عليه .
وَوَغْنَى	المنزل الذي غنى به اهله ثم ظعنوا أو عام .
وَوَعْمَدُ	المنزل المعمود به الشئ .
وَوَعْمَانُ	المباة والمزل .
وَوَنْدَى	مجلس القوم نهائاً أو — .
وَوَمَرْتَجُ	الموضع يرتفعون فيه في الربيع .
وَوَمَصِيفُ	ومشتى معروف .
وَوَدْسُكْرَةُ	بناء كالقصر حوله بيوت أو — .
وَوَشْرِقَةُ	موضع القعود في الشمس بالشتاء .
وَوَضْحَاةُ	ارض مضحاة لاتكاد تغيب عنها الشمس .
وَوِظْلَةُ	شئ كالصفة يستتر به من الحر والبرد .
وَوِشْرَبَةُ	الغرفة والعلمية والصفة .
وَوِسْعَنَةُ	الزفن أو مطلق المظلة .
وَوِظْلَةُ	الكبير من الاخبية .
وَوَسَابِاطُ	سقيفة بين دارين تحتها طريق .
وَوَعْرَزَالُ	بيت صغير يتخذ للملك اذا قاتل الخ .
وَوَكْنُ	البيت .
وَوَقِيطُونُ	الخدع .
وَوَسْرَبُ	الحفير تحت الارض .

وديناس	الكن والسرب والحمام .
وبرج	معروف .
وصهوة	البرج في اعلى الراية .
وصرح	القصر وكل بناء عال .
وعقر	البناء المرتفع .
وطربال	كل بناء عال .
وازج	ضرب من الابنية .
وايوان	الصفة العظيمة كالازج .
ورواق	بيت كالقسطاط أو سقف في مقدم البيت .
واجم	كل بيت مربع مسطح وبضمتين الحصن .
وكعبة	الغرفة وكل بيت مربع .
واطم	القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع ومسطح .
ووشيم	عريش يبني للرئيس في المعسكر .
وسنيق	بيت محصص .
وجوسق	القصر .
ودوشق	البيت ليس بكبير ولا صغير أو البيت الضخم .
وقهقور	بناء من حجارة طويل .
وبغبور	الحجر الذي يذبح عليه القربان للصنم .
وزور	مجلس القناء .
وبد	بيت الصنم .
وزون	الموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وزين .
ومسجد	معروف .
وكنيسة	معروف .
وفهر	مدارس اليهود تجتمع اليه في عيدهم أو — .

ومدارس الموضع يقرأ فيه القرآن ومنه مدارس اليهود .
وفي كوكبان حصن باليمن رصع داخله بالياقوت فبكان يلمع كالكوكب .
والجوسق دار بنيت للمقتدر في دار الخلافة في وسطها بركة من
الرصاص ثلاثون ذراعاً في عشرين .

وقصر النعمان الذي بناه السنار هو رجل اسكاف بنى قصراً للنعمان
ابن امرء القيس فلما فرغ القاء من اعلاه لثلاثين لغيره مثله
أو هو غلام لا حيحة بنى أطمة فلما فرغ قال له لقد احببته
قال اني لا عرف فيه حجراً لو نزع امتقوض من عند آخره
فساله عن الحجر فاراه موضعه فدفعه احبحة من الاطم فخر
ميثا .

والجمفرى قصر للمتوكل قرب سر من رأى .
والمارد حصن بدومة الجندل .
والابلق حصن بتياء قصدتهما الزبا فمعجزت فقالت تمرد مارد وعجز
الابلق .

وصرواح حصن بناء الجن لبليس .
ودار الخيزران بمكة بنتها خيزران جارية الخليفة
وقصر بهرام جور من حجر واحد قرب همدان .
وقصر غفراء بالشام .

والهديع بناء عظيم للمتوكل بسر من رأى .
وزعيرة حصن قرب الكرك .

وقصر عسل بالبصرة .

والند حصن باليمن .

والنقر حصن بها .

وسمدان حصن بها عظيم .

والشخب حصن بها .
 وثربان حصن بها .
 وهران حصن بها .
 وشواحط حصن بها .
 والموهبة حصن بها .
 والظفير حصن عاتي صنعا
 واسيس حصن باليمن
 والنجير حصن قرب حضر موت
 وغمدان قصر باليمن راه يشرح باربعة وجوه احمر وابيض واصفر
 واخضر وبني داخله قصراً بسبعة سقوف بين كل سقف
 اربعون ذراعاً . لما انفك ان يصرخ ويقول المرأة المرأة .
 ومن لى بالمرأة . ولا عيش الا مع المرأة . ولو انزلته في
 شعب بوان احدى الجان الاربع .
 وصنعا د باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق :
 والسفد بساتين زهرة واما كن مثمرة بسمرقند .
 والشعران جبل قرب الموصل من اعمر الجبال بالقواكه والطيور .
 والوهط بستان ومال كان لمرو بن الماص على ثلثة اميال من وج
 كان يعرش على الف الف خشبة شراء كل خشبة درهم
 وبلنسية د شرقي الاندلس محفوف بالجنان لا ترى الا مياهها تدفع
 ولا تسمع الا اطيارا تسجع .
 ومرسية د اسلامي بالمغرب كثير المنارة والبساتين :
 وثمانين بلد بناء نوح عمّ لما خرج من السفينة ومعه ثمانون نفساً .
 وجابلص د بالمغرب ليس وراءه انسى .
 والراهون جبل بالهند هبط عليه آدم عمّ .

والجودى جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام
وقاف جبل محيط بالارض أو من زمرذ وما من بلد الا وفيه
عرق منه وعليه ملك اذا اراد الله ان يهلك قوما امره فحرك
فخسف بهم .

والقيق جبل محيط بالدنيا ومثله القيق .
والساهرة ارض يجردها الله يوم القيامة . لما انفك يصرخ ويقول
المرأة المرأة . ومن لى بالمرأة . ولا عيش الا مع المرأة بل
لو صعد الى

المشرق باب للتوبة فى السماء .
وطوبى شجرة فى الجنة .
وعليين فى السماء السابعة تصعد اليه ارواح المؤمنين جمع على .
والضراح البيت المعمور فى السماء الرابعة .
وبرقع اسم للسماء السابعة أو الرابعة أو الاولى .
والحاقور اسم للسماء الرابعة .
والصاقورة اسم للسماء الثالثة .
والغرفة السماء السابعة وكذا عروبا وفيها سدرة المنتهى .

وعقبون بحر من الريح تحت العرش فيه ملائكة من الريح معهم
رماح من الريح ناظرين الى العرش تسبيحهم سبحان ربنا
الاعلى .

والاعراف سور بين الجنة والنار . لاخذ يزق بمجامع خلقه ويقول
المرأة المرأة . فاني ما دمت بشرا لا بد لى من المرأة . ولو
اريت من الغرائب

السكينة شىء له راس كرأس الهر من زبرجد وياقوب وجناحان .
والكواذ تابوت التوراة .

وقرطى مارية هى مارية بنت ارقم أو ظالم كان فى قرطها مائتا دينار
أو جوهر قوم باربعين الف دينار أو درتان كيشضى حمامة
لم ير مثلها قط فاهدتها الى الكعبة .

وقنطرة خرزادا أم ازدشير بسمرقند بين ايدج والرباط من عجائب
الدنيا طولها الف ذراع وعلوها مائة ومخسون اكبرها مبنى
بالرصاص والحديد .

ونابوت تاحة هى تاحة بنت ذى الشفر قال ابن هشام حفر السيل
عن قبر باليمن فيه امرأة فى عنقها سبع نخاق من در وفى
يديها ورجليها من الاسورة والخلخال والدماليج سبعة
سبعة وفى كل اصبع خاتم فيه جوهره مثمرة وعند رأسها
تابوت مملوء مالا ولوح فيه مكتوب باسمك اللهم اله حمير
انا ماحة بنت ذى شفر بعثت مائرا الى يوسف فابطأ
عليها فبعثت لادتي بمد من ورق لتاتينى بمد من طحن فلم
تجده فبعثت بمد من ذهب فلم تجده فبعثت بمد من بحرى
فلم تجده فامرت به فطحن فلم انتفع به فاقفلت فمن سمع بى
فليرحمنى واية امرأة لبست حليا من حلي فلا ماتت الاميتى .

وذا الدمار سيف العاص بن منبه قتل يوم بدر وكان كافرا فصار الى
النبي صلى الله عليه وسلم ثم صار الى على .

والكشوح من السيوف السبعة التى اهدتها بلقيس الى سليمان
عليه السلام .

والجن حى من الجن منهم الكلاب السود البهم او سفلة الجن .
وضعفاوم وكلاتهم او خلق بين الانس والجن .

واورم الجوز قرية بحلب فيها اعجوبة وهى ان المجاورين لها من القرى
يرون فيها بالليل ضوء نار فى هيكل فيها فاذا جاءوه لا

يرون شيئا .

والرقي

جني يرى فيحجب

وفرس قايين

الذي قال له هـ جدم يقال اول من ركبه ابن آدم القاتل
حمل على اخيه فزجر الفرس فقال هج الدم فخفف .

والمصافير

شجر يسمى من رأى مثلى له صورة كالمصافير كثيرة
بفارس .

والنسناس

جنس من المخلق يثب اقدم على رجل واحدة وفي
الحديث ان حيا من عاد عصوا رسولهم فسخم الله
نسناسا لكل انسان منهم يد ورجل من شق واحد
يتقزون كما ينقر الطائر ويرعون كما ترعى البهائم وقيل
اولئك انقرضوا وانوجود على تلك الخلقة خلق على حدة
اوم ثلاثة اجناس فاس ونسناس ونسانس والنسانس الاناث
منهم اوم ارفع قدرا من النسناس اوم ياجوج وماجوج
اوم قوم من بني آدم او خلق على صورة الناس وخالفوهم
في اشياء ولبسوا منهم .

ودعموصا

رجل زناء مسخه الله دعوصا لدويبة او دودة سوداء
تكون في الفدران اذا نشت .

وعبودا

عبد اسود اول الناس دخولا الجنة .

وامر بن جدرة

اول من كتب بخطنا

ومرامرا

اول من وضع الخط العربي

وأباعروة

رجل كان يصيح بالاسد فيموت فيشق بطنه فيوجد
قلبه قد زال عن موضعه .

وطخمورت

ملك من عظماء الفرس ملك سبعمائة سنة .

والوضاح

رجل ملك الارض وكانت امه جنية فلحق بالجن

ملائكة هبطوا مع آدم وبقيّة حملة الحجّة لا تخلوا الارض منهم	والرابضة
ابصل اللقاح شبيه بصورة انسان	واليبروح
السم البقة الداخلة انف عمروذ .	وسكينة
نملة كلمت سليمان عليه السلام .	وطاخية
اسم النملة المذكورة في القرآن .	وعيجلوف
دابة بحرية تنجى الفريق تمكته من ظهرها ليستعين	والنخس
على السباحة وتسمى الدلفين	
دابة تكون في الجزائر تجس الاخبار فتانى بها الدجال	والجساسة
طائر كبير يحمل الكركدن .	والرخ
دابة تحمل الفيل على قرنها .	والكركدن
دابة تحمل الفيل بقرنها	والزبرى
سمك وحية تسكن البحر ويأتى الاسود من البر فيصفر	والعقام
على الشط فتخرج اليه العقام فيتلايان ثم يفترقان	.
فيذهب كل منهما الى منزله .	
سلحفاة تبيض تسما وتسعين بيضة كلها سلاحف	وبنت طبق
وتبيض بيضة تنقف عن حية	
طائر يصيد الفردة	والفلتان
طائر يحترق الريش ان وقعت ريشة منه في الطير احرقته	والبلت
طائر بالهند لا يحترق بالنار	والسمندل
طائر اغبر يعلق برجليه ويصوت بصوت كانه يقول	والتهبط
انا اموت انا اموت	
طائر كالحمام صوته انين اوه اوه	والانن
طائر ياخذ الصبي من مهده	والزماح
فرخ على عهد نوح عليه السلام مات عطشا او صاده	والهديل

جارج من الطير لما من حمامة الا وهى تبكى عليه
 طائر يمسح جناحيه على عيني القنذع الديوث فيزداد ليما
 طائر عظيم بمنتهاره اربعون نقبا يصوت بكل الانعام
 والالخان العجيبة المطربة ياتي الى رأس جبل فيجتمع من
 الحطب ما شاء ويفعد ينوح على نفسه اربعين يوما ويحتمل
 اليه العالم يستمعون اليه وينتظرون ثم يصعد الى الحطب
 ويصفق بجناحيه فينقذ منه نار ويحترق الحطب والطائر
 ويبقى رمادا فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا في
 الشفاء . لمد عنقه وجعل اصابعه في اذنيه واذن صارحا .
 هاى هاى المرأة المرأة . ارونى المرأة . ما يحزننى شيء .
 عن المرأة . ولو انك لاعبته

والفرقنة
 والفنفس

بالجناني
 وحدهدني
 والطبطابة
 والقرطبي
 والككبك
 والكوبة
 والههباب
 وككتكى
 والجحيني
 والكشكشى
 والطح
 واللونة
 والانبوة

لعبة للصبيان
 لعبة للتبايط
 خشبة عريضة يلعب بها بالكرة
 ضرب من اللعب ونوع من الصراع
 لعبة
 الرد او الشطرنج
 لعبة للصبيان
 لعبة
 لعبة البجائة اى التراب
 لعبة بالتراب
 لعبة للصبيان يرمون بخشبة مستديرة تسمى المططة
 خرقة تجمع ويلعب بها
 لعبة يدفنون شيئا في حفير فن استخرجده غلب

والشطرنج	معروف
والخروج	لعبة يقال لها خراج خراج
والقزج	رقص للمعجم
والفجعة	لعبة يقال لها عظم وضاح
والكعبة	لعبة ياخذ الصبي خرقة فيدورها كأنها كرة
والكجكجة	لعبة تسمى است الكلبة
والجاح	قرة تجعل على رأس خشبة يلعب بها الصبيان
والجمع	رمى الصبي الكعب بالكعب حتى يزيله عن مكانه
ودحندح	لعبة للصبية يجتمعون لها فيقولونها فن اخطاها قام على رجل وحجل سبع مرات
والداح	نقش يلوح للصبيان يعللون به ومنه الدنيا داح
والزجاجة	حبل يعلق ويركبه الصبيان
والدباح	لعبة
والدماخ	لعبة للاعراب
والمطخة	خشبة يلعب بها الصبيان
والطريدة	لعبة تسميها العامة المسة والضبطة فاذا وقعت يد اللاعب من آخر على بدنه رأسه او كتفه فهي المسة واذا وقعت على الرجل في الاسن
والنرد	معروف
والمواغدة	لعبة وان تفعل كفعل صاحبك
والبقار	لعبة
والبقيرى	لعبة
والجمرى	لعبة للصبيان وهو ان يحمل الصبي بين اثنين على ايديهما
والحاجورة	لعبة تخط الصبيان خطا مدورا ويقف فيه صبي ويحيطون

به ليأخذوه	
لعبة للزنج والحباش .	والذكر
شيء يلعب به الصبيان .	والسحارة
لعبة للصبيان	والسدر
لعبة للصبيان .	والعرعة
لعبة .	والشعارير
لعبة للصبيان أو الصواب الميجار .	والمنجار
خشبة يلعب بها بالكجة .	والتوز
عرز لفلان قبض على شيء في كفه ضاماً عليه أصابعه	والعرز
يريه منه شيئاً لينظر اليه ولا يريه كله .	والقفزى
لعبة للصبيان ينصبون خشبة ويتنافزون عليها .	والنغاز
لعبة لهم يتنافزون فيها أى يتوالبون .	والكسة
الكجة .	والحوالس
لعبة للصبيان .	والدسة
لعبة .	والدعكة
لعبة للمجوس كالرقص .	والفسفى
لعبة لهم .	والفاعوس
لعبة لهم .	والبوصاء
لعبة لهم ياخذون عوداً فى رأسه نارفيدرونه على رؤسهم .	والرقاصة
لعبة .	والخوطة
لعبة تسمى الدارة .	والخطة
لعبة للاعراب .	والضبطة
لعبة لهم .	والتضرفت
وهو ان تركب احدا وتخرج رجلين من تحت ابطه	

وتجملهما على عنقه .

والضربطية	لعبة لهم .
والمقط	مقط الكرة ضرب بها الارض ثم اخذها .
والمرصاع	دوامة الصبيان وكل خشبة يدحى بها .
والبرمع	المخدروف .
وقلوبع	لعبة لهم .
والجحفة	اللعبة بالكرة .
والمخدروف	شيء يدور به الصبي بحيث في يده فيسمع له دوى ويسمي أيضا المخدرة والقرصافة والمخدروف أيضا طسين يعجن بعمل شبيهها بالسكر يلعب به الصبيان .
والزحلوفة	تزلج الصبيان من فوق التل الى اسفله .
والعياف	العياف والطريدة لعبتان لهم .
وقاصة قرصافة	لعبة لهم .
والخزقة	ضرب من اللعب .
والدبوق	لعبة .
والزحلوفة	الارجوحة .
والشفلقة	لعبة وهو ان يكسع انسانا من خلفه فيصرعه .
والعفة	لعبة .
والعفة	التي يلعب بها الصبيان .
والفريق	لعبة الصدر .
والسكرك	لعبة لهم .
ودبي حجل	لعبة .
والدخيلياء	لعبة لهم .
والدرفاة	لعبة للصبيان .

والدركلة	لعبة للمجم أو ضرب من الرقص أو هي حبشية .
والقتال	لعبة للصبيان يخبون الشيء في التراب ثم يقسمونه ويقولون في أيها هو .
والقيال	لعبة لفتيان العرب .
والدمة	لعبة .
والدروامة	التي يلعب بها الصبيان فتدارونسمي أيضا المصراع .
والمرغمة	لعبة لهم .
والشحمة	لعبة لهم
وعظم وضاح	لعبة لهم
والمهزام	عود يجعل في رأسه نار يلعبون به
والبرطنة	ضرب من اللهو كالبرطمة
والتون	خرقة يلعب عليها بالكعبة
والطبن	لعبة لهم
والقنين	لعبة للروم يتقامر بها
والكبنة	لعبة
والدمه	لعبة للصبيان
والجدهاء	خشبة مدورة تلعب بها الأعراب
واحاساة	حاساه لاعبه بالجوز فردا أو زوجا
والمرة	لعبة
والقاة	عودان يلعب بهما الصبيان .
اشحرفاه وشعاه وعجاء وزاد صراحا وضجيجا وهو يقول المرأة الا	ملاعبونى بالمرأة . ولو انك طر بته
باب	معروف .
والمرطبة	العود أو الطيور أو الطبل أو طبل الحبشة .

والكوبة	البربط والطبل الصغير المحصر .
والدرج	شىء كالطنبور يضرب به .
والصنج	شىء يتخذ من صفر يضرب احدهما على الآخر وآلة باوتار يضرب بها معرب والصيار صوت الصنج .
والوخ	ضرب من الاوتار او العود او المعزف .
والعود	معروف .
والمزمار	ما يزمّر به ويقال له ايضا الزنجر والرنبق والصلبوب والنقيب والقصابة والمبنوقة .
وا	العود يضرب به .
الشبور	البوق ويقال له ايضا القبع والفتح والقنع والصور
والطنبور	معروف .
والكنارات	العيدان أو الدفوف أو الطبول أو الطنبور .
والكوس	الطبل .
والبربط	العود .
والشيع	مرمار ازاعى .
والهيرة	اليراعة يزمر بها الراعى .
والدف	معروف .
والمسفة	آلة يضرب بها الصنج ويحوه .
والمركل	الدف والطبل
والصفانة	من الملاحى معربة .
والطن	الطنبور أو العود .
والقنين	الطنبور .
والكران	العود أو الصنج .

والون	الصننج .
ينظر فاعرافه وهو يزعم ويقول المرأة المرأة . لا فطريوني بالمرأة . ولو اطعمته	
الجوزاب	طعام يتخذ من سكر ورز ولحم .
والقبيب	الاقط خلط رطبه بياسه .
والكباب	معروف .
والسنوت	الزبد والجبن وانمسل وضرب من الخمر .
والفينة	المصيدة المفلطة أو مرققة تنبه الحيس .
والنفية	طعام اغاظ من السخينة .
والعانة	سمن واقط يخلط .
والفينة	لت الاقط بالسمن كالمبيضة .
والسكاج	معروف .
والطهجة	اللحم المشرح .
والاجبة	طعام جاهلي .
والاخيرة	دقيق يعالج بالسمن أو بازيت .
والنفخة	طعام يعالج بانثر والاهالة .
والنكاح	ادام .
والتريد	معروف .
والرشيدة	طعام معروف فربسته رسته .
والرهيدة	البريدق ويصب عليه لبن .
والشميدة	البرق المشوى .
والنفيد	اللحم المشرر المنقذ .
والخنيذ	حند الشاة شواها وجعل فوقها حجارة حماء لينضجها
	فهى - نيزد .
وانماورد	طعام من البيض - لحم ويسمى ايضا الميسر .

والبرابر	طعام يتخذ من قريك السنبيل والحليب .
والبورانية	طعام ينسب الى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المأمون .
والجاشرية	طعام
والجماجر	ما يتخذ من المعجين كالتماثيل فيجعلونها في الرب اذا طبخوه .
والحريرة	دقيق يطبخ بلبن او دسم .
والحمر	السمن بالمسل يلققها الصبي .
والخبور	الطعام المدسم والخيرة والثريدة الضخمة — والطعام واللحم وما قدم من شئ وطعام يحمله المسافر في سفراته وقصعة فيها خبز ولحم بين أربعة أو خمسة .
والخزيرة	شبه عصيدة بلحم .
والصحية	اللبن الحليب يفلن ثم يصب عليه السمن .
والغذيرة	دقيق يحلب عليه لبن ثم يحشى بالرضف .
والقرفور	سويق من تمر الينبوت .
والمرى	ادام الكامخ .
والمضيرة	مرقة تطبخ باللبن المضير .
والنجيرة	لبن يخلط بطحين أو سمن .
والوعير	لبن يفلن ويطبخ .
والخاميز	مرق السكاج .
والخنيز	الثريد من الخبز القطير .
والمررز	الطعام المعالج بالرز .
البيدسة	لت الاقط المطحون بالسمن .
والحميسة	القلية .
والحيس	تمر يخلط بسمن واقط فتمجن شديدا
والكسيس	لحم يجفف على الحجارة فاذا يبس دق ويصير كالسويق .

والهريسة	معروف .
والبوش	طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع ويفسل في زبيل في جرة ويطين ويحمل في تنور .
واخشيش	السويق وحنطة تطحن جليلا فتجعل في قدر ويلقى فيه لحم أو تمر فيطبخ .
والترش	السمن من الشواء .
والعجشة	طعام من اللبن وحب الحنظل ونحوه .
والكرشة	طعام يعمل من اللحم والشحم في قطعة مكورة من كرتس البعير .
والكوشان	طعام من الرز والسمنك .
والأمص	الآهص والامص طعام يتخذ من لحم عجل بجلده أو مرق السكباچ المبرد المصفى من الدهن .
واخبيص	طعام من النمر والسمن ويسمي أيضا البروك .
والعص	ضرب من الطعام .
والكريص	طبخ الحماض باللبن ويجفف فيوكل في الفيط .
والنصوص	طعام من لحم يطبخ وينقع في الخل أو يكون من لحم الطير حصة .
واللقمة	شيء يتخذ من الخيض الفضي
والبرقع	طعام يفرق فيه اتريت كثيرا .
والهبة	الارز يطبخ باللبن معرب .
والخليط	الجدى اذا سلخ فشوى .
والسميط	الجدى اذا نزع شعره فشوى .
والسربص	حسا كالحريرة .
والسوطه	مرقة كثر ماؤها ونمرها أي بصلها وحصها وسائر الحبوب .

والتشبيط	لحم يشوى للقوم .
والخديعة	طعام لهم .
والخديعة	طعام بالشام من اللحم مشتق من خذع اى حرز وقطع والخذع الشواء .
والخلع	لحم يطبخ بالتوابل فى وعاء من جلد أو القديد المشوى فى وعاء باهاته .
والرصيعة	البريدق بالقهرو بيل ويطبخ بالسمن .
والوضيعة	حزمة تدق فيصّب عليها السمن فيؤكل .
والثميعة	مارق من الطعام واختلط بالودك .
والخطيفة	دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ .
والصفصفة	السكاجية .
والطحرف	حسا رقيق دون المعصيدة .
والموخف	طعام من اقط مطحون يذر على ما ثم يصب عليه السمن .
والالوقة	طعام طيب أو زبد برطب .
والحروقة	طعام اغلظ من الحسا .
والمدقة	من الطعام مولدة .
والروزق	الحمل السميّط وما طبخ من لحم وخلط باخلطه .
والزريقاء	التريدة بلبن وزيت .
والسليفة	الذرة تدق وتصلح أو الاقط خلط به طرائث وما سلق من البقول ونحوها .
والسويق	معروف .
والشبارق	ما اقتطع من اللحم صفارا وطبخ .
والوشيق	لحم يتقدح حتى ييبس أو يغلى اغلاة ثم يتقدح ويحمل فى الاسفار

والوليمة	طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن .
والديك	طعام من الزبد واللبن أو زبد ونمر ونبات ونمر الورد
	الاحمر يخلفه ويحلو كانه رطب الخ .
والريكة	اقط بتمر وسمن
والسهيكة	طعام
والفريك	طعام يفرك ويلت بسمن وغيره .
والليكة	اقط ودقيق أو - وسمن يخلط .
والودبكة	دقيق يشاط بشحم .
والبيكة	دقيق بالرب أو بالسمن والتمر .
والخذل	حب شجر ويخبز .
والطقيشل	نوع من المرق .
والعوكل	ضرب من الادم .
وازوم	طعام لاهل اليمن من اللبن لذيذ .
والعاصم	السويق والسكباج .
والهلام	طعام من لحم عجل بجلده امورق السكباج المبرد المصفى
	من الدهن .
وسخينة	طعام رقيق يتخذ من دقيق .
وانكبان	طعام من الذرة اليمينية
والتليينة	حساء يتخذ من نخالة ولبن وعسل .
والجليهية	تمر يعالج باللبن .
والارة	القديد ولحم يغلى با نخل اغلاة فيجمل في السفر .
والاصية	طعام كالحسى بالتمر .
والاطرية	طعام كالتيوط من الدقيق .
والكدى	لبن ينقع فيه التمر تسمن به البنات . ولو اطعمته من

انواع الكأة الذبح والفرحانة والفرحان والغرد وبنات أوبر والجماميس والتمق
والبرنيق والذعلوق والقمبل والمرجون والعرهون من انواع السمك
القباب والهازبي والكنعت والكنمد والخباط وهي اولاده والبينيث
والمدج والابدح والتقد والغوير والزميز والزنجور والاشبور والطنز والانقليس
والجوفى واللخم وابا مريتا .

والصلنباح	سمك طويل دقيق .
والخافرة	سمكة سوداء .
والجرى	سمك طويل امس لا ياكله اليهود وليس عليه فصوص
والصر صران	سمك امس .
والفارة	سمكة طويلة .
والقيصانة	سمكة صفراء مستديرة .
والشبوط	سمك دقيق الدنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس كانه مربوط .
والجنيس	سمكة بين البياض والصفرة .
والضلمة	سمكة صغيرة خضراء قصيرة العظم .
والخفة	سمكة بيضاء شاكة .
والعفة	سمكة جرداء بيضاء طعم مبطخوها كالارز .
والخذاق	سمكة لها ذوائب كالخطوط .
والخاقول	سمك اخضر طويل .
والقتن	سمكة عريضة قدر راحة .
والغلاء	سمك قصير .
والهف	السمك الصغار الهاربة .
والبلم	صغار السمك .
والصحناة	ادام يتخذ من السمك الصغار .

والاصططكة (بالضم). ومن المرائب هذا ان صاحب الاماموس
اورد التي بالكسر بعد ان س م والتي بالضم بعد
ص ط م

وارحلحة	القيمة من الخبز وكذا الصريمه
والملحوح	خبز شبه الفطائف
ولا نبخاني	خبزة انبخانية ضخمة
واخيرة	التريدة الضخمة
والمشطور	الخبز المطلى بالكاف
والسلجن	الكملك
والخنيز	الريد من الخبز المطير
والشرس	اليابس الرخو من الخبز كالشراش
ولهشاش	الخبز الرخو اللين
والمربة	الخبز المشحمة ونحوها المرولة
والراق	الخبز الرقيق
والضفيرة	خبز الارز المرفق
دلى	الخبزة المنفجة (ومن اجناس الناس)
السمج	البابن الدسم الحار ومنه السميع والسمج ولسمج
والطية	ابن الامر والضن يخلطان او لبن الناقة والنشاة
رشميط	الا يدري احامض هو ام حتين من طيبه
والجاء طيط	اللبن الرائب الثخين ومثله لبن عجلط وعثلط وعداص
	وعكلط وعبط . تقدم محوى بفيض كان يتكلم بالاعراب
	الى ابن فقال بالان اعندك لبن عثلط عبط
	فقال له اللبان تنصرف او تصنع

والكفخة	الزبدة المجمعة البيضاء .
والداخة	الزبدة الذائب مع اللبن .
والقشدة	الزبدة الرقيقة .
والقلدة	القشدة والتمر والسويق يخلص به اتسمن .
والنهيذ	الزبد الرقيق .
والعكيس	اللبن الحليب تصب عليه الاهالة .
والتميرة	اللبن الذي ظهر زبد .
والنخيسة	لبن العنز والنمجة يخلط بينهما .
والانخاض	الحليب مادم في الممخضة .
والخالوم	ضرب من الاقط اولبن يعلظ فيصير شبيهها باللبن الطرى (ومن الحلواء)
انوطية	تمر يخرج نواه ويه جن بلبن والاقط بالسكر والكمك .
والعبية	طعام ومزاج من العرظ حلو .
والبرت	السكر .
والضبيح	العسل والمقل .
والنخ	عسل في جلد المظ
واليمقية	طعام يعقد بالعسل
والفارد	ايض السكر واجوده
والقند	عسل قصب السكر
والتمانيذ	صرب من الحلواء
والصمر	عسل الرطب والدبس
والاكبر	شئ كانه خبيص يابس يس بشديد الحلاوة يجي به النحل
والعاليذ	م ويسعى ايضا الرعيد والززع والزيل والكص والزعر

العسل الابيض او الجديد او خالصه و جيده	الماذى
حلواء	المسير
معروف معرب	واللوزينج
ثريد العسل	والوخيز
القالوذ والعسل	واللواص
القالوذ او الحبيص	والسرطراط
تمر ميجن بلبن	والجميع
معروف	والقطائف
نوع من العسل	والكرسفى
الشهد والزبد والعسل	والطرم
كل طل ينزل من السماء على شجر او حجر يحلو وينعقد عسلا	والمن
ويجف جفاف الصمغ الخ	والزلاية
حلواء معروف . (ومن التمر)	الصربة
شئ كراس السنور فيه شئ كالديس يحص وبوكل	والعرب
شجر كالرمان بوكل	والبوت
شجر نباته كالزعرور	والرغناء
عنب له حب طوال	والجوح
البطيخ الشامى	والصمدح
ثمرة اشد حمرة من الصاب	والملاحى
عنب ابيض طويل ونوع من التين	والمنجد
الزبيب او ضرب منه	والقرصاد
التوت او حملة او احمره	والقند
ثبت بشبه القثاء او الخيار	والكشد
حب يؤكل	

والمرید	التمر ينقع في اللبن
والخقد	تمر يشبه الخيار
والحنان	المشمش
والصفرة	تمر ياتي بجفف بمرأ فيقع موقع السكر في السويق
والضمر	لعنب لذابل
والزنبار	التين الحلواني
والسكر	من احسن العنب
والزعراء	ضرب من الخوخ
والشمر	ضرب منه أيضا
والعثر	شيء ينضجه الثمام والعثر والرمث كالعسل وكذا المغفر
والغوفر	البطيخ الخريفي او نوع منه
والعبد	عنب ابيض طويل
والمره	تروان الكثير الماء لاشحم له
والنمر	عنب لا يبيض والكلافي عنب ابيض فيه خضرة
والحوزة	ضرب من "عنب
والمشوز	اشمس الحو
والبلس	تمر كاذب
والحمف يمس	نعمه رافقاء او سات - فليود
والنيس	برع من التزيب
والكشمش	عنب صغار لا عجم له التين من العنب
والفردس	عنب ابيض كبر الحب
والقبي	عنب ابيض يصفر اخيرا حبه كالورس
والبيضة	شجرز كاتمه اح لها ثمره يفضاء اكبر من الجوز توكل ونب
	تراها دسم يصبر منه الشيعة السائلة (في قول)

والغاف	شجر له ثمر حلو جدا
والباسق	ثمرة طيبة صفراء
والرازق	العنب الملاحى
لزاد	شجر فم وزعيقا وانطا وزياطا وصجيجا وهو يهون
	المرأة المرأة . الاقلحسونى المرأة . (ولو انك) سفيته
	من الشراب
	الرحيق ممزوجا بالبند • الرحيق الخمر او اطيبها او الخالص او الصافى
	والبند الذى يسكر من الماء
	والسلسل ممزوجة بالسلسل السلسل الماء العذب ومن الخمر اللينة
	والمسطار مزاجها العس المسطار الخمر الصارعة لشاربها والمعصر
	الماء البارد العذب والتلج
	والاسفنت مزاجها النقر الاسفنت المطيب من عصير العنب او صرب
	من الاتربة او اعلى الخمر . والنقر الماء الصافى العذب .
	واخرطوم ممزوجة بالماء الرلال الخرطوم الخمر السريمة وماء زلال كخمر
	سريع المرقى الحلق بارد عذب صاف سهل سلس
	والمعتمة مزاجها القرات المدةقة الخمر القديمة والقرات الماء العذب جد
والمثلث	شراب طبخ حتى ذهب ثلثاه
والفضيخ	عصير العنب وشراب يتخذ من بسر مفضوخ
والقود	شراب من زبيب او عسل كالقود
والممدى	شراب من عسل
والداذى	شراب الفساق .
والجهموري	شراب مسكر او مبيذ العنب اتت عليه ثلث سنين
والخمروانى	شراب .
والسكر	الخمر ونبذ يتخذ من الخمر

والغبراء	السكركة وهي شراب من الذرة .
والمزرة	نبيد الدرة والشعير .
والكسيس	نبيد التمر .
والبعج	نبيد العسل المشد أو سلاله العنب .
والسفرقع	شراب يتخذ من ادره أو من الشعير والحبوب .
والجعة	نبيد الشعير .
والقنقاع	هذا الذي يشرب لما يرتفع في رأسه من الزبد .
والأذق	منطبخ من عصير العنب اذنى طبخة فصار شهيدا .
واخذطين	ما ينبد من البمر والتمر معا أو من العنب والزبد أو منه ومن التمر ونحو ذلك .
والصرى	الماء من البمر الاحمر والاصفر يصبونه على النبق فيتخذون منه نبيذا .
والعكي	سويق الممل .
والاطواق	لبن النارجيل وهو مسكر جدا سكر معتدلا عالم يبرز شاربته للريح فن يرز افرط سكره الخ .
والصعب	شراب من العسل او يشدخ العنب فيطرح ثم يغلى .
ولنبق	دقيق يخرج من لب جذع النخلة حلو يقوى بالدهن ثم يجعل نبيذا .
والنسيين	الشراب الخالص .
والنعمول	المعمول من الشراب ما فيه اللبن والعسل
والطلاء	النخمر ، حار تنصف وهو الشراب طبخ حتى ذهب نصفه
من به وزاد صراحا وصياحا	وهو يعمل المرأة المرأة . الا فاسقوني المرأة .
ر و سميته من الفحاح والكوتر	وهن رحيق مختوم . مزاجه من
سليم	وجملته في جملة من يطوف عليهم ولدان مخلدون . باكواب وباريق
ردس من مهن	وفاكهة مما يتخير . ولحم طير مما يشتهون . في سدر

مخضود . وطلخ منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكة كثيرة
لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرس مرفوعة . وعدة جنتان . ذوانا افنان .
فيهما عينان تجريان . فيهما من كل فاكهة زوجان . من دونهما جنتان
مدهامتان . فيهما عينان لضاحتان . فيهما فاكهة ونخل ورمان . فيهن
خيرات حسان . فيها فاكهة والنخل ذات الاكام . والحب ذو العصف
والريحان . بين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان . بين متكئين
على فرش بطائنها من استبرق . وعلى فرس موضونة . يسقون فيها كاسا
كان مزاجها زنجيلا . عينا فيها تسمى سلسيلا . وبطوف عليهم ولدان
مخلدون اذا رأيتهم حسبهم لؤلؤا منتورا . عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق وحلوا اساور من فضة . لا رأيتهم والحالة هذه راضيا من دون
المرأة . فاعوذ بالله من هذا الانسان .

ومع ذلك اى مع كون وجود الطعام والشراب للرجل الزم من وجود
المرأة اذ الاول مخلوق لحفظ الحياة والثاني لتقويم الطبيعة على ما سبق ذكره
فان وجود المرأة اصعب منهما واكثر تعذرا واغلى سمرا . اذ الطعام والشراب
يوجدان فى كل مكان وزمان . حتى ان اهل سقر لهم طعام من الزقوم
والمهل والضريع . وشراب من غسيلين . وظل من محمود . ولكن لبس
لهم نساء من مارج من النار او من الشباطين . ولا وجود للمرأة ايضا فى
السفينة ولا فى دير الرهبان الا نادرا . ولا لراكب فرس او حمار او جمل
او بقل . ولا لساع على القدم . ولا لمباشر الحرب ولا لمسجون . ولا
لجميع الخلفة الا اذا كان جميل الدينار والجلال . ولا لشاعر مملق وان
علقهن وسهر الليالى فى وصف محاسنهن والتشبيب بها . ولا لمن به تشوبلية
وترويلية وزلفية وزمامية وزهلقية وتيتائية واذليلائية واعممية وهلوكية
وشكازية وثبتلية وعينية وحريكية وطمسلية ومنجوفية وحضورية
وسرسية وعجيرية وذوذخية وحوقلية وهوذلية ووخواخية وعذبوطية

سيوطية وعظيوطية وثنية وعمونية وضفيطية ومجائية وعمولية . فان
 ان الادرم لا خبزله ايضا . قلت يمكن ان يدق له الخبز ناعما فيمضغه
 ويحترقه به . ولكن كيف السبيل الى مضع المرأة مع التثائية واخوانها .
 ثم انه كما وقعت البلبلة عن ذات المرأة وحارت العقول في السر الذي اودعه
 الله فيها . من جهة انها اول الاسباب في عمران الكون وخرابه . اذ
 لا يكاد يحدث في العالم خطب جليل الا وترأها من خلله واقفة وراءه او
 بالحري مضطجعة . كذلك حصل التشويش والتخليط في اسمها . فالمرأة
 في لغتنا الشريفة مشتقة من مرؤ الطعام هـ رثا هنيئا حميد المغبة . الامانة
 كثيرا ما تكون طعاما ذا غصة وشجوا ونخمة ونختير ونختير . ثم ان همها
 لتوصي ووصلها للهمز . وجمعها من غير لفظ الهاء وهو متعدد . وفي بعض
 اللغات هي ويل الرجل . وفي بعضها سوءة . فاما الزوجة وهي المتهومة
 منها امرأة وزوجة او نصف امرأة وانصف رجل فتد حصت رخصا لها
 باسماء كثيرة . من ذلك القرينة واشتقاقها معلوم . والعازلة واشتقاقها من
 عرب ابي امد لانها تعرب عن ابيها الى زوجها ابي الكس ارضته
 غيره . والحيرة والاحاف لانها تدعى الرجل بحر حسدها كما سيأتي .
 والحدادة والنضر والهرس والحلمة والاباس والحل والخال والحضلة والشاءة
 والحنة والربض والنعل ونست ارضي بهذه فالاولى محوها . ومن الغريب
 ان سميت ناسه ولحافوا ونسم سروالا

فان بعض العلماء انما اراد انه ان يقضى خراعى الارض فيص له
 مرا وكالتولية الى اجره . واما اراد الشيطان ان يتضى شرا تويس
 . فانه امرأة وقد اخلاص من تاريز . فاعول . فالخرجيون على ان
 . محروب المرأة في قضية هاب . لا كبير كان لاخير المحض . والسوفيون على
 . ان كانا . لمؤرحتهم . وكان في قضية ملكي الانكسر وقضية ايرين زوجة
 . الرأع تريودنريه ربيعة . وفيامرس . وغير ذلك مما لا يحصى . واعبر

هنا انه لم تجر العادة بان يتخذ من النساء بابا أو مطران أو رئيس جيش
أو رئيس سفينة أو قاض . وذلك لاتقاء باسهن و سطوتهن . فان الرجال
مستعدون للنساء بالطبع خلوا من هذه المراتب العلية فكيف بهن اذاولينها .
فان قيل ان الافرنج يتخذون منهن ملكات ويفلحون . قلت قد تقرر عندهم
انه اذا كان رئيس الدولة اثني كانت ادارة الاحكام والمعمل كله لذكر .
واعلم ذلك من مشاكل الامور الانشوية فان هذا التعليل يصدق ايضا
على كون اليا با وغيره يتخذ من النساء ولعل قد اطلمت الكلام هنا على النساء
مع انه ربما يوجد فيهن قاصر غير جديرات بالطويل منه . فينبغي لى الان
تعليمهن والعود الى ما كنت بصدده . وساعود اليهن في موضع آخر ان
شاء الله .

الباب الخامس عشر

في ذلك الموضع 

الفصل السادس عشر

في ذلك الموضوع بعينه

لم يطاوعنى القلم على الانتقال من هذا الموضوع الشهى الى السكلام
في الغاريباق وامثاله . بل امله هو نفسه يروم ذلك ايثاراله على ذاته .
فلا بد اذا من الرجوع الى وصف النساء من دون اعتذار اليه فاقول
قال بعض الفحول من العلماء ان المرأة أشرف من الرجل وافخم وانبل
واحلم وافضل واكرم . اما وجه كونها اشرف من فلان شاهدى ثانيها
واقفان فى محل مرفوع . بحيث يمكن لها أن تراها أو تربها أيا كان شئت
من دون نطاطى راس وانحناء . وفى ذلك من العز والشرف ما لا يحصى
الا ترى ان بعض الادباء قال ان من عزلا أن يقولها الانسان وهو رافع
راسه . ومن ذل نعم ان يقولها وهو خافضه . اما شاهدا الرجل فهما
منكوسان فى محل منخفض بحيث لا يقدر ان يراها الا اذا اطاقا وانحنى
واما وجه كونها افخم فلان ساقيد اللتين هما عمودان لهيكل الجسم وتظنها
الذى هو منبت لتكون النسمة . وعجزها الذى هو ورد للانجاز . تكون
الخم من ساقى الرجل وبطنه وعجزه . واما وجه كونها أنبل فلانها
تنبل بما يلقى اليها مدة تسعة أشهر . واما وجه كونها احلم فلان تمة
الحلم ترى فى شاهدى ثانيها . وأما وجه كونها خلقت من الرجل وعقبه
وهو خلق من تراب . لسكنها اذا ماتت (معاذ الله من ذلك) تستحيل
الى تراب كالرجل لا الى اصلها الذى اخذت منه أى لاتعبر رجلا
اولا صلعا . واما وجه كونها اكرم فلانها أرق فوادا وارحم قلبا والين طبع

فإذا رأت احد محتاجا الى شيء من عندها لم تضن به عليه . وناهيك ما جاء عن مادم السيدة زبدة اذ قال

ازبدة ابنة جعفر طوبى لئلا تترك المشاب
تعطين من رجلك ما تعطى الا كف من الرقاب

فلما انكر الوصفاء عليه ذلك وهموا بضربه انتهرهم واحسنت اليه
امامها انه لم يخطيء الوصف . وقال فحل آخر ان المرأة تضر في الغالب
اكثر من الرجل . وسبب ذلك انها لما كانت مفطورة على اللين والطفولة
والنعومة كان لها ان تتأذى ما يستقبلها من الحوادث بالصبر والثبات . فتكون
به ميلا لأي تارة تميل الى هذا الشئ وتارة الى ذلك . فتذلل كما تلذذ الغنم
الطيب بميل مع الريح فلا يذعن . فاما الرجل فانه لما كان مفطورا على
القسوة واليبوسة فتى دمه أمر تصاب له واقترح فلا يلبث ان يعطب
به . فتذلل كما تلذذ الشجرة اليابسة اذا قوبت عليها الريح . قال ومن خواصها
أيضا ان الحمرة لا تبلغ منها قدر ما تبلغ من الرجل . واخذوا في التعليل
ذلك . فذهب قوم الى ان في دم المرأة قوة جاذبة تدفع على الحمرة . فذهب
سفلا فلا يصعد الى دماغها . وزعم بعض ان في المرأة نوع من الحمرة يسمى
رصبا وهو فيها قوى جدا . بحيث اذا خالطه الشراب أي شراب كان ذهب
بقوة . والقطرة من هذا النوع نوع احيانا بدرجة واحيا نابر اسنان أو بعنقه .
ومن خواصها ان شعرها يكون اطول من شعر الرجل . وشعرها يبلغ من
شمرة . وشعرها ادق ومشاعرتها انفع . اما الاول فلم يختص اياه اثنان .
واما الثاني فلانها اذا قالت شمرا فاء تقوله في رجل فـهـ ويعجب الرجال
ويبلغ منهم بالطبع . ويعجب النساء بالطبع والصنعة ايضا . واصل ذلك مشكل
آخر من المشاكل الاثوية . فاني ارى هذا التعليل يصدق على الرجل فانه
انما يقول الشمرة في امرأة . ويمكن ان يجاب بان الشاعر المجيد اكثر شمرة
يكون في غير الغزل . وذلك كاختلاق مدح يفتره على امير . واوصفه

مجلس انس اوحرب ونحوه. واما الثالث فلانها اذ مرت مثلاً بحانوت بزاز ورأت برأ شفافاً ترنجبي اللون. فاولى ما تلمحه تقول لك هذا يصلح ليل وربما كان مكرك وقتئذ في كتاب طالعه او في شرا حمار تركبه. واذا رأت ديباجاً اخضر قالت بديها هذا يصلح للشتاء. او كناناً ابيض فاخر اخصصته بالصيف. ثم اذا مرت بدكان جوهرى او اذ تهرست اذت واخذتها اليه قالت لك على الفور هذا الحجر الماس يصلح لان يجعل فصافى خاتم للبنجير. وهذه اليانونه في خاتم للخنصر. وهذه الزمردة في خاتم للمتوسطة. وهذه الفدروج في خاتم للسبابة. وهذه الفريدة في خاتم للابهام. وهذه اللالى الكبيرة لقلادة في العنق. وهذه الصغيرة لسوار. وهذه السلاسل الذهب المرصعة توضع في العنق مع القلادة وتدل الى الخصر ويعلق بها ساعة من ذهب. وهذه الشنوف الثقيلة للشتاء. وتلك الخفيفة للصيف. وهذه المتوسطة للربيع والخريف. وفكرك لم يزل مشغولاً بالحمار. فان قيل ان الكاف في فكرك خطاب مطلق لكل قارى وربما تشرف كتابك هذا بمطالعة امير او أميرة من السادة العظام فلا يصح توجيه الخطاب اليه. لان الامير لا يقكر في الحير قلت وقد ورد في سفر التكوين في الفصل السادس والثلاثين ان عانه من ولد سمير الحورى كن برغى حيرايه زبيون وكان اميراً. بل قد علق عليه في بعض النسخ جلا دوك وهو اعظم من الامير. ثم ايها اى المرأة لم تلبث حالة كونها ناظرة الى تلك الجواهر ان تميم اهل الدار جميعاً الى خمسة اقسام

القسم الاول في نهيشه الجواهر.

من التيجان ما ذيب مرة من حجر القضة.

والمشخلة خرز بيض تشاكل اللؤلؤ او الحلى يصخدم لليف والحرز

وقد تسمى الجارية مشخلة بما عليها من الحرز وليس على

بنائها شئى. قلت وفي محفوظى ان ابن الاثير حكاه.

بتدليم الخا على انشين دون هاء .

والمخشب	حب التين .
والقصب	ما كان مستطيلا من الجوهر.... والدر الرطب والزبرجد
	الزطب المرصع بالياقوت .
واليشب	حجر معروف .
والبهت	حجر معروف .
والكبريت	الياقوت الاحمر والذهب أو جوهر معدنه خلف التبت
	بوادى النمل وفى ت ب ت تبت كسكر بلاد بالمشرق
	ينسب اليها المسك الازفر .
والياقوت	معروف .
والدهنج	جوهر كالزبرجد كالمرد .
والزبرج	جوهر أو الزينة من وشمى
والزبرج	الزبرجد
والصليحة	سبيكة الفضة المصفاة
والمرجان	م وترينه فى القاموس (انه صماء الأولو)
والخرايد	الخريدة واللولة لم تشعب
والقريد	الشذرى فصل بين الاولو والذهب ج فرائد والحوهرة
	النفسية والدر
والجذاد	حجارة الذهب
والبلور	جوهر معروف
والتبر	الذهب والفضة او قاسما قبل ان يصاعا فاذا صيغا فهما
	ذهب وفضة او ما استخرج من المعدن قبل ان يصاغ
	ومكسر الزجاج وكل جوهر يستعمل من الحاس والصفر
واللسيرا	الذهب الخالص

[illegible]

والجان	اللؤلؤ او هنوات اشكال اللؤلؤ من فضة او خرز بيض
	بماء الفضة
والميناء	جواهر الزجاج
والمهوى	اللؤلؤ وحصى ابيض والمهواة البلورة
والنهاء	للمزجاج ويقصر او القوارير وحجر ابيض ارخى من
	الرخام — وضرب من الخرز
	القسم الثاني
	فى عمل الحلى
من البؤبؤ	رأس المكحلة
والاربعة	الفلادة
والارنب	حلى الارانب
والمعقب	القرط ومنله الرعته ج رعاش
والحجة	خرزة او لؤلؤة تعلق فى الاذن
والدملمج	مع وف
واليارج	القلب أو السوار
والجانيح	البنامخ من الدر نظام بعرض أركل ما جعلته فى نظام
والداح	سوار ذو قوى
والسنبج	الدر أو خبطة نيل أو ينظام فيه والحلى
والوشاح	كرسان من الزرير وردهة تلومان بالانف يمين والوقوف
	أما نساء الزنجر أو كبريتى ربح أو ريشة
	المرأة بين عاتقه او كشحيا
والوضح	حلى فى الفضة
والنتخة	عاتم كبير فى اليد أو الرجل أو حلق من فضة كاشحاتهم

والقلادة	انسواط وانقرط
والنقرة	نخمة
والعضاد	الدملج كالعضاد
والعقد	معروف
والقلادة	ما جعل في العنق
وانجد	حلي مكمل بالقصوص وهو من اللؤلؤ وذهب أو قرنفل
	ياخذ من العنق الى أسفل الذرين يقطع على موضع النجاد
والمسجور	من اللؤلؤ المنظوم المسترسل
والسفيرة	قلادة بعري من ذهب وفضه
والشميرة	هنة تصاغ من فضة أو حديد على شكل الشميرة الحر
والعرة	قلادة تعجن بالمسك والافاوية
والعمر	الشف
والنقصار	القلادة ج تقاضير
والكسبر	المسك من العاج كالسوار
والقفاز	— أو ضرب من الحلي لليدين والرجلين
والحبس	سوار من فضة يجعل في وسط القوام
والسلس	— أو الترط من الحلي
والشمس	ضرب من القلائد
والقداس	شيء يعمل كالجمان من الفضة
والكبيس	حلي محوف بمشوطياً
والقلادة المكروسة	وهي أن ينظم اللؤلؤ والخرز في خيط ثم يضا بفصول
	بخرز كبار
والنقرس	شيء يتخذ على صمنه الورد تغرز المرأة في رأسها
والخر بصيص	القرط والحبة من الحلي

زائغ رص	حليقة الذهب وتنفضه أو حنقة أو حنقة الصغيرة من الحلي
والخوط	خيط مفتول من لونين أسود وأحمر فيه خرزات وهلال من فضة تشده المرأة في وسطها لثلاث تصديها العين
والسمط	قلادة أطول من الحنقة
والعلطة	القلادة
والقرط	الشنف أو المعلق في شحمة الاذن
واللط	القلادة من حب الحنضل المصوغ
والانواط	الممايق
والرصيعة	حلية السيف المستديرة أو كل حلية مستديرة في سيف أو سرج أو غيرهما
والشنف	القرط الاعلى أو معلق في قوف الاذن او معلق اعلاها في
والنطفة	القرط أو اللولة
والوقف	سوار من عاج
واحاف	السوار الغليظ
والحلق	خاتم من فضة بلا فص وهو أيضا خاتم الملك
والحنقة	القلادة وكذا المزنة والمعنقة
والخوق	حليقة القرط وتنشق
والديسق	كل حلي من فضة بيضاء خالصة
والزناق	كل رباط تحت الحنك
والسوذق	السوار والقلب
والطابقية	قلادة
والطوق	معروف
والقلقي	ضرب من قلائد

والمسك	الاسورة والخلاخيل
والجديل	الوشاح .
والحبلية	ضرب من الحلى
والخجل	الخلخال .
والمرسلة	قلادة طويلة تعلق على الصدر أو القلادة فيها الخمرة
والسدل	السمط من الدر يطول الى الصدر .
والاشكال	حلى من لؤلؤ وفضة يشبه للفضة بعضاً يعرط به النساء
	الواحد شكل
والطميل	القلادة كالطميل لأنها تظملى اى تلتطخ بالطيب .
والعبل	شئ من عاج مستدير يتلاو يملق فى صدر المرأة .
والقرمل	ما يشده المرأة فى رأسها
والاكليل	شبه عصابة تزين بالجواهر
والحال	ضرب من الحلى
والحل	ضرب من الحلى
والسابل	الالهان الغنائة ، زينه التصاور والموش الخ

والجنان	سفينة من ادم يسبح وفيها خرز الن كل لول تنوشحه
المرأة	
والبز	الحلال
والري	القلادة او التي توضع في عنق الفلام
والونية	العقد او الدرا اللولوة
الى الحشن	روس الاسورة والحلاخيل

القسم الثالث

في عمل الطيب واتخاذ المشموم

من الازاب	المسك او عطر بضاهيه
والجلاب	ماء الورد
والزرب	طيب او شجر طيب الرائحة
والكركب	نبات طيب الرائحة
والملاب	عطر الزعفران
والشت	نبات طيب الريح يدغ به
واليلنجنوج	من البخور
والراحي	جاس الورد
والمرنج	اجود عود البحر
والريمان	نبت طيب الرائحة اركل، ات كذلك.
والشيت	نبات طيب الرائحة
والس	الاراك
والصريح	طيب
والدمارة	عطر كرم زهره مع زهر الورد، نبل ان يرب
والابحة	نافية الماك

طيب	يا خلقة
طيب	والسند
شجر طيب الرائحة والعود والاس	والرند
م وبسعى الزهم	والزباد
نبات طيب الرائحة	والعبد
العنبر والكافور والمسك الطيب يعمل بالزعفران	والقتديد
طيب م	والقند
دهن والفسل المطيب	والحنيد
شجر له ورد يطيب به الدهن	والكاذي
نبت طيب الريح	والبهار
دهن يتخذ من الزيت بافاوية الطيب	والخطار
الورس واشياء من الطيب	والخمرة
عطر	والذرية
نبت طيب الرائحة	والزهر
حشيش طيب الريح	والادخر
عطو	والساهرة
الرحا الفارسي	والضبران
العود او المطري منه	والطبر
سوى من العطر كانه ظفر ممسك من اصله	والظفار
الزعفران او اخلاط من الطيب	والعبر
الرحس والياسمين ونبت آخر	والعمر
	والعطر الطيب
الريحان يرين به مجلس الشراب	والسار
روث دابة بحرية او نبع عين فيه	والمنبر

والغراء	نبت طيب او هو الفريراء
والقاغرة	طبيب او السكبانة
والقطر	العود الذي يتبخربه
والكافور	نبت طيب نوره كنور الالقحوان والطالع او وعاءه وطيب م
والنسرين	يكون من شجر بحبال بحر الهند والصين اطلع
والهجوز	ورد م
والبلسان	ضرب من الطيب
والقلسان	شجر صغار كشجر الحنالا ينبت الا بعين شمس ظاهر
والقنس	القاهرة يتنافس في دهنها
والهيس	نبات طيب الرائحة
والمردقوش	نبات طيب الرائحة ويسمى ابضاً الراسن
والخص	الخيري ويقال له المشور والنام
والسعيط	طيب نجمله المرأة في مشطها
والقسط	الورس والزعفران
والضبياع	البان ودهن الخردل
واليعة	عود هندي وعربي
والنقوع	ضرب من الطيب
والعوف	عطر كاللانة
والخللق	صمغ فيه من أفواء الطيب
والزحيق	نبات طيب الرائحة
والبنك	ضرب من الطيب
والسك	ضرب من الطيب
	طيب م
	طيب يتخذ من الرامك

والمسك المشموع	أي الخلوط بالعنبر
والسبل	ضرب من الطيب
والرعدة	أكليز من ريحان وآس
والسنبل	نبات طيب اثرأ نحة
والقندول	شجر بالشام لزهرة دهن شريف
والذدل	العود أو أجوده كالمندلي
والبشام	شجر عطر الرائحة
والبهرمان	المصفر والحنا
والثوبة	شجرة أطيپ رائحة من الآس
والجيهان	الزعفران وكذا الريحان
والخزامى	خيرى البر
والضرم	شجر طيب الريح
والمسكوتومة	دهن يجمل فيه الزعفران أو السكتم
واللطيمة	المسك
والمشم	عطر شاق الدق أو قرون السبل
والنمام	نبات طيب
والمضمومة	طيب يخلط بالمسك والبان
والاشنة	عطر ابيض مما يلتف على شجر البلوط والصنوبر
والبان	شجر لحب ثمره دهن طيب
والجفن	شجر طيب الرائحة
والخانون	الفاغية أو نور كل شجر
والرقون	الحنة والزعفران
والكثنة	شئ يتخذ من آس واغصان خلاف تبسط وينصب عليها
الرياحين	اصله كشتا اوهى نور دجة من القصب والاغصان

الرطبة الوريقة تحزم ويجمع جوفها النور قلت ونحوها السكينة

الميسوس	شيء يجعله النسا في الغسله لروسم
والغالية	طيب م
والفاغية	المامة وزهر الحنا والافعا الروائح الطيبة
والفاغية	نور الحنا أو يغرس غصن الحنا مقلوباً فيثمر زهراً أطيت
	من الحنا فذلك الفاغية
والسكبا	عود البخور أو ضروب منه
والسكاذي	دهن وثبت طيب الرائحة
واللوة	العود يتبخربه
والقد	شيء يتطيب به كالبخور

القسم الرابع

في عمل الآنية والادوات والمتاع والعرش

من القرب	جام من الفضة
والشفارج	الطبق فيه المفيخات والسكرجات
والصراحيات	انية للخمر
والمطافح	المغارف
والبهار	اناء كلابريق
والطرجهارة	شبه كاس يشرب فيه ومحوذ الطرجهارة وافنجانة ويقال
	للفنجانة الصغير سرؤملة
والشوارف	وعاء الخمر من خابية ونحوها
والاكواب والاباريق والفوارير والكوس والافداح والطاس والصحون	
والعتد والخروس والصيغان وامنان والصحف والقصاع والزخ	
والقواري والحفان والعلاب والبواطي والمآكل والقعاب والنواجيد والعساس	
والعسس	

والقدم	والمسوف
والجبهة	القدر الضخمة
والهائلة	القدر من صفر
والرجل	القدر من الحجارة والنحاس
والكفت	القدر الصغير
والهجاب	القدر العظيمة وكذا البساط
والتأمرة	الابريق والحقة وانثيمة المشدودة الرأس
والقمن	الجفنة يمنة فيها
والجام	م ونحوه الصاع
والمسكوك	طاس يشرب به
والميزار	ضرب من اقداح الزجاج
والمسوف	الاقداح الكبار وامتعة البيت وكل شيء حاد وبلغ من مملوك او علق او دار فهو سمف وبالتسكين السلعة
والورسى	من اجود اقداح النضار
والزورا	اناء من فضة
والقائور	الطست او الخوان من رخام او فضة والناجود والباطية
والمهضومة	الخوان من فضة
والديسقى	خوان من فضة
والقرقار	اناء
والمثبنة	كيس تضع فيه المرأة مرآتها واداتها
والمكم	نمط تجمل فيه المرأة ذخيرتها
والقشوة	ققة من خوص لمطر المرأة
والجؤنة	سقط منشى بجلد ظرف للطيب
والعتيدة او	الطيلة الحقة يكون فيها طيب الرجل والمروس وكذا الشريط

والدرج	حفش النساء الواحدة بها
والصوان	ما يصان فيه الثوب
والتمخت	وعاء تصان فيه الثياب ونحوه عيبة والمبتاة
والاسطوان	آنية الصغر
والابزن	حوض يتنسل فيه وقد يتخذ من نحاس
والشجاع	خشب منصوب به توضع عليها الثياب
والغدن	الغدان القضيبي تعلق عليه الثياب
والغفدانة	غلاف المسكحلة وخرطة من ادم للعطر وغيره
والحناجيد	الحنجود قارورة طويلة للدريرة ووعاء كالسمط الصغير ونحوه الحنجوره
والبز	الثاب او متاع البيت من الثياب ونحوها
والعقار	متاع البيت ونضده الذي لا يبتذل الا في الاعياد
والثقل	كل شيء نفيس ومصون
والهبات	الجهاز ومتاع البيت ونحوه الحاش والاثلة والشذب والزلزل والاهرة والزهاط والسفاطة ويقال امهاس البيت خاش ماش وقاش ماش وفرهشوش
والنجد	ما يتجد به البيت من بسط وفرش
والنضد	السرب ينصد عليه
والنضيدة	الوسادة وما حشى من المتاع
والبورية	الحكيم المنسوج
والمسور	متك من ادم
والعقري	ضرب من البسط
والزرف	ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط - والقراش والوسادة والبسط

والزلية	البساط
وانتمط	ضرب من البسط
والمسحبة	نوع من البسط
والاراضي	بساط ضخم من صوف او وبر
والنسيج	السجادات
والزبابي	التعارق والبسط او كل ما اتكى عليه الواحد زربي
والرحا	الطنافس الحيرية
والتعارق	الوسادة والمثيرة والطنفسه
والدرنوك	ضرب من البسط
والوراك	ثوب يرين به لما يركب وهو الموضع الذي يجلس عليه
	الراكب رجلاه
والبراطل	البرطلة المظلة الضيقة
والظلال	الظلة العاشية وشيء يستتر به من الحر والبرد
والماطر	المطر ثوب صوف يتوفى به من المطر كالمطرية
والازفان	الزفن ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم من حر
	البحر ونداه
والمرادقات	المرادق الذي يمد فوق صحن البيت والبيت من الكرسف
	ولا بد كذلك من اتحاد النسيغة للحمام وهي حجارة سود ذات
	مخاريب يحك بها الرجل . ثم تزين تلك الدار السعيدة
بالفسيفساء والسرمج	الفسيفساء الوان من الخرز تركب في حيطان
	البيوت من داخل . والسرمج شيء من الصنعة
كالفسيفساء	وبسرر مرملية أى مزينة بالجواهر ونحوهم
	وبحجلات ومنصات وبأرائك وعروش
	و دوارق من العاج عظم الفيل

شجر	والساج
خشب اسود للقصاص أو هو الابنوس أو الساسم أو	والشيري
خشب الجوز	
شجر مهر وف	والسمر
خشب الاواني	والنضار
شجر	والعيزار
شجر البلوط	والضيار
شجر اسود أو الابنوس	والساسم
شجر جبلي يسعدو	والثوع
شجر تخذ منه القسي أو ضرب من النبع	والشوحط
شجر جوز البر	والضبر
شجر البازر وج	والصومر
الذلب	والصنار
شجر قيل لأعرابي السلام عليك قال الجنجاث عليك	والسلام
قيل ما هذا جرب قال هما شجران مران وأنت جعلت	
على واحد أ صلب عليك الآخر	
شجر عظام	والسكنجبيل
شجر كالآس ورقا وحبا أو هو الشمشاذ	والبقس
شجر للقسي	والنشم
السدر البري وشجر آخر	والضال
شجر يقال له بالفارسية خوش ساي	والبقش
شجر كالصنوبر أرزن من الابنوس	والنبش
شجر صلب	والشحسن
شر عظام	والميس

والوعس شجر يعمل منه البرباط والاعواد

والقطف شجر جبلي خشبه متين

ثم تزين بقوارير من البلور

والقطر ضرب من النحاس

والفلز النحاس الذي لا يعمل فيه الحديد

والفلز نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة أو —

البلنت شيء كالرحام الا أنه دونه في اللين

والبلق حجارة باليمن تضيء ما رواءها كالزجاج

والحكك حجر أبيض كالرخام

والإهاء حجر أبيض أرخي من الرحام

والمهل اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد ونحوها

والهيصم ضرب من الحجارة أملس

تم تمام زينة هذا المسكان الشريف وناب محشو بالعشر والحريملة

لوناب السرير والفراش . والعشر شجر يحشى في الخداد ويخرج من زهره

وسممه سكر . والحريملة شجرة تنشق جراوها عن الين قطن ويحشى به

مخاز الملوك غير أنى ارتكبت هنا غلطا فاحشا في تأخيري ذكر الفراش

وهو أول ما يخطر ببال المرأة عند دخولها بلدا وهنا تم اثاث الدار

ومعك لم يرل مشعولا بالحار

القسم الخامس

في عمل الثياب

الترقية وهي ثياب بيض من كتان مصر

والخلباب القميص وثوب واسع للمرأة

والسكب	ضرب من الثياب
والسلاّب	الثياب السود
والقصب	ثياب ناعمة من كتان
واللبيمة	ثوب كالبقرة
والنقبة	ثوب كالازار
والبطاج	ما كان احد طرفيه مخملا ووسطه مخملا وطرفاه منيران.
والمعرجة	المخططة في التواء
والموثوجة	ثياب رخوة الغزل والنسج
والهبرج	الموشي من الثياب
المترحة	المترح من الثياب ما صبغ صبغاً مشبعاً
الوجيح	الصفيق من الثياب
والخوخة	ضرب من الثياب أخضر
والوليخ	ثوب من كتان
والثفايد	ضرب من الثياب
والجماد	ضرب من الثياب
والمعضدة	المعضد ثوب له علم في موضع العضد
والقرند	ثوب م
والمقرمدة	ثوب مقرمد مطلى بشبه الزعفران
والحجسة	المصبوغة بالزعفران
والمقدية	ثياب م
والهردية	المصبوغة بعروق الهرد
واللازة	ثوب حرير صيني
والبقطرية	الثياب البيض الواسعة

والحصير	ثوب مزخرف موشى اذا نشر اخذت القلوب ما آخذته لحسنه
والخسروانية	نوع من الثياب
والدثار	ما فوق الشعار من الثياب
والسارية	الثياب الرقيقة الجميدة
والسيرة	المسير ثوب فيه خطوط
والصدرية	ثوب م
والصدر	ثوب رأسه كالمعنة واسفلته يغشى الصدر
والعقريّة	عبقر بلدة ثيابها فى غاية الحسن
والهجر	ثوب تعجربه المرأة ثوب يمانى
والعشارية	ثوب عشارى طوله عشرة اذرع
والعفار	ضرب من الثياب احمر
والعبطرية	ثياب كتان بيض
والمرمر	ضرب من تقطيع ثياب النساء
والمنيرة	المنسوخة على نيرين
والباغرية	ثياب من الخز او كالحرير
والتوزية	منسوبة
والمرعزة	المرعزى الزعب الذى تحت شعر العنز
والطرزة	المعلمة
والمثروزة	ثوب مفروزه تطاريف
والقرمزية	المصبوغة بالقرمز
والنمز	ثياب من صوف احمر كالمرعزى وربما يخالطها الحرير
والتنيسية	تنيس د تنسب اليه الثياب الفاخرة

والمدمقسنة	الدمقس الابريسم او القز او الديقاج او الكنان
والقسية	منسوبة الى قس من ارض مصر
والكرباس	ثوب من الفطن الابيض
والمسلسة	الموشاة بخططة
والمرسية	نرساة بالزرق
والمورسة	المصبوغ بالورس
والاكياش	الثوب الذي اعيد غزله مثل الخز والصوف
والماجشون	الثوب المعقبة
والمفصنة	الخططة كهيئة خص
والخرصة	المصبوغة بالاحمر يرض للعصفور
والعرضي	جنس من الثياب
والعرض	ثوب تجلي فيه الجارية
والريطة	كل ملات غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة او كل ثوب لين رقيق
والسجلاط	ثياب كتان موشية وكان وشيه خاتم
والسمط	ثوب من - وف وبالكه ر الثوب ليست له بطانة طيها سان
والمقطعات	العصا من الثياب - او برود عليها وتبي
والمردمة	التي فيها اثر ايب
والصديع	ثوب يلبد تحت الدرع
والمضلعة	المسيرة الخططة وما جعل وشيها على هيئة الاضلاع
والنصع	ثوب ابيض
والموشعة	المعدة
والشراقي	ثياب ابيض

والشف	ويكسر الثوب الرقيق
والبندقية	ثياب كتان رقيقة
والحفقة	الحكمة النسج
والخزانات	الثياب البيض
والديقية	ديق د بصر
والزناق	ثوبان يرتقان بمحواشيهما
والرازية	ثياب كتان بيض
والزبرة	المصبوغة بحمرة او صفرة
والعلقة	ثوب بلا كمين — او الثوب النفيس
واللفاق	ثوبان يلقى احدهما بالآخر
والحكمة	الموثقة المخططة
والجول	ثوب للنساء
والحملة	الثوب المحمل كالكسأت ومحوه كالحمل
والحال	الثوب الناعم وبرد يعني
والدرق	ثياب كالارمنية
والمرجل	ثياب فيها صور المراحل
والمرجل	ضرب من ثياب الوشي (اورد صاحب القاموس
	التي بكسر الجيم في رجل والتي بفتحها في مادة على حدثها)
والمرملة	المرفقة
والسحل	ثوب ابيض من قطن ونحوه المسحل
والمسلسلة	ثوب مسلسل فيه وشى مخطط
والعقل	الثوب الاحمر
والمفلقة	المرشاة كالفلقل

والقسطالانية	ثياب منسوبة الى عامل
والوصيلة	الثوب المخطط
والهلهلة	الرقية
والامية	منسوبة
والمبرم	جنس من الثياب والثوب المقتول الغزل طاقين
والجهرمية	ثياب منسوبة من نحو البسط او هي من الكتان
والمرسمة	المخططة
والرقمة	اخبطه والرقم ضرب من الوشي او الخز او البرود
والمغم	المرط الاحمر او كل ثوب احمر
والقدم	ثوب احمر
والقرا	ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش او ستر رقيق
	كالقمر
وابى قلمون	ثوب رومي يتلون الوا
واللحم	جنس من الثياب
والنيم	كل ابن من عيش او ثوب
والاخفى	الثوب المخطط
والدفى	ثوب مخطط
والارجوان	ثياب حمر
والسبنية	ثياب من حرير فيها امثال الاترج
والشتون	اللين من الثياب
والشاذكونة	ثياب غلاظ مضربة تعمل باليمن
والمعرجنة	المصنوع فيها اشكال العرجون
والميمنة	ما كان في وشيها ترايع صغار كميون الوحش
والمفتنة	ثوب مفتن فيه طرائق ليست من جنسه

والحمرة	المصبوغة بالقوة (عبارة الماموس في قوة والثوة
	كسكن عروق رفاق اوال حمر يصبغ بها الخوف وف و
	ب القوة كبقوة عروق يصبغ بها)
والقوى	ثياب بيض
والمنهية	الثوب الزيف المسج
والمدبابة	المطلة من الثياب كالمهل
والموجبة	ما كان له وبنها
والعمه	كسواء ازاله ازاله من سدره يزره او ازاله ينسل به
والسجدة	كسواء اسود
والاصح	كسواء من دوف
والاغريج	كسواء اسود داخله حمر
والمسبح	لكسواء اللون الشديد وعوه المشبع
والسبح	الكسواء اغزاله كالمسبح
والبيجاد	كسواء محطوب
قوج	كسواء عليط
والاردا	الكسواء
والاشر	ما كسواء دوفه من الاكسية
والهبةمة	كسواء اسود مرج له علمان
والارط	كسواء من صوف او خرص مرط
والشملة	كسواء دون القطيعة
والعامل	الكسواء الاسود والثوب المشبع صبغا
المارى	كسواء صغيره خلوطة مرسله
والشرعي	ضرب من البرود

والعصب	ضرب من البرود
والمكعب	الموشى من البرود والاثواب واثوب المطوى الشديد
	الادراج
والخلع	ضرب من البرود الخطاة
والشيخ	برد بحر
والردح	ضرب من البرود
والسعيدية	ضرب من برود لليمن
والسند	ضرب من البرود
والبقير	برد يمت ويلبس بلاكم من كالبيرة
والحر	ضرب من برود اليمن مفردة حمره كعنية
والحبر	البرد الموشى رطب الجديد
والسير	برع من البرود فيه خطوط من راي يخالطه حرير
والظير	ضرب من البرود
والقطار	ضرب منها
والمشير	المخطط بـ مرة
والمرش	البرد الموشى
والقوف	ضرب من برود اليمن برود معوف رقيق او فيه خطوط بيض
والنصيف	احمار ومن البرد ماله اوان
والبركة	برد يمني
والمرجل	برد عني
والمرحل	ماقيه نصاو ير رحل
والنحمة	البرود المخططة بالصعرة
والانحمى	برد معروف

والسهم	البرد المخطط
والقطيفة	رداء مخمل
والطرف	رداء من خز مزيج له اعلام
والجنية	رداء من خز
والجيم	الديباج
والسندس	ضرب من البرزين او ضرب من رقيق الديباج
والاستبرق	الديباج الغليظ او ديباج يعمل بالذهب او ثياب حريرية صفاق
والمشجر	المشجر من الديباج ما كان فيه نقش كهيئة الشجر
والسب	شقة رقيقة كالسبيبة
والطريدة	شقة مستطيلة من الحرير
والسرق	شدة الحرير الابيض او عامة
والبت	الطيلسان من خز ونحوه .
والسدوس	الطيلسان الاخضر .
والطلس	الطيلسان الاسود .
والطلق	الطيلسان أو الاخضر .
والساج	الطيلسان الاخضر والاسود .
والصبة	الملحفة أو نوب يعني .
والشودر	الملحفة والانب .
والدواج	الاحاف الذي يلبس .
والشمال	ملحفة .
واللفاع	الملحفة أو الكساء أو النطع أو الرداء وكل ما تتلفع به المرأة .
والمرجل	ازار خز فيه علم .
والمدارة	الازار الموشي .

والحقو	الازار ومثله الخصار .
والصدداد	ما اصطدت به المرأة وهو الستر .
والقووط	ثياب تجلب من السند ومازرنمطة .
والدثار	ما فوق الشعار من الثياب .
والحلل	واحدتها حلة وهى ازار ورداء ويرد أو غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة .
والسربال	القميص أو الدرع أو كل ما لبس .
والفرطق	لبس م .
واليلمق	القباء معرب يلمه .
والفرقر	لباس المرأة .
والفرزح	لباس كان للنساءهم .
والمفضل	المفضل والمفضلة والفضل الثوب الذي تتفضل فيه المرأة أى توشح .
والحقاب	شيء تعلق به المرأة الحلى وتشده فى وسطها كالحقبة .
والطاق	شفة تلبسها المرأة وتشدوسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الارض والاسفل ينجر على الارض الخ .
والجن	الوشاح وقد تقدم فى باب الحلى .
والاناب	برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين والبقرة ودرع المرأة .
الجرب	درع المرأة أى قميصها .
والاصدة	قميص يلبس تحت الثوب .
والخليع	القميص بلا كم .
والرداعة	قميص قد لمع بالزعفران أو بالطيب .

والقمص السنبلائية	أى السابغة الطول أو منسوبة الى بلد بالروم .
والشعار	ما تحت الدثار من اللباس وهو على شعر الجسد ويفتح .
والقدعة	المجول وهى الدراعة الصغيرة .
والجيد	المدرعة الصغيرة .
والفلاة	شعار تحت الثوب كالغلة . .
والهفاف	الهفاف من النمرض الرقيق الشفاف كالهفاف .
والشليل	انقلاب تلبس تحت الدرع .
والقرقل	قميص لافساء أو ثوب لا كمي له .
والغطاية	كل ما تغتات به المرأة من حشو الثياب كغلالة ومحوها .
والقروة	معروف
والسبنجوتة	قروة من الثمالب
والشمرآ	القروة
والمستنة	قروة طويلة السمك
والخيز	القرو أو ثوب خيز يخيط الفرجين أو درع يحاط الخ
والمععب	الخيز للمرأة
والنقاب	ما تغطى به المرأة
والخمار	المصمى وهو العمامة وكل ما غطى الرأس
والموصوص	البراقع الصغار
والمقنعة	ما تمنع به المرأة رأسها والقناع اوسع منها
والعصابة	ما عصب به والعمامة
والسيدارة	الوقاية تحت المقنعة والعصابة
والعمارة	كل شئ على الرأس .
والعمر	منديل تغطى به الحرة رأسها

والخنيمة	مقنعة صغيرة للمرأة
والبخنق	خرقة تنقع بها الجارية فتشدها طرفيها تحت حنكها لتبقى الخمار من الدهن والدهن من الغبار والبرقع من البرلس الصفيان
والصقاع	البرقع - وخرقة تنقى الخمار من الدهن كالصوقة ونحوها العفارة
والمنبع	مخرقة تحاط بشبيبة بالبرلس والخنيمة او شبهها
والقنطرة	التي تتخذها المرأة تلى رأسها كالقنطرة
والمنبع	شبهه منه للجواري وقد خيط مندها .
والقرزل	الشيء تتخذها المرأة فوق رأسها كالقنطرة .
والجنة	خرقة تلبسها المرأة تغطي رأسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطي الوجه وجنبي الصدر وفيه عينان محوستان كالبرقع الخلف في رشيء كالطاليس .
والساحين	الجرموق الذي يلبس فوق الخلف .
والجراميق	القفص الذي يلبس في الرجل أو الخنجر .
والكوت	كالخلف إلا انه لا تدم له وعوا وله من الخلف .
والراي	لقافة الرجل وجواربه البسته اياه .
والقفاز	شيء يهمن للدينين يحشى بطن تلبسها المرأة لايبرد أو ضرب من الحلي الخ .
من الارنباني	وتعام هذا كله ثلثمائة وخمسة وستود حبسا ومثلها مقارم . الحبس سوار من فضة يجعل في وسط الثرام . والمقرمة فحبس الفراش ومثلها سراويل
والسنا	الحز الادكن ضرب من الحرير
والاردين	ضرب من الخز
والطاروني	ضرب منقه والطرني الخز

والقنين الخبز المطبوخ الابيض
والبرس القطن او شبيه به او قطن البردى
والشريع الكتان الجيد

والقز الا بر يسيم وهو الدففس ويقال ايضا الدفقس المقدس
وقد زل بي القلم هنا ايضا زلة ثانية فان السراويل يجب تقديمها على
جميع ماسواها ليطابق الذكر الفكر . ثم انك اذا اخذتها الى ساحات
المدينة واسواقها حيث تزدهم الناس . فأول ما تلمح فرهداً غسانيا
غيسانيا تقول هذا يصاح لأك يكون زير نساء ولأن يركب الجياد ويقلد
السيف ويعقل الرمح ويطعن به . او غلاماً مزعراً قالت هذا يصلح
لأن يربي في المدرسة الزيرية حتي ينبغ . او كهلاً قالت وهذا جدير بان
يقعد في بيته ويعاظم القزل والنسيب ليجهز ما يلزم لتلاميذ المدرسة
منه . او شيخاً هاماً هماً قالت وهذا قمين بان يكون مشيراً في الامور
التي تسرع على الاغرار من الخريجين فيكفيهم النصب في ايشائها . فان
م يلف عنده الرأي السديد فليدرج في كفن وبرمس . هذا وفكرك لم
يزل مشغولاً بالحرار او بالكاف . فاما وجه كون مشاعرتها انفع فلانه
قد جرث عادة من شاخ من ذوى الامر والنهي انه اذا جف دمهم وضوى
لحمهم حتى لم يعد التدر بالثياب يدقهم . شاعروا واحدة ان هؤلاء
النواعم فاستغنوا بحرها عن حرارة المنار والنار والابازير . والاحسن في
ذلك ان تكون جارية عذراء . وقد اختلفوا في علة الحرارة وما ناهها .
فبعضهم على ان نفسها من فيها هو الذى يدفيء المفرور . واعترض بان
هذا النفس لا بد وان يختلط بالشرب فيبرد وغيرهم على ان منفذ
الحوارة انما هو من المسام التي ينبت فيها الشعر . فان المرأة لما كانت
مفتوحة المسام كان صعود الحرارة منها يبلغ بخلاف الرجل فان مسامه مسدودة
عالمه من الشعر ورد بان الامر د مثل المرأة في كونه مفتوحاً ولم يقل احد

إن مشاعره تدفئ . وذهب بعض الى ان الحرارة اما هي من النفس
من انفسها . وقال قوم من المتهافتين على الجناس انها من موضع آخر قال
في القاموس تكوي الرجل بامرأته تدقا واصطلى ببحر جسدها . قلت ومع
حرص المؤلف على جمع الالفاظ الغريبة النادرة لم يذكر في الايدل على
اصطلاح المرأة حرارة جنس الرجل . ولهذا أى لاجل ان في جسم المرأة
من الحرارة ما لا يوجد في جسم الرجل كان اخف ما يكون من الدثار
يدفئها ولو في الصبر . والرجل اذ ذاك يكهى ويقفقف ويقرب ويتقرفف .
ومثله غرابة ان اكلمها يكون اقل من اكل الرجل ولحمها اكثر من لحمه .
قال المتكلمون ووافقهم على ذلك الاطباء النطاسيون . ان بما فضل الله
سبحانه المرأة به ان جعل فيها قوة على حجب الخصر وهداية الضال الى
الدين القويم . ووردوا على ذلك شاهدا ما جرى لذلك المعتزلي مع امرأته .
وذلك ان بعض المشاهير من علماء المعتزلة الذين يزعمون ان افعال العبد
ليست مخلوقة لله كان يجادل اهل السنة ويورد لهم من الادلة والبراهين على
تأييد مذهبه ما يربكهم به . فانبرت له امرأة ليبية سنية وقالت لقومها
زوجوني به فاقصمته في ليلة واحدة ان شاء الله فبات معها تلك الليلة على
الحادة . حتى اذا قضى لها الغرض ثم تنفل بعده وتطوع وظن انه قد استحق
الثواب وخلق بالاعتماد . قالت له واين الرابع والخامس والعاشر يا امرؤ .
فجعل لاخر ثم قال قد نفذ ما في الوطاب . فلا ملام ولا عتاب . قالت
امثلك من يبدى هذا الاعتذار . وامت تفول ان الافعال غير مخلوقة للواحد
القهار . قال قد نهيت من كان عاهلا . وهديت من كان ضالا . اني عديت
عن مذهبي القديم . وقد هداني الله الى الصراط المستقيم . قلت ويعلم من
كتب التاريخ ان المرأة لها اعظم مدخل في دخول النصرانية في بلاد
الافرنج . قال بعض الظرفاء من الادباء ان المرأة اذا رامت ان تشتري حاجة
أو تستقضى احد اشئ لم يلزمها ان تنقد البائع أو انقضى مالا . وانما تنقده

العين من العين . قال ولذلك جاء هذا الحرف بالمعنيين . بخلاف الرجل فانه اذا اراد قضاء شيء ايا كان ولا سيما النشئة فلا بد وان يحل عقده بنفاته الدرهم أو الديار . وانها ايضا اذا توحمت على شيء تمجد وهي حبل ظهر ذلك الشيء المتوحم عليه في الولد . فينبغي للاب ان يتفقد ولده ليعلم أى شكل من الاشكال بدا في اجسامهم . وما انكره منها فليكتمه . قال وان القدرة الخالقية قد اوجدت لها من النبات وغيره اشكالا كثيرة تقر بها عينها وينشرح صدرها اذا نظرتها أو لمستها . وليس للربيل شيء من هذه الخصائص . وان امرأة واحدة اذا كانت في مجلس قد اجتمع فيه عشرون رجلا امكن لها ان تهندم كلهم اجمعين . فتصحب هذا بلفظة . وذلك بالحضة . وذا بعزة . وذاك بهجلة . وآخر بخزرة . وغيره بتحشيفة . وآخر باسجادة . وغيره بزفرة . وآخر بالتعانة . وغيره بلية جيد . وآخر بشمة . وغيره بنزرة . وآخر بضمة على لسانها . وغيره باخراجها ونضمنته . وآخر بضم شفيتها وانفاصهما . وغيره بعرض عارضها . وآخر بضمي شعرها . وغيره بابتسامها . وآخر بصحكة . وغيره بعقمة . فيقوم الجميع عنها راضين . واربع ما تكون المرأة ما اذا جلست بين زمرة من الفتيان يغازلونها ويداعبونها ويمتدقونها . قال ومن خصائصها ايضا انها تعرف ما في قلوب الرجال . فلذلك تهتم بوكوكتها وحركاتها ونعمدهم وتصبيهم . وتبلمهم ونسجهم . وتحسرم وتبلسهم ونظرهم وتشغلهم . وتعبدهم ونهدهم . وتبهمهم وتبهمهم . وتشوقهم وتروعهم . وتعوقهم وتلوعهم . وتورقهم وتسبهم وتشرقهم وتشبيهم . وتخلبهم وتسحرم . وتحرهم وتبرهم . وتبهمهم وتشترهم . وتبهمهم وتصديهم . وتقلبهم وتهادم . وتراهم وتصدرهم . وتكبدهم وتطحلهم . وتعدهم وتفخذهم . وتبطنهم وتستههم . فاما ما قيل في خصائص فرنستها من انها تحسن اعمال البيت كالغياطة والتطريز وغيره فسد كور في كثير من الكتب فعليك بمراجعتها . انتهى الكلام الان على اة المربغ ميا على ان

عندى منه ما عند الفراء من حتى . قال بعض معاتيه العلماء المرأة كلها شر .
وشر ما فيها انه لا بد منها قلت وهو كحكم جحى نصفه صدق ونصفه
كذب . فالصادق منه قوله انه لا بد منها

الفصل السابع عشر

في رثاء حمار

اهلا بك يا قاريقي اين انت وفيم كنت هذه المدة الطويلة — في نظم
الايات السرية — ولكن هذا معلوم عناي ولم االك الا عن امر
حديث — قد فجعت بالامس بجماري وسألت عنه الجيران فلم يقل احد
منهم انه سرقه فاكترت متادياً بدرهم فجعل يتادى في الاسواق الا قد
فر اليوم حمار القاريقي وخلى قدمه في الوتد فهل منكم من رآه فلم يجبه احد
الا بقوله ما اكثر الجير الآفة اليوم من بيوت موالها . فلما عاد الى هذه
البسري بلغ مني الغيظ كل مبلغ . وآليت ان لا انظر بمسدها في وجه
حمار سواء كان حقيقياً او مجازياً . فقد قال بعض أئمة اللغة ان من
خصائص لغتنا هذه الشريعة دون غيرها ان يقال للرجل الجاهل حمار .

ثم اخذت ارثيه بهذه الايات وهي

راح الحمار وخلى القيد في الوتد وما رأى اثره في الناس من احد
فهل انا راكب من بعده وتداً ام مجزئ قيده لو كان من مسد
م كيف ادخل دارا كان لي سكنا فيها وانزل عندى منزل الوسم

سرهدنه بيدى كالطفل من شفق
وجسته بشعر لا يخالطه
وكان يوقظني منه النهماق اذا
كم حادني عن مضيق حين ابصر من
وسارني في طريق بل جانبيها
وكم جرى فارها اذ لاح عن بعد
واذ تبين نمشا للجنابة لم
ما ضل يوما عن استقرار معلقة
قد رابني حذقه حتى ظننت به
وما شكا قط من وخز ولا ضعفت
شلت يدا من به ولي وغادرتي
اعالم اتى من بعده جزع
وان صوت المنادي اليوم يزعم ان
لا يفر منك رغد انت واجده
فانما ذا لحين انت تعلمه
تفديك كل حمار ند من بطر
وحار من شبق قلاب جحفة
مصنوع الرأس ممشوق القوائم لم
الاية انه بالطرق اعرف من
يايت لي خصلة من ذيله ائراً
قال فقلت له لقد ضاع شمرك في الحمار العادي . كما ضاع الدرهم في
المنادي . قال اما الدرهم فقد ضاع حقاً واما الحمار فـسـلا . قلت كيف
ذلك ولدار منه بلقع . قال من عادتي اني اذا فقدت شيئاً وذكرته في
الشعر خيل لي اني عوضت عنه . فان لم اذكره بقيت متحسر اعلى فقده .

كالطفل من شفق سرهدته بيدى
ماس ولا عسجد خوفاً من الدرد
استغفلت بصوت مطرب غرد
حولى الجمال تبل الارض بالزبد
اهل الجمال بماء الورد وهو ندى
زفاف خيود اليها بالغ الامد
يمر به مع اليم النخس في الكتف
اكان في روضة غناء ام جرد
مسخية مثل بعض الخلق عن احد
رجلاه عن جوب وعت طال او جدد
امشي وانشب في احوال ذا البلد
وان فرقته فار على كبدي
البس اكافك في جنح الدجى وعد
عند الحرامي خصمى فيك من حسد
مادام شهراً على طرف ولا عتد
او ضج من لف او خار . . .
كراف بول قديم جف . . .
بحرن اذا سمته خسفاً وم جدد
مولاه ان لم يعقه القيد ذو العقد
ارنو اليها كما يرني الى الخرد
قال فقلت له لقد ضاع شمرك في الحمار العادي . كما ضاع الدرهم في
المنادي . قال اما الدرهم فقد ضاع حقاً واما الحمار فـسـلا . قلت كيف
ذلك ولدار منه بلقع . قال من عادتي اني اذا فقدت شيئاً وذكرته في
الشعر خيل لي اني عوضت عنه . فان لم اذكره بقيت متحسر اعلى فقده .

قلت او يقوم النثر مقام النظم . قال ربما يقوم عند بعض الناس . فقد بلغنى ان كثيرا من المؤلفين كانوا يحاولون ادراك اوطار حرمهم منها قلة ذات اليد فالعوا فيها كتبوا واستغنوا بها عنها . قلت من قال ذلك . قال هم قائلوه . قلت هذا محض كذب فانى الفت فى النساء كذا وكذا رسالة وما خطر ببالى قط انى عوضت عن واحدة ممن وصفت . قال ولم الفها اذا . قلت لم يكن لى من شغل ولا حركة . ووجدت ازمان على طويلا ولا سها اللياالى من دون مباشرة شيء ١٠ فلعلقت ما كان يخطر ببالى . قال وهلا تفرح الآن بآليفك اذا قرأته او اذا سمعت ان الناس بقراونه . قلت بل اضحك من سخف عقلى وقتئذ فانى قد عرضت عرضى لألسن القادحين فضلاء عن كونى اضعمت اوقاتي عبثا فإما لم يجدنى نفعاً . وقد بلغنى ان كثيرا من المعزجين ساءم ما قلته فى النساء وذكر مكايدهن فاستظهروا على جماعة من العلماء عابو على تبويب كتبى وخطوئى فى عبارتها . وكنت ايضا حكيت كلاما عن بعض النساء بلفظه فقالوا لا ينبغي ان يحكى الكلام بلفظه فى الكتب وغير ذلك مما ندمنى كثيرا . قال قد سمعت ان الناس لا يزالون يمدون المؤلف حال حياته . فاذا مات حرصوا على كلمة ياثرونها عنه كما قال الشاعر

ترى الفتى يتذكر فضل الفتى مادام حيا فاذا ما ذهب

لجبة الحرص على نكته يكتبها عنه بماء الذهب

قلت وهانذا نفع هذا الحرص لمن مات . قال لانفع منه غير ان اري ان فى النظم لاذة عظيمة . ولا بد وان يكون النثر ايضا مثله فانه ما كايها يخرج ان من مخرج واحد . افلا تقول بسمحة ذلك . قلت انى اقول بالاذة فى التأليف من جهة ان المؤلف يعرف شيئا جهله غيره . ولا شك ان فى معرفة الحقائق لذة . غير انه يتأبى من الالم ما يرجحها . وذلك ان المؤلف اذا عرف مثلا حقيقة وارا ان يعرف غيره اياها وجسد اكثر الناس قد

صموا عن سماعها . ومثل ذلك مثل طبيب نصوح رأى اهل بلده يستحمون بالماء البارد في حال كونهم محمومين . فنصح لهم ان لا يفعلوا ذلك فابوا وقالوا ان هذه البرودة تزيل الحرارة . فهو من جهة انه عارف بالحقيقة . وسرورا . ومن جهة انه يرى غيره في ضلال عنهم يحزنون . وسروره لنفسه لا يوازن حزنه على غيره . الا ترى ان اهل العلم كلهم ضاعفوا قليلا الكلام والنوم والاكل والضحك . وان الجهال سمان تارون اصحاء كثيرون الاكل والنوم وغيره مما جعل لتقويم الطبيعة . قال فما بال الأطباء سمان ايضا وهم بمنزلة العلماء في كونهم يملسون من المنافع ما يحبله غيرهم . قلت ان الطبيب لا يرى الناس حين يأكلون ويشربون ويباعلون واما يراهم حين يمرضون فلا تحزنه افعالهم . فاما العالم فانه في كل وقت ومكان يرى من العامة ما يدل على ضلالهم وجهلهم . فلا يمكنه والحالة هذه الا ان يتأسف على ما هم فيه من الغباوة والغفلة . قال افتقول اذا بالجهل . قلت هنيئا لمن رضى به . قال وما قولك في الشعر . قلت ان كان هو لمصلحة اى شيء يعود الى القيام باودك فنعيم هو . وان يكن عن محسرد هوس وميل الى التجنيس والترصيع ايان رأيت امرأة جميلة او وردة اورضة كما هو دأب اكثر الشعراء يتكفون للنظم في كل ما لاح لهم . او وكركائك الحمار الآن فتركه اولى . قال ولكن احسن الشعر ما جاء عن هوس اى عن السابقة لا بالتكف . فاني حين امدح السري اجد في ضم لفظه الى أخرى ما يجده المعاني لضم تقيضين مختلفين .

وايس كذلك ما نظمته في الحمار فاني نظمت فيه هذه المنيه في ساعة من الزمن . قلت ولكن الناس لا ينظرون الا الى الظاهر . فقصيدك في الجمار يسمونها حمارية . وابتاتك في السري سرية . قال ان كان الام كما ذكرت فلم رعبت عن التأليف ولكن لاني النساء فان

ذلك أمر مستفيض . قلت أما أولا فلان المؤلف يوقع نفسه في كلايب
السنة الناس فيمزقون عرضه وجلده كما ذكرت لك آنفا . والثاني فان
حقيقة اسم المؤلف غير محمود . فهو عند من يعلم حقيقة معناه بمعنى الملقق
واكثر الناس يضحكون من هذا الحرف فيحسبون انه من التأليف
بين شخصين وإنما يقولون لمن تعاطى ذلك شيخ . وهو ايضا مكروه
عند بعض الناس وخصوصا عند النساء . واحسن الالاب هنا فيما
أرى عند النصارى قسيس وعبد المسلمين بليك . اما القسيس فلان
كل الناس تلثم يده وتبرك بذلك . وان المرأة من القبط لتغسل رجلي
القسيس بيد بها ماء الزهر ثم توعى ماؤها في زجاجة . وانه متى جاع
حمل امعاء الى دار احد من معارفه فاستقبلته زوجته بالبشاشة والاكرام
فزعمها اى زعب . واذا شاء ان يبقى في بيته لعارض من العوارض بعث
غلامه بعلامة الى احد البيوت فجاء منها بغداء ينظم فيه شعرا عصرنا
قصائد . فاما البليك فانه وان يكن مقامه بين الناس كريما الا انه لا يمكنه
ان يبلغ من البيوت ما يبلغه القسيس اذ لا يتأتى له ان يمشى وحده .
فلا بد وان يمشى معه اثنان عن اليمين والشمال وهما وان اظهرا له الخضوع
والاحترام ففي قلوبهما منه حزازات تبعثهما على مراقبته واتعننت عليه .
اللهم الا اذا تزيا بزي خادم له وح فظاهر اللباس يحجى . عند المين قال
هيئات ان اصير قسيسا هيئات ان اصير يكا . اما حرفة القسيس فانها
لا تصلح لى لاننى لا احب الركافة . واما صفة البيك فاني لا اصلح لها
فان القدرة الازلية لم ترتض لى . واذ الازل بالبوكية أولليكية . وما بقى
أماي الا الشيخية . قد توكلت على الله قلت انى مفارقتك على ان تخبرنى
بما سيحدث لك فى شيخيتك قال سأفعل ذلك ان شاء الله

الفصل الثامن عشر

في الوان مختلطة من المرض .

ثم لازم الفارياق نظم الابيات وهو حريص على الاتسام بسمعة شيخه . فمن له ان يقرأ النحو على بعض المشايخ لما انه رأى ان القدر الذي كان يعلمه منه في بلاده لا يكفي لممدح السرى . وفي ذلك الشهر الذي نوى فيه القراءة أصيب برمد اليم . فلما افاق شرع في العلم فقرأ على الشيخ . طافى كتباً صغيرة في النحو والصرف . ثم اشتد به داء الديدان الذي سببه فيها فيل اكل اللحم نيئاً . تلك عادة مشهورة عند اهل الشام . فكان يتمم منه وقت القراءة والشيخ يظن ان ذلك من اختلاف المسائل وكثرة التعليل . حتى قال له مرة سبحانه الله ما احدث قرأ على هذا الفن الا ويتمم . فقال له لبس التعمص كاه ياسيدى الشيخ من زيد وعمرو . فان لجاعة الديدان ايضا مد . فلا . قانى لا اكل شيئاً الا وسبقوا معدني اليه . قال لا بأس عليك عسى ان يخف عنك بركة العلم . واتفق للفارياق وقتئذ ان ساله احد معارفه ان يقرأ على الشيخ المذكور ذلك الكتاب الذي تقرأه النصارى في الجبل . وهو كتاب بحث المطالب . فلما ختمه التمس من الشيخ ان يكتب له اجازة اقراه في بلاده . فكتب له اجازة وعرضها على الفارياق . فحين تصيحها رأى فيها خطأ في اللغة والاعراب . فاستأذن من شيخه ان يوقفه على الغلط . فلما وقف عليه قال ساكتب له غداً اخرى . ثم كتب له اجازة غيرها فلما امعن الفارياق فيها النظر اذا بها كالاولى . فيه شيخه على ما فيها . فقال له اكتب له انت عني ما شئت . فكتب له ما اعجب به . على ان الشيخ كان مضطرباً بفن النحو غاية

ما يكون . فكان يقضى ساعة تامة في شرح جملة غير تامة . الا انه لم يكن يزاول الانشاء والتأليف فكان علمه كله في صدره وعلى لسانه ولا يكاد يخرج منه الى العلم شيء . ثم بعد قراءة النحو على النسق المذكور راجع الفارياق وجع العينين . فلما افاق رأى ان يقرأ شرح التلخيص في المعاني . فشرع فيه مع الشيخ احمد . فلم يسر فيه قليلا حتى اصابته الحكمة ولم يكن قد عرفها في مبادئها فليذا استمر على القراءة . حتى اذا كان الشيخ آخذا مرة في شرح مسألة معضلة ثارت الحكمة في بدن الفارياق فجعل يحسك يكتنا يديه . فالتفت اليه الشيخ فرآه منهمكا في الحك . فقال له ما بالك تحك وانت على ما يظن لي غير متنبه لقيل واجيب . هل نحن الان في محاكة الالفاظ أو في محاكة الاعضاء . قال لا تؤاخذني ياسيدي فاني ارى لذة الحك مانعة لي من التنبيه لغيره . قال أو بك الحكمة . قال لعلها هي . فنظر الشيخ الى يديه فقال هي والله فينبغي ان تقتصر في بيتك وتطلى جسمك بخمر الكلاب فليس لها من علاج سواه . فلزم الفارياق بيته وجعل يطلى بدنه كل يوم بالخمر المشار اليه ويقعد في الشمس ساعات حتى لقي من ذلك عذاب الهون . ثم لما افاق رجع الى القراءة . وبعد ان ختم الكتاب عاودته ضريبة الرمد . ثم نمرى رأسه ان يقرأ شرح السلم للاخضرى في المنطق . فشرع في قراءته على الشيخ محمود فاصابته الهيبضة وهي الداء المسمى في مصر بالهواء الاصفر . فبقى ثلثة ايام لا يرى ولا يمشي من الدنيا شيئا ولا يقدر على النطق . سوى انه سمعه حاديه مرة يهذى ويقول كلية موجبة كبرى . فظن انه يستعظم مصيبتة فيقول انها كبرى . ولم يكن احد أصيب بهذا الداء في مصر . فلما مضت ثلثون يوما انتشر في البلد وعم بلاؤه والعياذ بالله فكان يموت به كل يوم الوف . ووقتئذ عوف الفارياق انه كان المقدم في هذه الابلية وغيره التالي كما تقول المناطقة . وان الديدان التي كان يقاسى منها هي التي عجلت له بهذا الداء فمجل هو بها .

فجعل أي القاريق يركب حماره ويطوف في الاسواق وكأنه آمن من المقدور . (حاشية لم يكن هذا الحمار ذلك استحق الرثاء والتابن بل كان ممن يحق له التقريظ) فسار الى قرية في الريف ومعه خادمه وخادمته . فعلم به بعض ولاية البلاد فاستدعى به وبالخدام والمخادمة . وقال له أي لبيب هل هذا وقت الموت أو وقت الايلاد حتى جئت بهذه الجارية هنا . قال انا مداح السري وقد اتيت لاسرح ناظري في نظرة الريف فاجسد مدحه بعد موت من يموت . فقد ضقت بالمدينة ذرعا وخشيت على قريحتي المعقم . قال ما هذه وأشار الى المخادمة . قال هي اخت هذا يعني الخادم . قال وما هذا . قال خولي هنا يعني الحمار . فالتفت الامر الى الخادم فرأى عليه طلاوة . فقال له من حيث انك شاعر السري أو شعوره فلا تريب عليك . وانما ينبغي ان تترك الخادم هنا فانه يصلح لخدمتي . قال لك على الامرة فخذ . فاستبد به الامير تلك الليلة وساله عن القاريق ملحا . فقال له الخادم والله يأسدي انه رجل طيب غير اني اظن انه اعجمي فاني لا اكاد افهمه حين يكلم بلقمتنا . فلما اصبح الصباح تاهب القاريق للرجوع فمجد الحمار فظن انه لحق بالاول . فجعل يبحث عنه فوجده قد خرج مع حمار آخر من حمر الامير الى سهل وهو تحت يزع وينخر . فلما ان رآه على حالة المفعولية غلبه الضحك فعال . قد ورد في الحديث ان الناس على دين ملوكهم . الا انه لم يقل احد قط ان الحمير على مذهب اصحابها . ولكن بالخير ولا بالمعرة . ثم رجع الى الدار فوجد خادمه وخادمته ينتظرانه . وقال له الخادم ند سرحني الامير فانه لم يرني اهلا لخدمته الا ليلة واحدة وها انا الان حر . ثم ان القاريق بعد ان هنا الامير ومراه رجع الى مصر وكان البلاء قد خف . فسأل عن شيخه المنطقي فقيل له انه حي لم يقض من القضايا . فرجع اليه واتم معه ما كان ابتداء به . فلما بلغ آخر درجة من السلم طودته ضريبة من الرمد فلزم بيته . فلما افاق رأى ان يتعلم شيئا من الفقه وعلم

الكلام . فببدأ بالكنز وبالرسالة السنوسية فرض - فرآه بعض معارفه
من القرنساوية فسأله عن سبب ضعفه فأخبره الخبر . فقال له انا اشفيك
منه بادن الله ولكن على شرط ان تعلم ابني اللغة العربية . فقال حبا وكرامة .
فشرع منذ ذلك الوقت في تعليمه وفي تماطي الدواء من عند ابيه . ولكن
لا بد لتفصيل ذلك من فصل على حدة

الفصل التاسع عشر :

في دائرة هذا الكون ومركز هذا الكتاب

كان هذا الرجل طيباً مشهوراً بمصر . ولكن شهرته في دأئه احسن
منها في دوائه . وذلك انه كان قد تزوج جارية تارة على كرسنه فأولدها
بنتا وصبيا . ثم عجز عن اداء حقها فجعل دأبه الملاعبة لها والتعلق .
وتلك عادة الرجل مع المرأة من انه كلما قصر في اعتبارها وارضائها في
الحقوق الزوجية زاد حرصه عليها وكلفه بهما ورد لها . توهم ان هذا يسد
عند المرأة مسد ذلك . وكذا حالته معها اذا كان يغونها برأى اخرى .
كما ان دأب المرأة ان تزيد شهشتها وعروبيتها لزوجها بزيادة اشباعه
اياها واطفاف السكيل لها . او تملقه له اذا كانت تحوه . وبناء على ذلك
جته يوما من الايام . يا هذي اني اري ان قد صدى
مفتاحي عن قفلك . وان سنك وتراذك تقنضيان ان تقنضني لك
الالة رصاعية لتعلمي بها حتى يحين حينى فتزوجى باخر . والا فاننى
خاف تفركيى وتطيري من عندي كما يطير الحمام . وقد يهون

علي ان اخسر منك شيئا واحداً ولا اخسر ك بجملةك فانك ام ولدى
 وحمل سرى من كبدي . فلا اطيق فراقك . فاخترى لنفسك من شئت
 أنك به بقرنيه . فضحكت المرأة عند ذلك . ثم قال ومن حيث اتى
 معروف في هذا البلد بانى طبيب فاذا رأى الجيران رجلاً قادماً الى
 بلى رجلاً فلا يكون عليك شبهة . فضحكت المرأة أيضاً لقوله رجلاً قال
 فان الناس يقرعون باب الطبيب ولو فى نصف الليل . وهنا ضحكت ايضاً
 ثم تبادى فى الكلام معها الى ان قال ولا تظنى انى انا وحدى
 تفردت بهذه المادة . فان امثالى من اهل بلادى يفعلون كذلك وهنا
 قهقهت . فلما فرغ من بقية خطبته على هذا النسق ظنت زوجته اولاً انه
 قصد بذلك ان يستطلع سرها ويتصيدا بزلة . فبكت من شدة الغيظ
 وقالت له ازعمتنى بئياً حتى تقابلنى بمثل هذا الكلام وتسمى بى الظن
 قال حسنا لله من ذلك . وانما تكلمت معك بمنتهى الطبع فقد ترى
 قولى بعد حين وردى على الجواب . فانصرفت المرأة من حضرته وهى
 واجمة مرتاية . ثم مضت عليهما غير قليلة والرجل لا يبارس ولا يماطل
 ولا يلعب ولا يياعل . فقلقت جداً لهذا الحال . وضاق صدرها عن
 صبر الاعترال . واخذت تفكر فيما قاله لها زوجها . فتبملت له يوماً من
 الايام وتبرجت وتمطرت وقصبت غرفته وهى تقول فى نفسها . اليوم
 يكون برزخ الحالتين . وفيصل الحدين فان لم تكن منه مباحلة ذكرته
 بما قال فتلفاها بالبشر والبشاشة واجلسها بجانبه وعرف انها كرت . اذ
 رأى قد علمت عينها بحجرة وهما ترأتان وفي صوتها تهديج اى رعشة واضطراب
 فلما اتمرت بادرها بالكلام بان قال هل تبهرت فيما قلته لك منذ ايام
 قالت نعم ولكن انا عندك فضيلة تمنينى عن هذا الامر . قال ما عندى والله
 من وشل ولا فلة . ثم ولا ثملة ولم يبق لى امل لاصلاح شأنى فى ناعوظ
 مالا فى ثم السمفور ولا فى شحم اوزل دلسكا ولا فى الزنجبيل ولا القلقل

ولا التامول ولا الفافلة ولا الراس ولا القوفل ولا القرنفل ولا السنبل ولا
المصطكي ولا الجوزبوا ولا الهلال ولا الرازيانج ولا في عاقر قرحا ولا ياحب
الصندري ولا الحص ولا الكابلي ولا البليج ولا دارفلقل ولا السمسم ولا نخولنجان
ولا البسباسة ولا دهن اللسان ولا خصي الثعلب ولا في بيض المصافير
ولا في دهن السوس ولا في القلقاس ولا في اصل النرجس متقوعا في
الحليب ليلتين ولا في الكرفس مدقوقا زرة بالسكر والسمن ولا في لبس
لثوب الموروس ولا في اكل اصل اللوف ولا الضجع ممصورا ماؤه
في اللبن الرائب ولا في البورق مدوقا بالمسل او في دهن الزنبق ولا في
البندق الهندي ولا الهماق مقلوا ولا في علك البطم والينبوت ولا في المسك
مدوقا بدهن الحيرى ولا في البهن ولا في الجزر ولا في الهيلون ولا في
الامليج ولا البسفارذانج ولا في اخضر الباقل بالزنجبيل ولا في العلقل
مدقوقا بالسمسم معجونا بالمسل ولا في صمغ الكندلي ولا في المغل
ولا في ثمر البطم ولا في التبخير بخفيف لحم الرخم مخلوطا بنخرد سبع مرات
ولذ حب الزلم ولا في لب القرطم ولا في معك العنم ولا في الموز ولا مسح
دماغ الخفاس بالاخصين ولا في لحم الحمام ولا في قرقة القرنفل والا لما
ضمنت عيك بشيء لما تاملين من فرط محبتى . فقالت اذا كان الامر
باسيدي كما ذكرت فاني اختار قسيسا . قال اي وسواس وسوس اليك
هذا الاختيار الذي ليس من الخير في شيء . قالت اما اولا فلان الناس
لا استئون به الظن اذا راوه داخلا اليه كل يوم . والثاني انه يقال ان مادة
القسيس متوفرة فيه . قال فدعيت ومع ذلك فاني اخشى منه على ولدي
فانه ربما يغريها بخلاف حاله كوني نخالفا له في معتقده فالاولى ان تختارى
خر . قالت انت طبيب تعرف الصحيح من العليل والقوى من الضعيف
فاحتارى من تشاء فاني ارضى بكل ما ترضي به انت . قال بارئ الله
فيك . ثم قبلما من فرحه ووعدا بانحياز عدته في اليوم القابل . وما

كاد يسعر الفجر الا وهو فوق حمائه يقصد بعض اصحابه . فلما اجتمع به قال له ان لى عندك حاجة جئت التمسها منك . قال قل ما بدالك . قال على شرط لا تحيبنى . قال سأبذل مجهودى كله ان شاء الله فى قضائها . فاخديده ج نويماً للعهد ثم قال له انى اريد ان تكون خليفتى فى زوجتى . فقال له الرجل هل بدالك سفر عن مصر وان ترك زوجتك هنا . قال لا واما تكون خلافتك عنى فى حضورى . فاستاء الرجل وقال او خامرك ريب فى صداقتى لك حتى اضمرت استطلاع سرى . وخفى امرى . فعند ذلك صرح له بالقضية واخ عليه فى القدوم معه . ولما ان قدما انعقد البيع بمحصرة كل من من الزوج والزوجة . ثم التراضى . وصار الرجل منذ ذلك الوقت يترد على دار الخلافة ربى كذا لك مدته ثم ان الزوجة لما ملته كما هى عادة النساء وظهر له ذلك من ذلة احتفالها به مرة ومن اعتذارها ليه اخرى . جرى هو ايضا على عادة الرجال من انه افشى سرها لصاحب له . فجرى هذا ايضا على جدد امثاله وجعل يتددد اليها وقام عندها مقام الاول . ثم ملته فافشى سرها . ثم جاءها اخر فقبلته . ثم خر وخر صاروا جماعة عظيمة . ثم تراجع اليها احباؤها الاولون واهمكت فى التبديل والتغيير حتى صارت دار الطبيب كالشرطة . ولم تكن هذه قد شرت فى مبادئها عند الجيران اذا كانوا يظنون ان القوم يأتون ليتداوا من علل بهم . ولكمها علمت بعد ذلك . وكان سببه اف الطبيب اتخذ له دار اخرى خرج البلد ليضيف فيها . وترك امرأته فى الدار الاولى والزائرون على ما كانوا عليه من الورد والصدور فتنه ج الناس لذلك . وفى هذا لوقت اى ورود الخلق الى هذا المغنم البارد كان الفارياق المسكن يتردد على منزل الطبيب ليعلم ابنه ويتداوى . فظن الناس انه من جملة الزائرين وتقلدوا ائمه فى اعتناهم الى يوم الدين . فانه كان معطلا وفوقه ماغنى عن

العمل ، وبقي على تلك الحالة مدة من دون ان يرى فائدة من العلاج
فكان الطبيب . اراد ان تطول المدة عليه الى غاية تعليم ابنه . فنم اقتصر
القاريق عن التردد اليه وتداوى عند غيره وشفى وفي خلال ذلك سافر
الى الاسكندرية لمصلحة ما . فاجتمع فيها بواحد من الخرجيين الصالحين
فسأله هذا ان معه الى مصر ليعلم عنده بمض تلاميذه فاجابه الى ذلك
وانما رغب فيه لكون الخرجيين لا يؤخرون اجرة من يعمل لهم . وفي
اثناء هذا عن له ان يقرأ علم العروض فأخذ في قراءة شرح الكافي على
الشيخ محمد فما كان يحتمه حتى فشا الطاعون بمصر . فاشتد بالمولى الخرجي
الحرص على حياته ابقاء للمصلحة الخرجية كما زعم . فعم رأى ان
يتباعد عن هذه الفخ قليلا لكيلا ينطبق عليه فيجمع الخرجيين امثاله
بفقدته فيكون فقده سببا في فقر غيره . اذ قد تقرر عندهم ان شدة الحزن
تميت . فاجعل القاريق مع الخرجيين الخرجيين ومع رجل ليهب ذى خبرة
العلاج اابع من عدوى الطاعون . ثم اسر صاحب ما لزم له وفر الى الصعيد
وتفصيل ذلك فى الفصل الآتى

الفصل العشرون

فى معجزات وكرامات

كان عبد الخرجى المذكور خادمة رعبوة من اهل بلاده . فلما عزم
على الفرار رأى ان يادرها في منزله لتصبون حاجته فيه وانما ان يستصحبها
معه لانه كان من زوجا بامرأة هى دونها فى الحسن كما جرت العادة فى بلاد
الافرنج من ان الخادمة غالباً تكون فوق مخدومتها فى القسامة والجمال ودونها فى

الدراية والمعارف فوقع في خاطر زوجته إنه اذا نشبت فيها عواقب الفحش
 أولا ربما اتخذ زوجها لك الطويذة في فراشها وطاب عنها نفسها .
 أول شيء تعلمه البنت من أمها قبل زواجها هو منع الاسباب التي تبعث
 زوجها على الاستغناء عن شخصها او عن ذكرها . ولذلك كان من عادة
 نساء الافرنج ان يهدين الى بعولتهن صور من وان كانت شنيعة ليجعلوها
 في زمصهم . او خصلا من شعورهن وان تكن حمراء ليحسبوا بها .
 ثم بدا مشكل آخر . وهو ان الخادمة اذا تدهت بحدها في الارام تأمن
 من ان يسوء عليها احدا في الليل فيقع رر . التنور .
 ويكسر المجبور . ويند المجزور . ويطم المحفور . ويذل المة . ويهرث
 البور . وتفك الطلاس من المسحور ويفتق السور .
 ويوسع الصبور . ويبعث المطمور . وتذل . ور . ويصدهج .
 ويحرب القهقور . وينقر . الا تور فتتلم شوكة الزبور . فارتأى بعد ان
 رفع يديه بالابة الى الله تعالى ان يضم اليها رجلا من اهله بلاده عي
 تشعوما . اعتقاد انه لا يقد على ارتكاب شيء من الافعال التي جرت
 هذه القوافي متعددة . وذلك من جملة الاغلاط القاضية التي اشتهرت
 بين الناس . اعنى انهم يظنون في الغالب من دون مراجعة النساء
 والاستشهاد بقولهن ان التحيف لا يقدر على ما يقدر عليه السمين . وكان
 الاولى ان لا يستبرأ ابراهيم في ذلك . فكث القشوم مع الخادمة في اهلها
 عيش . اما ما كان من الخريجين فان نخرجهم أى مريمهم وكل مريمهم
 الرجل اللبيب . ولو عز اليه في ان يظفرهم عن الخروج . وان لا يدع احدا
 من اقاربهم يدخل اليهم . وان يستخيم رجلا يشتري لهم ما يزمهم
 الخارج . ولا يستلم منه شيئا الا بعد ان يمسسه في الخلل أو يبخره بالشي
 وغير ذلك مما عرف في اصطلاح الافرنج لمنع اسباب الوباء . وكان هذا الموكيل
 من مشاهير علماء ملته . وكان في مبدأ امره كافرا . ثم تقديدين من الاديان .

لكنه كان حميد الحصل حسن الاخلاق . غير ان كفره حال بينه وبين
 رزقه فاضطر الى ان ينحاز الى الخريجين من اهل بلاده . ففرحوا بهدايته
 كثيرا . واحسنوا اليه احسانا وفيرا . فانقلب هزله جداً وتمكنت منه الوسوس
 والاورهام حتى اعتقد اخيرا انه اهل للكرامات والمعجزات . فكان يتمنى
 ان تسنح له فرصة لذلك . واتفق في الاول ان مات بالطاعون ذلك الخادم
 انذي كان يشتري لوازم الدار . فلما جاء الدفان ليحملوه اعترضهم الوكيل
 من داخل الدار . فخافوا ان يخالفوه لكونه من الافرنج فان لهم عند اهل
 مصر حرمة زائدة . ثم انه مضى الى موضع منفرد وجثا على ركبتيه وهو
 يدعو الله سبحانه وتعالى لان يحقق له صدق عقيدته . ثم فتح الباب
 وخرج والقي نفسه . على جثة الميت . ولم فيه في اذنه وهو يناديه قائلا .
 يا عبد الجليل (اسم الميت) اني ادعوك باسم المسيح ابن الله لان تعود من
 ظلمة الموت الى نور الحياة . ثم اصغى ليستمع الجواب فلم يجبه احد . فاشار
 الى الدفانين ان اصبروا . ثم سار الى ذلك الموضع الذي صلى فيه اولا .
 وغير ركنه بان جعل قدميه بين فخذه وهو يجمع في الدعا . وذلك على منوال
 الياس النبي حين صلى لا يزال المطر بعد ان قتل انبيا بعل . وكان عددهم
 اربعمائة وخمسين نبيا على ما ذكره القتل اثنا عشر من سفر الملوك
 الاول . الا ان بين الداعين فرقا وهو ان النبي صلى هكذا بعد القتل
 وصاحبنا هذا قبل الاحياء . وكان الاولى ان رفع عبد الجليل الى غرفة كما
 فعل النبي المذكور بابن الارما التي كانت تعوله وكان دعؤه الى استدلاحياته
 ان قال ايها انزب الهى اجلبت الشر ايضا على هذه المرأة بقتل ابنها الخ . ثم
 انه شجع يديه حتى صار جثته على شكل صليب . ثم قام ناشطا مسرورا
 واسرع في ان القى جثته على الميت واعاد في اذنيه كلامه الاول . فلما لم
 يجبه احد ورهق الميت لم يزل مفتوح الفم مطبق الجفنين ولم يمش مرة هنا

ومرة هناك ولم يعطس سبع عطسات كما عطس ابن المرأة الذي احياه
النبي اليسع على ما ذكر في الفصل الرابع من سفر الملوك الثاني . ذهب الي
المطبخ وامر الطباخ بان يصنع له مرقة على القود . فلما صبت المرقة اقبل
بها الى عبد الجليل وجعل يفرغ منها في حلقه وذلك مشغولا . لما كرر
ونكير . فلما اعياه ادره امر الدفانين ان يحملوه وقال ما على ذنبي كيكوني
لم ارد ان ابعثه وانما الذنب عليه . ثم اقبل الي . الفارياق .
له لا تأخذني يا خليلي بمعزى عن احياء الخدام فان زمن الانذار .
ولكني لا اتراخي في عقيدتي بان افعل ذلك المرة الآتية ان شاء الله . فلما
سمع الفارياق ذلك اضطرب بالدوار دمه غيظا وحزنا . ف . في ذلك اليوم
الداء الفاشي . فخرج تحت ابطه سلعة كالترجة وحم واحد صداع اليم .
فالما الوكيل فلم يصبه شيء . وذلك من الاصرار التي لم يعجز عن ادراكها
الحكماء . ثم ان الفارياق كان حال مرضه يفكر فيما جرى ع .
وحيد غريب لا مؤنس عنده يسلية . ولا طبيب يداويه وكان يقو في
نفسه اذا مات على هذه الحالة فمن عساه يتمتع بكتبي هذه التي سهرت
الليالي على نسخها . نعم ان الموت على كل حال صعب مكروه غير ان موت
الفتى مثلي غريب اصعب . واني قد ابتليت والحمد لله - هذه المدينة
بجميع انواع الادوية المصبوغة بلون الحمام

فاذا فسخ الله الآن في اجلي فلا افارق هذه الدنيا الا قرير العين
بتجمل برثي . وان لم يكن عندي من حطام الدنيا غير الكتب . كيف يسعد
جاء عن ابشولوم ولد سيدنا داود انه بني له جدارا ليد كربه بعد موت
يكن له خلف . فلا تزوجن فان لم ياتي خلف فالطوب بمصر كثير . اللهم
يسر . عونك يا كريم . يارحمان يارحيم . ثم لما كان يعمن النظر في حال الزواج
ويتصور مشاقه وشدائده التي كان يرى اوداه ومعارفه يقاسونها . ويثنون

من بأهبط حملها . يرجع عن عزيمته ويسخر من استحالة عقله ويضعف فهمه
يضعف جسمه . ثم يعتذر لنفسه بأن كل انسان اذا عاش مدة حياته على
رأى لم يوافق رأى الخلاء . كان يعتقد وهو حى صحيح الجسم معافى
انهم كانوا علماء ضلوا . رجعده على هدى . فاذا ادركه ضعف جسم
لم يات تغير عقله فيميل عن مذهبه الازل . كما جرى لبيون الفيلسوف
وسقراط . جاء والفلاسفة . ثم ان الله تعالى تدارك الفارياق
بر . من عليه بالشفاء من علته . فقام من فراشه كأنما قام من جدته
واقبل على الطنبور يعزف به ويغنى فدعه الان على هذه الحالة ولا تنقص
عليه عيشه . مر اذبالك معى لنظف فوق هذا الاجيج المتاجج امامنا
فما يلى هذا .

تم صبح اسبهره الاول و يليه الجزء الثانى واوله الكتاب الثالث
(طبع بمطبعة الفنون الوطنية)